







575  
517



تراشنا

# نَهَائِيَّةُ الْاَلِفِ

فِي

فَنُوهُ الْاَدَبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التَّوْرِيّ

٦٧٧ - ٧٣٢ هـ

السُّفْرُ الرَّابِعُ

لنسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد  
المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة

مطابع كوستاتسومان وشركاه

٩٠٠١١٨  
القاهرة

# فهرست

## السفر الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

### الباب الثالث

صفحة

١

#### في المحبون والنوادر والفكاهات والملح

ذكر مناحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣ — ذكر من أشهر المزاح من الصحابة  
رضوان الله عليهم ٣ — ذكر شيء من عجون الأعراب ٧ — من نوادر القضاة ٩ —  
من نوادر النخعة ١٣ — من نوادر المتنبيين ١٤ — من نوادر الخفيلين والحق ١٦ —  
من نوادر التليذيين ١٧ — من نوادر النساء والجواري ١٨ — من نوادر العميان ٢٢ —  
من نوادر السؤال ٢٣ — من نوادر من أشهر بالمجون ٢٣ — من نوادر أشعب وأخباره  
٢٤ — من نوادر أبي دلالة ٣٦ — من نوادر أبي صدقة ٤٨ — من نوادر الأقيشر  
٥٢ — من نوادر ابن سيابة ٥٦ — من نوادر مطيع بن إلياس الكتاني وأخباره ٥٧ —  
من نوادر أبي الشبل ٦٣ — من نوادر حمزة بن بيض الحنفي ٦٥ — من نوادر أبي العيثاء  
عفا الله عنه ٦٨ — ذكر ما ورد في كراهة المزح ٧٢ — من الشعر المناسب لهذا  
الباب والداخل فيه ٧٤

### الباب الرابع

١٠٢ في النمر وتحريمها، وآفاتنا، وجنائاتها، وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها  
في الجاهلية، ومن حدّ فيها من الأشراف، ومن أشهر بها، وليس ثوب  
الخلعة بسببها، وما قيل فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلتها  
وآتيها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما وصفت به المجالس، وما يجري  
هذا المجرى

ذكر ما قيل في النمر وتحريمها ٧٦ — ما ورد في تحريمها في كتاب الله وبيته  
السنة ٨١ — ما قيل في إباحة المطبوخ ٨٢ — آفات النمر وجنائاتها ٨٣ —  
أسماء النمر من حيث تصرّأ أن تشرب ٨٦ — أخبار من تنزه عنها في الجاهلية  
وتركها ترغها عنها ٨٨



صفحة

٩٠ ذكر من حدّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر بها وليس فيها  
ثوب الخلاعة ومن اقتصر بشربها :

من حدّ فيها من الأشراف ٩٠ — من شربها منهم واشتهر بها ٩٢ — من اقتصر  
بشربها وصيبتها ١٠٣

١٠٧ ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر :

ما قيل فيها على سبيل الملح لها ١٠٧ — ما قيل في وصفها وتسميتها ١٠٨ —  
ما قيل في أنفاسها ١١٢ — ما وصفت به غير ما قدّمناه ١١٣ — ما قيل فيها إذا مزجت  
بالماء ١١٥

١١٨ ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطبها :

ما وصفت به مجالس الشرب ١١٩ — ما قيل في طيّ مجالس الشراب ١٢١

١٢١ ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها :

ما قيل في الزاويق ١٢٢ — ما وصفت به زقاق الخمر ١٢٣ — ما وصفت به  
الأباريق ١٢٣ — ما وصفت به الكسات والأنداح ١٢٤

### الباب الخامس

١٢٦ في الندمان والسقا

ما قيل في السقا ١٢٩

### الباب السادس

١٦٠ في الغناء والمجماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما استدل به من رأى  
ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن التابعين  
ومن الأئمة والعباد والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف  
والقواد والأكابر ، وأخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى  
العربية ، ومن أخذ عنهم ، ومن اشتهر بالغناء وأخبار القيان

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة ١٣٣ — ما قيل في تحريم الغناء وما استدل به  
من رأى ذلك ١٣٣ — دليلهم من الكتاب العزيز ١٣٤ — دليلهم من السنة ١٣٤ —  
أحوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ١٣٥ — أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى ١٣٦ —  
ما ورد في إباحة الغناء والسباح والضرب بالآلة ١٣٧ — ما استدلوا به على إباحة الغناء  
من الأحاديث النبوية ١٣٨ — ما ورد في الضرب بالآلة ١٤٠ — في البراع ١٤٢ —  
في القصب والأوتار ١٤٣ — في المزامير والملاح ١٤٥ — ذكر ما وجدته

## صفحة

ما استدلوأ به على تحريم الفناء والسباع ١٤٧ — ما احتجوا به من الآيات ١٤٧ —  
 ما احتجوا به من الحديث ١٥١ — ذكر أقسام السباع وبواعثه ١٦٧ — ذكر العوارض  
 التي يحرم معها السباع ١٧١ — العارض الأول ١٧١ — الثاني في الآلة ١٧٢ —  
 الثالث في ظلم الصوت ١٧٢ — الرابع في المستمع ١٧٣ — العارض الخامس ١٧٤ —  
 ذكر آثار السباع وأدابه ١٧٤ — من سمع الفناء من الصعابة والتأبين رضى الله عنهم  
 ١٩٠ — من سمع الفناء من الأتمة والعباد والزهاد ١٩٤ — من غنى من الخلفاء وأبائهم  
 ونسبت له أصوات من الفناء قلت عنه ٢٠٠ — من غنى من الخلفاء ٢٠٠ — ومن غنى  
 من خلفاء الدولة العباسية ٢٠١ — أبناء الخلفاء الذين لم صنعة ويد في هذا الفن  
 ٢٠٥ — من غنى من الأشراف والعلما ورحمهم الله ٢٢٧ — من غنى من الأعيان  
 والأكابر والقواد من نسبت له صنعة في الفناء ٢٣١

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الفناء من الفارسية الى العربية ومن أخذ  
 عنهم ومن اشتهر بالفناء :

أخبار سعيد بن مسجح ٢٣٩ — أخبار سائب خاثر ٢٤٣ — أخبار طويس  
 ٢٤٦ — أخبار عبد الله بن مرج ٢٤٩ — أخبار معبد ٢٦٢ — أخبار الفريض  
 وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة ٢٦٧ — أخبار محمد بن عائشة ٢٨٠ —  
 أخبار ابن محرز ٢٨٧ — أخبار مالك بن أبي السرح ٢٨٨ — أخبار يونس الكاتب  
 ٢٩٢ — أخبار حنين ٢٩٣ — أخبار سباط ٢٩٥ — أخبار الأبر ٢٩٧ —  
 أخبار أبي زيد الدلال ٢٩٨ — أخبار عطرد ٣٠٢ — أخبار عمر الوادى ٣٠٤ —  
 أخبار حكم الوادى ٣٠٥ — أخبار ابن جامع ٣٠٦ — أخبار عمرو بن أبي الكلات  
 ٣٠٨ — أخبار أبي الهيثم مخارق ٣١٢ — أخبار يحيى بن مرزوق المكي ٣٢٠ —  
 أخبار أحمد بن يحيى المكي اللقب بطينف ٣٢١ — أخبار هاشم بن سليمان مولى  
 بني أمية ٣٢٢ — أخبار يزيد حوراء ٣٢٣ — أخبار طليح بن أبي العرواء ٣٢٦ —  
 أخبار إبراهيم الموصلى عفا الله عنه ٣٢٨ — نبذة من أخبار إبراهيم الموصلى مع البرامكة  
 رحمهم الله تعالى ٣٣٥

السفر الرابع

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

---

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

## الباب الثالث

①

من القسم الثالث من الفن الثاني

( في المجنون والنوادر والفكاهات والملح )

وهذا الباب مما تجذب النفوس اليه ، وتشتمل الخواطر عليه ؛ فإن فيه راحةً للنفوس إذا تعبت وكَلَّتْ ، ونشاطاً لخواطر إذا سُمِتْ ومَلَتْ ؛ لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل تراح إلى تنقل الأحوال . فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان ، ولاطفتها بالفكاهات في أحد الأزمان ، عادت إلى العمل الجدة بنشْطَةٍ جديدة ، وراحة في طلب العلوم مديدة .

وقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوِّحُوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أجموا هذه القلوب وأتمسوا لها طرق الحكمة ، فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان ، والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوى ، جانحة إلى

(١) اللهم، أقمارة بالسوء، مستوطنة بالجزء، طالبة للراحة، نافرة عن العمل؛ فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أردتها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه. وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه.

- وقال هشام بن عبد الملك: قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعما، وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء حتى ما أبالي بأمرأة أتيت أم حاططا، فما وجدت شيئا ألد إلى من يجلس تسقط بيني وبينه مشونة التحفظ (٢).
- وقال أحمد بن عبد ربه: المُلح زُهة النفس، ودرّيع القلب، وصرّيع السمع، ومجلب الراحة، وممّدين السرور. وقال أيضا: إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين، فكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله. فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك! كأنك قد فرغت من عملك! فقال له يوحنا: ما أكثر بكائك! كأنك قد يئست من ربك. فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أن أحب السيرين إلى سيرة يوحنا.

- ١٥ • والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا: هو ضحوك السن، بسام العشيات، هُش إلى الضيف. وإذا ذقته قالت: هو ضبوس الوجه، جهّم النحيّا، كرية المنظر، حامض الوجه «كأنما وجهه بالخل منضوح». وكأنما أسعط خيشومه بالخردل.
- وقيل لسفيان: المزاح مُجَنّة؛ فقال: بل سُنّة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إني لأمزح ولا أقول إلا الحق»، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) كذا في القيد العريد. وفي الأصل: «ما أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أدتها».

(٢) الأما. : «مرومة التحفظ».

### ذكر مُزَاحَات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مَرَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فن ذلِكَ : أَنه قال صلى الله عليه وسلم  
لرجل أَسْتَحْمَلُه : « نحن حَامِلُوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه  
وسلم لأمرأة من الأنصار : « الْحَقِّي زَوْجَكَ فَي عينه بياضٌ » . فسميت المرأة نحو  
زوجها مرعوبة ؛ فقال لها : مادهاكِ ؟ فقالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : إِنْ فى عينك بياضا ؛ فقال : إِنْ فى عيني بياضا لا لسوء . وأنته عجوز  
أنصارية فقالت : يا رسول الله . أدع لى بالمغفرة . فقال لها : « أَمَا علمتِ أَنَّ الجنة  
لا يدخلها الْعُجُزُ ! فصرخت ؛ فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها : « أَمَا قرأتِ  
( إنا أنشأناهن أنساءً بحملنهنَّ أبكاراً عُرُباً أَتْرَاباً ) .

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أعرابي قد صلى صلاة خفيفة ،  
فلما قضاها قال : اللهم زوجنى بالحدود العين ؛ فقال عمر : يا هذا ! أسأت التقدي ،  
وأخطمت الخطبة .

### ذكر من أشتهر بالمزاح من الصحابة

رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نعيان ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم البدرين ، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة ، منها ما روى : أنه خرج  
مع أبى بكر الصديق إى بصرى ، وكان فى الحملة سُوَيْط ، وهو بدرى أيضا ، وكان  
سويط على الزاد ؛ فجاء نعيان فقال له : أطمعنى ؛ قال : لا ، حتى يأتى أبو بكر .  
فقال نعيان : والله لأغيطنك . وجاء إلى أناس جلبوا ظهرا ، فقال آبتاعوا منى فلاما

لَا تُقْسِدُوا عَلَى غُلَامِي . قالوا : بل نبأه منك بعشر قلائص . فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى وصلها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو . فقالوا : قد أشتريناك . فقال سويط : هو كاذب ، أنا رجل حرّ . فقالوا : قد أخبرنا خبرك ، ووضعوا في عنقه حبلا وذهبوا به . بقاء أبو بكر رضى الله عنه فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فرتقوا القلائص على أربابها وأخذوه . وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحك منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة عسل اشتراها من أعرابي ، وأتى بالأعرابي إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ الثمن من هاهنا . فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابي : أَلَا أُعْطِيَ ثَمَنَ صِلَى ؟ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إحدى هاتيتُ نَمِيان» . وسأله : لم فعلت هذا ؟ فقال : أردتُ بِرَّك يا رسول الله ، ولم يكن معي شيء . فتهنم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابي حقه .

ومن مزاحاته أيضا : أنه مرّ يوما بمَحْرَمَةِ بَنِ نَوْفَلِ الزُّهْرِيّ ، وهو ضريح ، فقال له : قُذِنِي حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان في مؤخر المسجد قال له : اجلس ، فجلس مخرومة ليلول ، فصاح الناس : يَا أَبَا الْمِسُورِ ، أنت في المسجد . فقال : من قاذني ؟ فقيل له : نعمان . قال : لله عليّ أن أضربه بعصاي إن وجدته . فبلغ ذلك نعمان ، بقاء يوما فقال لمخرمة : يَا أَبَا الْمِسُورِ ، هل لك في نعمان ؟ قال نعم . قال : هو ذا يصلي . وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلي ، فقال : هذا نعمان ، فعلاه محْرَمَةٌ بعصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين . فقال : من قاذني ؟ قالوا : نعمان ، فقال : لا تجرم لاعرّضت له بسوء أبدا .

وممنهم **أَبْنُ أَبِي عَتِيقٍ**، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم . وكانت ذا ورع وعفاف وشفق، وكان كثير المحبون، وله نوادر مستظرفة، منها : أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ما تحول في إنسان هجاني بشعر، وهو :

أَنْهَبَ مَالَكْ غَيْرُ مُتْرَكٍ \* فِي كُلِّ مَوْسِيَةٍ وَفِي الْخَمْرِ<sup>(١)</sup>  
ذَهَبَ إِلَالَهَ بِمَا تَعِيشُ بِهِ \* وَبَقِيَتْ وَحْدَكَ غَيْرِ ذِي وَفَرٍ

فقال عبد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح . فقال له عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك . فقال : وما هو؟ قال : أرى أن أنيكه . فقال ابن عمر : سبحان الله ! ما ترك الهزل ! وأقترقا . ثم لقيه بعد ذلك فقال له : أتدري ما فعلت بذلك الإنسان؟ فقال : أي إنسان؟ قال : الذي أهلكك أنه هجاني . قال : ما فعلت به ؟ قال : كل مملوك لي حر إن لم أكن نكته . فأعظم ذلك عبد الله بن عمر وأضطرب له . فقال له : أمرأتى والله التي قالت الشعر وهجتني به . وكانت أمرأته أم إسماعيل بنت طلحة بن عبيد الله .

وقد مدح الشعراء اللب في موضعه، كما مدح الجحد في موضعه؛ فقال أبو تمام :

الجَدُّ شَيْئُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ \* طَوْرًا وَلَا جِدُّ لَنْ لَمْ يَلْعَبِ

وقال الأثير رحمه الله عليه :

إِذَا جَدُّ عِنْدَ الْجَدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ \* وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَمِتَ أَهْلَاكَ بِاطِلُهُ

(١) رواية البيهقي في كتاب التاج لملاحظ ص ١٣١ :

ذَهَبَ إِلَالَهَ بِمَا تَعِيشُ بِهِ \* وَقَسَرْتَ لِيكَ أَيْمًا قَرِ

أَخَفْتُ مَالَكْ غَيْرِ مَحْتَمٍ \* فِي كُلِّ زَانِيَةٍ وَفِي الْخَمْرِ

(٢) في التاج أنها طائفة بنت عبد الرحمن .



ومن مجون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكى أن جاريته قالت له :  
 إن فلانا القارئ ، وكان يظهر النسك ، قد قطع على الطريق وآذاني ويقول لي :  
 أنا أحبك . فقال لها: قولي له : وأنا أحبك أيضا ، وواعديه المنزل ؛ ففعلت وأدخلته  
 المنزل ؛ وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل . ودخلت  
 الجارية الى البيت الذي فيه الرجل ، فدعاها فاعتلت عليه ؛ فوثب إليها [ فاحتلمها <sup>(١)</sup> ]  
 وضرب بها الأرض ؛ فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه وقد تورّكها ؛ فنجل وقام  
 وقال : يا فساق ، ما تجتمه هاهنا إلا رية . فقال له ابن أبي عتيق : أستر علينا ستر الله  
 عليك . ثم لم يرتدع عن العبث بها ، فشكّت ذلك الى سيدها ؛ فقال لها : هبي من  
 الطعام طحن ليلة الى الغداة ففعلت ، ثم قال لها : عيديه الليلة ، فإذا جاء فقولي له :  
 إن وظيفتي الليلة طحن هذا كله ، ثم أخرجني الى البيت وأتركه ، ففعلت . فلما دخل  
 طحنت الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدير الرشي حتى أفتقد سيدي ؛ فإذا نام وأمنا  
 أن يأتينا أحد ، صرّث إلى ما نحب ، ففعل ؛ ومضت الجارية الى مولاه ، وأمر ابن  
 أبي عتيق عدة من مولاته أن يقرأوا على سهر ليلتين ويتفقذن أمر الطحن  
 ويحثن عليه ، ففعلن وجعلن ينادين الفتي كلما كف عن الطحن : يا فلانة إن  
 مولاي مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفت عن الطحن ، فيقوم إليك بالعصا كهلاته  
 مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن الطحن . فلم يزل كلما سمع ذلك  
 الكلام منهم أجتهد في العمل والجارية تُفقده وتقول له : استيقظ مولاي والساعة  
 ينام فأصير الى ما نحب وهو يطحن ، حتى أصبح وفرغ الصبح . فأنته الجارية بعد  
 فراغه فقالت له : قد أصبح فأنج بنفسك . فقال : أو قد فلتها يا عدوة الله !

(١) الكلام الذي يصدى بهذا المرح [ وينتهي في صفحة ١١ بهذا المرح ] ساقط من الأصل

ونخرج تبعاً نصيباً ، وأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله ألا يعود إلى كلام الجارية ، فلم ترمه بعد ذلك شيئاً تكرهه . قال : وتعتنى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر في الدار ووقع آخر وثالث ، فقال للجارية : أخرجي فانظري : أذنوا المغرب أم لا ، فخرجت وجاءت بعد ساعة ، وقالت : قد أذنوا وصلوا . فقال الرجل الذي كان عنده : أليس قد صليتما قبل أن تدخل الجارية ؟ قال : بلى ، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرجعنا إلى العداة ، أفهمت ؟ ! قال : نعم ، قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة .

مَنْ رَسُولٍ إِلَى الثَّرَيَّا فإني \* ضِغْتُ ذَرْعاً بهجرها والكُتَابِ<sup>(١)</sup>

فركب بغلته من المدينة ، وسار يريد مكة ، فلما بلغ ذا الحليفة قيل له : أحرم ، قال : ذو الحاجة لا يُحرم ، وجاء حتى دخل على الثريا . فقال لها : ابن عمك يقول :

\* ضِغْتُ ذَرْعاً بهجرها والكُتَابِ \*

ثم ركب بغلته وحاد .

### ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابي عن جارية له يقال لها زهرة ، فقيل له : أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت ؟ فقال : لا والله ! تنهب الأمة وتضيع الأمة . وجد أعرابي امرأة وكان قبيح الصورة ، فنظر فيها فرأى وجهه فاستقبحه ، فرمى بها وقال : لشر ما طرحتك أهلك . وقيل لأعرابي : لم يقال : باعك الله في الأعراب ؟ فقال : لأننا نُبيح كَيْدَهُ ، ونُغَيِّرُ جِلْدَهُ ، ونُطِيلُ كَدَّهُ . وتزوج أعرابي على كبر سنه ، فقيل له

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة : « باني » .

في ذلك ؛ فقال : أبادره باليُمِّ ، قبل أن يُبادرنى بالعقوب . ومرة أعرابيٌّ وفي يده رغيف برجل في يده سيف ، فقال : يعني هذا السيف بهذا الرغيف ؛ فقال : أجبون أنت ؟ فقال الأعرابيُّ : ما أنكرت مني ؟ أنظر أيهما أحسن أثرًا في البطن .

وحكى أن المهديَّ خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به إلى خيابة لأعرابيٍّ ، فقال : يا أعرابيُّ ، هل من قرويٍّ ؟ قال نعم ، وأخرج له فضلةً من خُبْزٍ مَلَّةٍ فأكلها وفضلةً من لبن فسقاه ، ثم أتى بنيذ في زُكوةٍ فسقاه قُبَا . فلما شرب قال : أتدري من أنا ؟ قال : لا والله . قال : أنا من خَدَم الخِلاصة ؛ قال : بارك لك الله في موضعك . ثم سقاه آخر ، فلما شربه قال : أتدري من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك من خدم الخِلاصة ؛ قال : بل أنا من قواد أمير المؤمنين ؛ فقال له الأعرابيُّ : رَجِبْتَ بلادك ؛ وطاب مَزادك ومَرادك . ثم سقاه قدحا ثالثا ؛ فلما فرغ منه قال : يا أعرابيُّ ، أتدري من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين ؛ قال : لا ولكنني أمير المؤمنين . فأخذ الأعرابيُّ الزُكوةَ فأوكأها وقال : والله لئن شربت الرابع لثقلوني ؛ إنك لرسول الله ؛ فضحك المهديُّ . ثم أحاطت بهم الخيل ، فقتل أبناء الملوك والأشراف ؛ فطار قلب الأعرابيِّ ؛ فقال له المهديُّ : لا بأس عليك ! وأمر له بصلصة . فقال : أشهد أنك صادق ، ولو أدعيت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابيٌّ على يزيد بن المهلب وهو على فرسه والناس يسمعون ، فقال : كيف أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما تُحِبُّ . فقال الأعرابيُّ : لو كنت كما أُحِبُّ كنت أنت مكاني وأنا مكانك ؛ فضحك يزيد .

(٢) القصب : القدح الضخم .

(١) الزكوة (بالضم) : زق لغير .

(٣) أوكأها : ربطها .

### ذكر شيء من نوادر القضاة

قيل : أتى عدى بن أرطاة شريفا القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها إليه ، فلما جلس عدى بين يدي شريح ، قال عدى : أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط . قال : إني أمرؤ من أهل الشام ، قال : بيد الدار . قال : وإني قدمت العراق ، قال : خير مقدم . قال : وتزوجت هذه المرأة ، قال : بالرفاء والبنين . قال : ولها ولدت غلاما ، قال : ليئلك الفارس . قال : وقد أردت أن أقبلها إلى داري ، قال : المرء أحق بأهله . قال : كنت شرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك . قال : آقض بيننا ، قال : قد فعلت . قال : فعل من قضيت ؟ قال : على ابن أمتك .

ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وأمرأته ، وكانت المرأة من أجمل النساء ، فاختصما إليه ، فأدلت المرأة بحجتها ، وقويت بيئتها . فقال للزوج : هل عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول :

فَتَيْنِ الشَّعْبِيَّ لَمَّا \* رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

فَتَنَّهُ بِدَلَالٍ \* وَخَطَّيْ حَاجِبَيْهَا

قَالَ لِمِصْلَوَازٍ قَرَّبَ : \* لَهَا وَقَدْ شَاهَدَتْهَا

فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَطِّ \* سِمْ وَلَمْ يَقِضْ عَلَيْهَا

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان ، فلما نظر إلى تبسم وقال :

فَتَيْنِ الشَّعْبِيَّ لَمَّا \* رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

سم قال : هـ . عنت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين

بما آتاك من حرمتي في مجلس الحكومة وما أفترى به علي . قال : أحسنت .

- وأحضر رجل أمرأته الى بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المتّقي، فيبحة المتّفر، قال القاضي لما على زوجها وقال: يعيد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء اليها . فظن الرجل لميله اليها فقال : أصلح الله القاضي، قد شككتُ في أنها أمرأتى، فمرّها تفسّر عن وجهها، فوقع ذلك يوافق من القاضي، فقال لما: أسفري رحمك الله؛ فسفرت عن وجه فيبحة . فقال القاضي لما نظر الى فيبحة وجهها:
- قومي عليك لعنة الله! كلامٌ مظلوم، ووجهٌ ظالم .

- قيل: بينا رقية بن مصقلة القاضي في حلقته، إذ مرّ به رجل غليظ العنق، فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله، هذا أصيد الناس . فقال رقية: إني لأرى لهذا عنقاً ما دققتهما العبادة<sup>(١)</sup> . قال: فضى الرجل وعاد قاصداً اليهم . فقال رجل لرقية:
- يا أبا عبد الله، أخبره بما قلت حتى لا تكون غيبة؛ قال: نعم، أخبره أنت حتى تكون نيمة . ودخل رقية الى المسجد الأعظم فألقى نفسه الى حلقة قوم، ثم قال: قتيل فالودج رحمكم الله! قالوا: عند من؟ قال: عند من حكم في العرقه وقضى في الجماعة، يبنى: ملال بن أبي بردة .

- وأختصم رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضي البصرة لعمر بن عبد العزيز . في مطرف نخز وأنجباني، وأدعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنجباني لصاحبه .
- ١٥ فدعا إياس بمشط وماء، فبل رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما: مسّح رأسك مسّحه، فخرج في المشط غير المطرف، وفي مشط الآخر غير الأنجباني؛ فقال:
- ياخييت! الأنجباني لك، فافتر. فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس: هل ترى على من بأس إن أكلت تمراً؟ قال لا . قال: فهل ترى على من بأس إن أكلت معه كيسوما؟ قال لا . قال: فإن شربت عليهما ماء؟ قال: جائز .
- ٢٠

(١) « ما دققتهما » وفي أصل آخر: « ما دقت » .

قال: فلم تحرم السكر، وإنما هو ما ذكرت لك؟ قال له إياس لو صحبت عليك ماء هل كان يضرك؟ قال لا. قال: فلو ثرت عليك تراباً هل كان يضرك؟ قال لا. قال: فإن أخذت ذلك خلطته وعجمته وجعلت منه لبنة عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرك؟ قال: كنت تهتلي. قال: فهذا مثل ذلك.

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي فسأله عن مسألة فافتاه، فأمر له بمائة ألف درهم. فقال: [إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتسجيلها قبل الصبح! فقال: عجّلوها له. فقيل: إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة. فقال أبو يوسف: وقد كنت في بيتي والدراب مغلقة، فلما ذهبت فُجحت. فقال له الرشيد: بلغنى أنك لا ترى لبس السواد. فقال: يا أمير المؤمنين، ولم وليس في بدني شيء أعزّ منه؟ قال: وما هو؟ قال: السواد الذي في عيني.

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد، فقال: لا أحرّمه، ولكني أكرهه. قال: ولم؟ قال: لأنه لا يُجَلَّى فيه عُرُوس، ولا يُلْبَى فيه مُحْرِم، ولا يُكْتَفَن فيه ميت. فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال: ما تقول أنت في السواد؟ قال: يا أمير المؤمنين. النور في السواد. فاستحسن الرشيد ذلك. ثم قال: وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين. فإن: وما هي؟ قال: لم يكتب كتاب الله إلا به، فاهتز الرشيد لذلك.

تقدم رجل إلى أبي حازم بن عبد العزيز السكّوني قاضي المعتد، وقدم أباه يطالبه بدين له. فأنز الأوب بالدين، وأراد الأبن حبس والده. فقال القاضي: هل لا بيتك مال؟ قال: لا أصه. قال: فذكم دايته بهذا المال؟ قال: نعم. قال: قد فرست عليك نقعة أبيك من وقت المدينة، فحبس الأبن وغلّ الأب.

كان عبد الملك بن عمر قاضي الكوفة، فهباه هُدَيْلُ الْأَنْصَبِيِّ بَايَاتِهَا :  
 إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمْتَهُ بِحَاجَةٍ \* فَهَمَّ أَنْ يَقْضِيَ تَحْتَهُ أَوْ سَلَّ  
 فَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقُولُ : قَاتِلْهُ اللَّهُ ! وَاللَّهِ لَرُبَّمَا جَاءَتْنِي التَّحْنُوتُ وَأَنَا فِي الْمَتْوَضَا فَأَذْكُرُ  
 مَا قَالَتْ فَأَرْدُهَا .

- وقيل : شهد سَامِيُّ الْمَوْسُوسِ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ : هُوَ —  
 أَصْلَحَكَ اللَّهُ — نَاصِيٍّ ، رَافِضِيٍّ ، قَدَرِيٍّ ، مَجْرِيٍّ ، يَشْتُمُ الْمُجْتَاحَ بْنَ الزَّيْدِ الَّذِي  
 يَهْدِمُ الْكُتُبَ عَلَى عِلَى أَبِي سَفْيَانَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : مَا أَذْرِي عَلَى أَيْ شَيْءٍ  
 أَحْسَدُكَ : عَلَى عِلْمِكَ بِالْمَقَالَاتِ ، أَمْ عَلَى مَعْرِفَتِكَ بِالْأَنْسَابِ ! فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ  
 الْأَمِيرُ ، مَا خَرَجْتُ مِنَ الْكُتَابِ ، حَتَّى حَذَفْتُ هَذَا كُلَّهُ وَرَأَيْتُ .
- ١٠ وَأَسْتَفْتِي بَعْضَ الْقَضَاةِ ، وَقَدْ أُسِيَتْ إِلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ قُرَيْمَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :  
 مَا يَقُولُ سَيِّدُنَا الْقَاضِي أَيُّدُهُ اللَّهُ فِي رَجُلٍ بَاعَ حِجْرًا مِنْ رَجُلٍ ، بَعِثَ رَفْعَ ذَنْبِهِ لِيَقْلِبَهُ نَزَجَتْ  
 مِنْهَا رِيحٌ مَصُونَةٌ أَتَصَلَّتْ بِحَصَاةٍ فَفَقَاتَ عَيْنَ الْمُشْتَرِي ؟ أَتُنْتَفِي فِي الدِّيَةِ وَالرَّدِّ يَرْحَمُكَ  
 اللَّهُ ، فَأَجَابَ : لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْبِدَائِعِ ، بَيْنَ مُشْتَرٍ وَبَائِعٍ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ فِي كُتُبِ  
 الْفُقَهَاءِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ فِي فُقُوحِ الْعُلَمَاءِ ؛ لَكِنْ هَذَا وَمَا شَاكَهُ يَجْرِي بِمَجْرَى الْفَضُولِ ،  
 الْمُسْتَخْرَجِ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقُولِ ، وَالْقَوْلِ فِيهِ — وَبِاللهِ الْعَصْمَةِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْخَطَلِ — :  
 أَنَّ دِيَةَ مَا جِئْتَهُ الْجَحْرُ مَلْنَى فِي الْمَدَرِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
 الْأَطْهَارِ ، « جُرْحُ السَّجَّاءِ جُبَّارٌ » ؛ لَا سِيَّمَا وَالْمُشْتَرِي عِنْدَ كَشْفِهِ لِعَوْرَتِهَا ، اسْتَنَارَ  
 كَامِنٌ سَوْرَتِهَا . وَعَلَى الْبَائِعِ لَهَا ارْتِجَاعُهَا ، وَرَدَّ مَا قَبِضَ مِنْ ثَمَنِهَا ، لِأَنَّهُ دَلَّسَ حِجْرًا  
 مَظْهِقًا مَتَّعِيْقُهَا . وَإِذَا كَانَتْ السَّهَامُ طَائِشَةً ، فَهِيَ مِنَ الْعِيُوبِ الْفَاحِشَةِ . وَكَيْفَ  
 يَمْتَنَعُ رَدُّهَا وَأَغْرَاضُهَا نَوَاطِرُ الْحَقِّ ، وَقَلْبًا يَسْتَظْهِرُ الْمُقْلَبُونَ الْخَلِيلَ بِالْذَّرَقِ .
- ٢٠

### ذكر شيء من نوادر النخاعة

فقم رجل من النخاعة خصما إلى القاضي، وقال: لي عليه مائتان وخمسون درهما.  
فقال لخصمه: ما تقول؟ فقال: أصلح الله القاضي، الطلاق لازم له، إن كان له  
إلا ثمانية، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه نحوي.

ومر أبو علقمة بأعدال قد كتبت طيبا: ربُّ سَلَم لأبو فلان؛ فقال لأصحابه:  
لا إله إلا الله! يلحنون ويريمون.

وجاء رجل إلى الحسن البصري فقال: ما تقول في رجل مات فترك أبيه  
وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال: ما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: ما لأبيه  
وأخيه. فقال الرجل: إني أراك كلما طأوتك تخالفني! . وقيل سكر هارون بن محمد  
أبن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف فغلبه السكر فقام في المضرب. فلما  
أنصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبهه وقال: يا هارون أنصرف. فقال: هارون  
لا ينصرف. فأعاد راشد القول على هارون، فقال هارون: سئل مولاك فهو يعلم  
أن هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال: هارون لا ينصرف؛ فتركه راشد.  
فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه؛ فأنكر على راشد، وقال:  
يا راشد، يمت في مضربي رجل لا أعلم به! فقال: أنت أمرتني بهذا، قلت:  
هارون لا ينصرف. فضحك وقال: ما أردت إلا الإعراب وظننت أنت غيره.

وقيل: قديم العريان بن الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفظ من مسامة فإنه  
يقول: لأن يقيمني رجل بحجر أحبُّ إلى من أن يُسميني رجل لحنا. فأتاه العريان  
ذات يوم فسلم عليه. فقال له مسامة: كم عطائك؟ قال: ألفين. فنظر إلى رجل  
عنده وقال له: لحى العراقي؛ فلم يفهم الرجل عن مسامة، فأعاد مسامة القول على



المریان وقل : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان . فقال : ما الذى دماك الى الحسن أولاً  
والإعراب ثانياً ؟ قال : الحسن الأصغر فكرهت أن أصرب ، وأعرب فأعربت .  
فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

- ووقف نحوى على بقال يبيع الباذنجان فقال له : كيف تبيع ؟ قال : عشرين بدائق ،  
• فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدائق ؟ فقل البقال أنه يستريده : فقال ثلاثين  
بدائق . فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين ،  
فقال : وما عليك أن تقول : سبعون ؟ فقال : أراك تعدد على الثمانون وذلك لا يكون أبداً .

### ذكر شيء من نوادر المتنبيين

- قيل : ادعى رجل النبوة فى أيام المهدي ، فأدخل عليه ، فقال له : الى من بُعثت ؟  
فقال : ما تركتموني أنذهب الى من بُعث اليهم ، فأبى بُعثت بالفسادة وحبستهم  
١٠ بالشئ . فضحك المهدي منه وأمر له بجائزة وخلّ سيّله .

- وتبأ رجل وأدعى أنه موسى بن عمران . فبلغ خبره الخليفة ، فأحضره وقال له : من  
أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم . قال : وهذه عصاك التى صارت ثعباناً !  
قال نعم . قال : فالتقىها من يدك ورمها أن تصير ثعباناً كما فعل موسى . قال : قل  
أنت ( أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ) كما قال فرعون حتى أُصيرّ عصاى ثعباناً كما فعل موسى .  
١٥ فضحك الخليفة منه واستظرفه . وأحضرت المائدة . فقيل له : أكلت شيئاً ؟ قال :  
ما أحسن العقل ! لو كان لى شيء آكله . ما الذى كنت أعمل عندكم ؟ فأعجب  
الخليفة وأحسن اليه .

- وأدعت امرأة النبوة على عهد المأمون ، فأحصرت اليه فقال لها : من أنت ؟  
قالت : أنا فاطمة النبوة . فقال لها المأمون : أقيمى بين حاء به محمد صلى الله عليه  
٢٠

وسلم ؟ قالت : نعم ، كل ما جاء به فهو حق . فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لانيّ بعدى » . قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال : لانيّة بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أما أنا فقد أقطعت ، فمن كانت عنده حجة فليأت بها ، وضحك حتى غطى على وجهه .

وآدعى رجل النبوة بقيل له : ما علامات نبوتك ؟ قال : أنبئكم بما في نفوسكم . قالوا : فإنا في أنفسنا ؟ قال : في أنفسكم أنى كذبت ولست بنبي .

وتبأ رجل في أيام المأمون ، فأُتي به إليه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : فما معجزتك ؟ قال : ماشئت . قال : أخرج لنا من الأرض بطيخة . قال : أمهلني ثلاثة أيام . قال المأمون : بل الساعة أريدنا . قال : يا أمير المؤمنين ، أنصفني ، أنت تعلم أن الله يُنبئها في علامة أشهر ، فلا تقبلها مني في ثلاثة أيام ! فضحك منه ، وعلم أنه محض ، فاستتابه ووصله .

وآدعى آخر النبوة في زمانه فطالبه بمُعْجَزة ، فقال : أطرح لكم حصاة في الماء فأذيتها حتى تصير مع الماء شيئاً واحداً . قالوا : قد رَضِينَا . فَأَتْرَجَ حصاةً كانت معه فطرحها في الماء فذابت . فقالوا : هذه حيلة ، ولكن أَدِبْ حصاةً غيرها نأتيك بها نحن . فقال لهم : لا تتعصبوا ، فلستم أضلّ من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى ، ولم يقل فرعون موسى : لا أرضى بما فعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تحصلها ثعباناً . فصحك المأمون منه وأجازه .

وآدعى رجل النبوة في أيام المعتصم ، فأحضر بين يديه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : إني من نبئت ؟ قال : إليك . قال : أشهد إنك لسفيه أحمق . قال : إنما يذهب إلى كل قوم مثلهم . فضحك منه وأمر له بشيء .

وَأَدْعَى آثَرَ النَّبِوةِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا مُعْجِزَتُكَ ؟ قَالَ : سَلْ مَا شِئْتَ ؛  
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ قُتْلٌ ، قَالَ : خُذْ هَذَا الْقَتْلَ فَاتَّخِمْهُ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، لَمْ أَقُلْ  
إِنِّي حَتَّادٌ . فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَسْتَبَاهُ وَأَجَازَهُ .

وَأَدْعَى آثَرَ النَّبِوةِ ، فَطَلِبَ وَدَّعَى لَهُ بِالسِّيفِ وَالنَّطْلِجِ ؛ فَقَالَ : مَا تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا :

نَقْتُلُكَ . قَالَ : وَلِمَ تَقْتُلُونَنِي ؟ قَالُوا : لِأَنَّكَ أَدَّعَيْتَ النَّبِوةَ . قَالَ : فَلَسْتُ أَدَّعِيهَا .

قِيلَ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا صِدِّيقٌ . فَدَّعَى لَهُ بِالسِّبَاطِ ؛ فَقَالَ : لِمَ تَضْرِبُونَنِي ؟

قَالُوا : لِأَنَّكَ أَتَيْتَ صِدِّيقًا ؛ قَالَ : لَا أَدَّعَى ذَلِكَ . قَالُوا : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :

مِنَ التَّابِعِينَ لِمَنْ بِالْحَسَنِ . فَدَّعَى لَهُ بِالْأُذَّةِ . قَالَ : وَلِمَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : لِأَنَّكَ أَتَيْتَ

مَا لَيْسَ بِكَ ؛ فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَدْخُلْ إِلَيْكُمْ وَأَنَا نَبِيٌّ تَرِيدُونَ أَنْ تَحْطُونِي فِي سَاعَةٍ

وَاحِدَةٍ إِلَى مَرْتَبَةِ الْعَوَامِّ ! لَا أَقُلُّ مِنْ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَى الْغَدْحِيِّ أَصْبِرَ لَكُمْ مَا شِئْتُمْ .

وَأَدْعَى آثَرَ النَّبِوةِ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ نَوْحًا ، فَتَبَاهَا صَدِيقٌ لَهُ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَنْتَه ؛ فَخَذَهُ

الْسلطانَ وَصَلَبَهُ ؛ فَتَزَبَّاهُ صَدِيقُهُ الَّذِي كَانَتْ يَنْهَاهُ . فَقَالَ : يَا نَوْحُ ! مَا حَصَلَ لَكَ

مِنَ السَّفِينَةِ فِيمَا أَلْقَى .

### ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ إِدَارِ الْمَغْفَلِينَ وَأَخْتِ

قَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ أَبْنَ خَلْفِ الْمَدَائِنِ فِي صَحْرَاءٍ وَهِيَ مَطْلَبُ شَيْخٍ . فَقُلْتُ لَهُ :

مَا تَبْنِي هَاهُنَا ؟ قَالَ : دَفَعْتُ شَيْئًا وَلَسْتُ أَهْتَدِي إِلَيْهِ . قُلْتُ : مَهْلًا سَأَلِمْتُ طَلْعَ

بَشْيٍ ! قَالَ : جَعَلْتُ عَلَامَتِي قِطْعَةً مِنَ الْخَمِيرِ كَانَتْ فَوْقَهُ . وَهِيَ أُرَاهُ . وَنَظَرُ

مَرَّةٍ فِي الْحُبِّ (وَهُوَ الزَّرِيرُ) فَرَأَى وَجْهَهُ . فَعَدَا إِلَى أُوَّةٍ مِنْهَا ؛ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى لَحِقَ .

بِخَامَتِ أُمِّهِ وَتَطَلَّمَتْ فِيهِ . فَقَالَتْ : يَا وَاقِعُ وَهِيَ خَائِفَةٌ .

وهو يعلو صَوّاً شديداً ويقرأ بصوت عال . فسئل عن ذلك فقال : أردت أن أسمع صوتي من بعيد . ودخل إلى رجل يمزّيه ، فقال : عظم الله مصيبتكم ، وأعان أخاك على ما يريد عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس . فقال : تضحكون مما قلت ! وإنما أردت هاروت وماروت .

وقيل : كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي ، ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا . فدخل عليه أبو زياد التيمي ، وكان مغفلاً فقال : أصلحك الله ! أكتفي في القواعد ، فقال له : عافاك الله ، القواعد من النساء اللاتي قصدن عن أزواجهن . فقال : فأكتفي في العميان . قال : أكتبوه منهم ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . قال أبو زياد : وأكتب أبي في الأيتام ؛ قال : نعم ! من كنت أباه فهو يتيماً .

وسئل بعضهم عن مولده ، فقال : وكُنت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، فاحسبوا الآن كيف شتمت .

### ذكر شيء من نوادر النبيذيين

قال رجل لبعض أصحاب النبيذ : وجهت إليك رسولا عشيّة أمس فلم يجدك ؛ فقال : ذاك وقت لا أجد فيه قسي .

وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الغداة والظهر . قالوا : فالعصر ؟ قال : تعرف وتنكر . قالوا : فالعشاء ؟ قال : يبلغها الجواد . قالوا : فالعتمّة ؟ قال : ما كانت لنا في حساب قط .

شرب الأقيشر في حانوت نهار حتى نفذ مامعه ، ثم شرب بشياؤه وبؤه .  
بجلس في تين يستدفئ به . فتر رجل يشد ضالّة ؛ فقال الأقيشر : آله آ .

وأحفظ علينا . فقال له الخمار : تَحَنَّنْ عَلَيْكَ ، أَيُّ شَيْءٍ يَحْفَظُ عَلَيْكَ رَبُّكَ ! قال :  
هذا التبن ، لئلا يأخذه صاحبه فأهلك من البرد .  
وباع بعضهم ضَيْعَةً لَهُ ؛ فقال له المشتري : بالعشَى أَشْهَدُ عَلَيْكَ . فقال : لو كُنْتُ  
مَنْ يَفْرَغُ بِالْعَشَى مَا بَعْتُ ضَيْعَتِي .

### ذكر شيء من نوادر النساء والحواري

قال رجل : قلت لبحارية أريد شراها : لَا يُرِيكَ شَيْءٌ ؛ فَإِنِ عِنْدِي قُوَّةٌ .  
فقال : أَيَسْرُكَ أَنَّ عِنْدَكَ عَجُوزًا مُقْتَلِمَةً !

أُدْخِلْ عَلَى الْمَنْصُورِ جَارِيَتَانِ فَأَعْجِبْنَاهُ . فقالت التي دخلت أولا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنِي عَلَى هَذِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالسَّائِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾ . وقالت الأخرى : لَا ، بَلِ  
اللَّهُ فَضَّلَنِي عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّاحِقَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

وَعُرِضَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ جَارِيَتَانِ يَكْرُوْنِيْبُ ؛ فَمَالَ إِلَى الْبِكْرِ . فقالت الثيب : مَا بَيْنَنَا  
إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ . فقالت البكر : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

قِيلَ لَأَمْرَأَةٍ ظَرِيفَةٌ : أَيَكْرَأُ أَنْتِ ؟ قالت : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكِسَادِ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِبَحَارِيَةٍ اسْتَعْرَضَهَا : أَنْتِ بَكْرٌ أَمْ إِيْشٌ ؟ قالت : أَنَا إِيْشٌ يَا أَمِيرَ

المؤمنين .

وَاسْتَعْرَضَ رَجُلٌ جَارِيَةً فَاسْتَجَبَ قَدَمَيْهَا . فقالت : لَا تَبَالٍ ؛ فَإِنِّي أَجْعَلُهُمَا  
وَرَاءَ ظَهْرِكَ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِبُغِيضٍ جَارِيَتِهِ : إِنَّكَ لَدَقِيقَةُ السَّاقِينَ . قالت : أَحُوجُ مَا تَكُونُ

إِلَيْهِمَا لَا تَرَاهُمَا .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إصحاق: أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة، وقد مضى شطر الليل؛ قال: فأخرج جارية كأنها مَهَاءٌ، فأجلسها في حجره، ثم قال غَنِيٌّ، ففتته:

جَنُّنٌ مِنَ الرُّومِ وَقَالِقِلا<sup>(١)</sup> • يَرْفُلُنَ فِي الْمِرْطَ وَلِيْنِ الْمَلَا  
مُقَرَّمَقَاتُ بَصْنُوفِ الْحَلِّ • يَاجِذَا الْيَبْضُ وَتَكَ الْحَلِّ  
فَاسْتَحْسَهُ وَشَرَبَ عَلَيْهِ .

طلبت جارية محمود الوزاق النعم بمسمة آلاف دينار، فاستع من بيدها، واشتريت له بعد ذلك من ميراثه بمسمة دينار . فذكر المعنم ذلك لها، فقالت: إن كان أمير المؤمنين ينتظر شهواته الموارث فسبعون ديناراً في ثمن كثير، فكيف بمسمة!

وأستعرض رجل جارية فقال لها: في يدك عمل؟ قالت: لا، ولكن في رجلي .  
وحكى أن بعض الجبان كان يشق جارية أجمن منه . فضاق يوماً، فكتب إليها: قد طال عهدي بك ياسيدي، وأقلقني الشوق إليك . فإن رأيت أن تستدركي رمي بمسمة ذلك وتعلميه بين دينارين وتغذيه إلى لأستشفى به فعلت إن شاء الله . ففعلت ذلك وكتبت إليه: ردَّ الظُّرْبِ مِنَ الظُّرْفِ، وقد سارعتُ إلى إتمام ما طلبتُ؛ فأنيم برِّد الطبق والمكبة، وأستعمل الخمر: « إَسْتِدْرُوا الْمُدَايَا بِرَدِّ الظُّرُوفِ » .

وطلب آخر من عشيقته خاتماً كان معها؛ فقالت: يا سيدي، هذا ذهب وأخلف أن تنهب، ولكن خذ هذا العود حتى تعود .

وكتب رجل الى عشيقته : مُرِّى خيالك أن يلم بى . فكتبت اليه : ابعث الى بدينارين حتى آتيك بنفسى .

قدم بعضهم عيجوزا دلالة الى القاضى وقال : أصلح الله القاضى ، زوجنى هذه امرأة ، فلما دخلت بها وجدتها عرجاء . فقالت : أصلح الله القاضى ! زوجته امرأة يمامعها ، ولم أعلم أنه يريد أن يجمع عليها أو يساقى بها فى الخلبة أو يلعب عليها بالكرة والصوبلجان ! .

كتب رجل الى عشيقته رقة ، قال فى أولها : عصمتنا الله وإياك بالتقوى . فكتبت اليه فى الجواب : يا غليظ الطبع ، إن استجاب الله دعائك لم تثق أبدا . قال عقيل بن بلال : سمعتى أمراية أنشد :

وكم ليلة قد نبتها غير آثم \* بمهضومة الكشعين ريانة القلب<sup>(١)</sup>  
فقلت : هلا أئمت ! أنزلك الله ! .

كان أبو نواس يوما عند بعض إخوانه ، ففرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب خضر . فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى . فقالت : وما رأيت ؟ قال : ألك معرفة بعلم التمييز ؟ قالت : ولا أعرف غيره . قال : رأيت كأنى راكب دابة شهباء ، وعليها جل أخضر وهى تمرح ترحى . فقالت : إن صدقت رؤياك فستدخل بخله . وقد روى أن هذه الحكاية آتت له مع عنان جارية الناطقى .

وكان بعضهم جالسا مع أمراءه فى منظره ، فتر غلام حسن الوجه ، فقالت : أعيد هذا بالله ، ما أحسنه وأحسن وجهه وقده ! فقال الزوج : نعم ، لولا أنه خصى . فقالت : لعنه الله ولن من خصاه ! .

قال أبو العيئة : خطبتُ امرأة فاستجبني . فكبت اليها :  
 فإن تتغيري من قبح وجهي فإني \* أريب أديب لا غني ولا فدم  
 فأجابني : ليس لديوان الرسائل أريدك .  
 وخطب ثأمة العوفي امرأة . فسألت عن حرفته ؛ فكتب اليها يقول :  
 وسائلة عن حرفتي قلت حرفتي \* مقارمة الأبطال في كل مآزق  
 وضربى كل الأبطال بالسيف معلماً \* إذا زحف الصفان تحت الخواقي  
 فلما قرأت الشعر، قالت للرسول : قل له : قدبتك ! أنت أسد، فأطلب لك  
 لبؤة؛ فإني ظلية أحتاج الى غزال .

خرجت حبي المدنية في جوف الليل، فلقيها إنسان فقال لها : تخرجين في هذا  
 الوقت ! قالت : ما أبالي، إن لقيني شيطان فأنا في طاعته، وإن لقيني رجل فأنا  
 في طلبه . وجاءت الى شيخ يبيع اللبن ، ففتحت ظرفاً فدأته ودفعته إليه  
 وقالت : لا تعجل بشده ؛ ثم فتحت آخر فدأته ودفعته إليه . فلما أشغلت يديه  
 جميعاً، كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تصفق <sup>(١)</sup> بظاھر قدميها آسته وخصييه ،  
 وتقول : يا ثارات ذات النّعين، والشيخ يستغيث، فلم يخلص منها إلا بعد جهد .

غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه آشتري جارية، فاشتريت غلامين . فبلغه  
 ذلك بغاء مبادرا، وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أنّ الرّحى الى بفلن أحوج  
 من البغل الى رحّين ! ولكن ج الجارية حتى نبيع الغلامين ؛ ففعل ذلك ففعلت .  
 ومثل ذلك ما حكى عن الأحنف : أنه اعتمّ ونظر في المرأة ؛ فقالت له  
 امرأته : كأنك قد هممت بخطبة امرأة ! قال : قد كان ذلك . قالت : فإذا فعلت

(١) تصفق : تضرب - والصفق : الضرب يسمع له صوت .



فاعلم أن المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى امرأتين . فتقض عمته وترك ما كان قد حم به .

### ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سيّابة لبشار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريهته إلا عوضه عنهما : إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت . فما الذى عوضك الله عن عينيك؟ قال : فقد النظر لبنيض قليل مثلك !<sup>(١)</sup>

ونظير هذه الحكاية ما حكى عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض شأني ، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وبيده سراج ، فلم يزل حتى انتهى الى النهر ، وملا جرتيه وعاد . قال : نقلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلك ، يستضيء به لئلا يعثر في الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتي .

قالوا : بلغ أبا العيّا أن المتوكل يقول : لولا عي أبى العيّا لاستكثرته منه؛ فقال : قولوا لأمر المؤمنين : إن كان يريدني لرؤية الأهلة ونظم الآتي والبواقيت وقراءة نقوش الخوانيم ، فإنا لا أصلح لذلك ؛ وإن كان يريدني للحاضرة والمنادمة والمذاكرة والمسامرة ، فاهت بي . فأنهى ذلك الى المتوكل فضحك منه ، وأمر بإحضاره ، فحضر وتأدبه .

تزوج بعض العديان بسوداء ؛ فقالت له : لو نظرت الى حسن . وحالي وبياض لأزددت في حباً . فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تبكك لي البصراء .

(١) في إحدى النسخ - - - - - الرأفة - - - - -

(٢) في النسخ - - - - - الأديا - - - - - الحكاد روح - - - - - ٢٠

## ذكر شيء من نوادر السؤال

سأل أبو حويز رجلا فتنمه، فأخّ عليه فأعطاه؛ فقال: اللهم آجرنا وإياهم، نسألكم  
إلحافا ويعطوتنا كرها، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يُحرّم عليها .

وقف أعرابي سائل على باب وسأل؛ فأجابته رجل وقال : ليس هاهنا أحد .  
فقال : إنك أحدٌ لو جعل الله فيك بركة .

ووقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة؛ فسمع السائل  
صوت بولتها فظننه نثيش المقل، فقال : أطعمونا من هذا الذي تَقْلُونه؛ فضرطت  
المرأة وقالت : حَطَبْنَا رَطْبٌ لَيْسَ يُشْمَلُ .

ووقف سائل على باب وقال: تصدّقوا علىّ فإني جائع . قالوا: إلى الآن لم نخبز .  
قال : فكفّ سويقي . قالوا: ليس عندنا سويق . قال: فشربة من ماء فإني عطشان .  
قالوا : ما أمانا السقاء . قال : فيسير دهن أجعله في رأسي . قالوا: من أين لنا دهن .  
فقال : يا أولاد الزنا، فإفْعُودْكُمْ هُنا ! قوموا وأشْمُتُوا معي !<sup>(١)</sup>

## ذكر شيء من نوادر من أشهر بالمجون

كان مُزَبَّدٌ من أشهر بالمجون والنوادر، وله نوادر . فنها ما قيل : إنه أخذه  
بعض الولاة وقد أَثْمَمَ بالشُّرب، فاستنكهه، فلم يحصد منه رائحة؛ فقال : قَيْثَوْه .  
فقال مُزَبَّدٌ : ومن يضمن عِشائِي أصلحك الله؟ فضحك منه وأطلقه . وهبّت ريح  
شديد فصاح الناس : القيامة، القيامة ! فقال مُزَبَّدٌ : هذه قيامة على الرّيق بلا دابة،  
ولا دَجَال، ولا القائم، ولا عيسى بن مريم، ولا ياجوج وماجوج . وقيل له :

(١) هذه الكلمة عامية . والمصحح في هذا المعنى «شخذ» أو «سأل» .

لم لا تكون كفلاً؟ (يعنون رجلاً مومراً) فقال : بأبي أتم ! كيف أشبهه بمن يضطرب  
فِيْشُمْتُ<sup>(١١)</sup> وأعطسُ فألطم ! . وقيل له : ما بال حمارك يتبدل إذا توجه نحو المقتل  
وحيد الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المقلب . ونظرت أمرأته  
وهي حيلت إلى قبح وجهه ، فقالت : الويل لي إن كان الذي في بطني يُشبهك .  
فقال لها : الويل لك إن لم يكن يشبهني . وميَّع رجلاً يقول عن ابن عباس :  
مَنْ نَوَى حِجَّةً وعاقه عائق ، كُتِبَتْ لَهُ . فقال مزبذ : ما نخرج العام كراء أرخص  
من هذا .

ومن أشهر بالمحون أشعب .

ذكر شيء من نوادر أشعب وأخباره

هو أشعْب بن جُبَيْر، واسمه شُعَيْب، وكنته أبو العلاء. وأمُه أمُ الجَلَدِخ، وقيل: <sup>(٢١)</sup>  
 أمُ حَمْدِ حَمْدَة، وهى مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها. وكان أبوه  
 قد خرج مع المختار بن أبى عبيد، فأمره مُصَنَّب بن الزبير، فقال له: وإليك!  
 تخرج عاباً وأنت مولأى! وقتله صبرا. وقد قيل فى ولائه: إن أباه مرنى عثمان  
 ابن عفان رضى الله عنه، وإن أمه كانت مولاة أبى سفيان بن حرب. . . . .  
 أم المؤمنين أخذتها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت حرة. . . . .  
 أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فيستظرفها؛ ثم صار من أهل بيته. . . . .  
 بعض، وغرى بينهم. فأما علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فهو من أهل بيته. . . . .

$\frac{d}{dt} \left( \frac{\partial L}{\partial \dot{x}} \right) = \frac{\partial L}{\partial x}$

۱۶۱ - اہل سنت : "کون" ، "ہو" ، "ہو"

عن أشعب : أنه جلس يوماً في مجلس فيه جماعة ، فتفاخروا وذكر كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يتخلج به الناس ويتفانرون ، فوثب أشعب وقال : أنا ابن أم الجلتدح ، أنا ابن المحرشة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . فقيل له : ويلك ! أو بهذا يفخر الناس ! قال : وأى افتخار أعظم من هذا ! لو لم تكن أمي عندهن همة لما قيلن روايتها في بعضهن بعضاً . وقد حكي : أنها زنت ، فخلقت ، وطيف بها على جل ، فكانت تنادى على نفسها : من رآني فلا يزني . فقالت لها امرأة : نهانا الله عز وجل عنه فصمتناه ، وطيطك وأنت مجلودة مخلوقة ، راكبة على جل ! . ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب ، وكفلته ونولت تربيته عائشة بنت عثمان . وعمر أشعب عمراً طويلاً . وحكى عنه أنه قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه يوم الدار لما حُصر ، فلما جرد مما ليكـه السيوف ليقاوتوا كنت فيهم ، فقال عثمان : من أغمد سيفه فهو حر . فلما وقعت في أذي كنت والله أقل من أغمد سيفه فمُتقت . وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة . وهذا القول يدل على أنه كان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه الى إبراهيم بن المهدي عن عبيد ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من مماليك عثمان بن عفان . وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي . قال : وكانت في أشعب خلل ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان أقوم أهل دهره لمجح المعتزلة ، وكان أمراً منهم . وقال مصعب بن عبد الله : كان أشعب من القراء حسن الصوت بالقراءة ، وكان قد نكح وغزا ؛ وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعي : قال أشعب : نشأت أنا وأبي الزناد

في حجر عائشة بنت عثمان؛ فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المترلة . وقال إسماعيل  
ابن إبراهيم : كان أشعب مع ملاحته ونوادره ينثي أصواتا فيجيدها . وفيه يقول عبد الله  
ابن مُصعب الزبيري عفا الله عنه :

إذا تمززت صُرَاجِيَّةٌ \* كمثل ريح المسك أو أطيْبُ  
ثم تقنّى لي بأهزاجه \* زيد أخو الأنصار أو أشعبُ  
حيبت أنى ملكٍ جالسٍ \* حقت به الأملاك والموكب  
وما أبالي وإله العلا \* أشرق العالم أم غرّروا

- ولأشعب نولدر مستظرفة وحكايات مستحسنة، وقد آن أن نذكرها . فنها  
ما حكي أنه كان يقول : كلبي كلب سوء، يصبص للضياف، وينبع على أصحاب  
الهدايا . وقيل له : قد لقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلوحظت  
أحاديث تحدث بها ! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث . قيل : لحدثنا . قال : حدثني  
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : خلتان لا يجتمعان في مؤمن إلا دخل  
الجنة، ثم سكنت . فقيل له : هات، ما الخلتان؟ قال : نبي عكرمة إحداهما ونسيت  
أنا الأخرى . وكان أشعب يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول :  
حدثني عبد الله ، وكان يُقضى في الله . وكان أشعب يلزم طعام سالم بن عبد الله  
ابن عمر رضي الله عنهم . فأشتهى سالم أن يأكل مع بناته ففرج إلى البستان؛ فغاء  
أشعب إلى منزل سالم على عادته؛ فأخبر بالقصة ؛ فأكثرى جملاً بدرهم وجاء إلى  
البستان . فلما حاذى الحائط وثب فصار عليه ؛ فغطى سالم بناته بشوبه وقال :  
بناتي بناتي ! فقال أشعب : ( لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ  
مَا نَزِيدُ ) .

قال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك ؛ فجعلته بين يدي الفراش . بغات بعد أيام وقالت : بأبي أنت ! الدينار ؛ قفلت أرفعى فراشى وخدى ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت الى جنبه درهما ، فأخذت الدرهم وتركته الدينار . وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر فأخذته ، وفي الثالثة كذلك . وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتها بكيت ؛ فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك في النفاس . فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس ! .

- ومن أخباره المستطرفة ما حكاه المحدثي ، قال : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس ؛ فررت بالقرشين وغيهم فلم يعطني أحد شيئا . فغثت الى أمي ، فقالت : مالك قد جئت خائبا ؟ فأخبرتها بذلك ؛ فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك . فرجعت فجعلت أقول : يا رب أقلني ، ثم رجعت ، فما مررت يجلس لقريش ولا غيهم إلا أعطوني ؛ ووهب لي غلام ؛ فغثت الى أمي بجمال موقرة من كل شيء . فقالت : ما هذا الغلام ؟ فنفثت أن أخبرها فتموت فرحا إن قلت : وهبوه لي . فقالت : أي شيء هذا ؟ فقلت : غين . قالت : أي شيء [ <sup>(١)</sup> غين ] ؟ قلت : لام . قالت : أي شيء [ <sup>(١)</sup> لام ] ؟ [ قلت : ألف . قالت : وأي شيء [ <sup>(١)</sup> ألف ] ؟ قلت : ميم . قالت : وأي ميم ؟ قلت : غلام ؛ ففثني عليها . وأولم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحا . قال : وجلس أشعب يوما الى جانب مروان بن أبان بن عثمان ؛ فانقلبت من مروان ريح لها صوت ؛ فانصرف أشعب يومه الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح . فلما أنصرف مروان الى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية ،

قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التي تحملتها عنك ، وإلا شهرتك ؛ فلم يدعه حتى أخذ منه شيئا صالحه عليه .

- وقال محمد بن أبي قبيلة : غدّى أشعب جدّاً بلبن أمّه وغيرها حتى بلغ غاية ، ثم قال لزوجه أتم أبنه وردان : إني أحب أن ترضيه بلبنك ففعلت . ثم جاء به الى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فقال : نأقه إنه لأجنى ، رضع بلبن زوجتي ، قد حبوتك به ، ولم أر أحدا يستأهله سواك . فنظر إسماعيل إليه وأمر به فذُبح وسُيِّط . فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة ؛ فقال : ما عندي والله اليوم شيء ، ونحن من تصرف ، وذلك غير فائت لك . فلما يئس أشعب منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر ، ثم أندفع فشبّه حتى التقت أضلاعه ، ثم قال : أخلىني .
- قال : ما معنا أحد يسمع ، ولا عليك عين . قال : وثب أبنيك إسماعيل على أبيي فذبحه وأنا أنظر اليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أما ما أريد فوالله مالي في إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك . فخرّاه خيرا وأدخله منزله وأخرج اليه مائتي دينار فقال : خذ هذه ، ولك عندنا ما تحب . قال : ونخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطلّ عليه ، فإذا به مسترسل في مجلسه . فلما رأى وجه أبيه أنكره وقام إليه ؛ فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب ! قتلت ولده ؟ قال : فاستضحك وقال : جاءني ، وأخبره الخبر . فأخبره أبوه بما كان منه وما صار إليه . قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رُعْنِي راعك الله ! فيقول : روعة أبنيك بنا في الجدى أكثر من روعتك بالمائتي دينار .

- قال المدايني : دخل أشعب على الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ، وعنده أعرابي قبيح المنظر ، مختلف الحلقة ؛ فسبق أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبي أنت وأمي ، أتأذن لي أن أسلح عليه ؟ فقال : إن شئت . ومع الأعرابي قوس وكنانة ، ففوق

نحوه مهما، وقال : والله لئن فعلت لكونن آخر ملحة ملحتها . فقال أشعب  
لحسين : جئتُ فذاك، أخذني القولنج<sup>(١)</sup> . وعنه قال : ترضا أشعب فنسل رجله  
اليسرى وترك اليمنى . فقيل له : لم تركت نسل اليمنى؟ قال : لأن النبي صلى الله عليه  
وسلم قال : « أمتي غُرٌّ محجلون من آثار الوضوء » وأنا أحب أن أكون أغرَّ محجلاً  
مطلق اليمنى . وقال : سمع أشعب حبي المدينة يقول : اللهم لا تمنني حتى تغفر لي  
ذنوبي، فقال لها : يا فاسقة ! أنت لم تسألني الله تعالى المغفرة، وإنما سألته عمر  
الأبد ! ( يريد : أن الله لا يغفر لها أبداً ) .

وقال الزبير بن بكار : كان أشعب يوماً في المسجد يدعو، وقد قبض وجهه  
فصيره كالصبرة<sup>(٢)</sup> المجموعة . فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فخصبه وناداه :  
يا أشعب، إنما أنت تتابى ربك ففناه بوجه طليق . قال : فأرني لحية حتى وقعا  
على زوريه<sup>(٣)</sup> . قال : فأعرض عنه، وقال : ولا كلّ ذا .

وقال مصعب : بلغ أشعب أن الناضري قد أخذ في مثل مذهبه ونواذره ،  
وأن جماعة أستطابوه ، فزوّجهم حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم  
ويضحكهم ، فصار إليهم ، ثم قال : قد بلغني أنك قد نحوت نحوي ، وشغلت عني  
من كان يألني ، فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل . ثم غضب وجهه وعرضه وشججه ،  
حتى صار عرضُه أكثر من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل

(١) القولنج (بضم القاف وقد فتح ، وفتح اللام وقد تكسر) : مرض معوي مؤلم يصير منه خروج  
الضل والرج .

(٢) الذي في الجناح الصغير : « أمتي يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء » .

(٣) كذا في الأغاني . والصبرة : المناسب من معانيها هنا أن تكون بالضم بمعنى الكومة المجمعة  
من الطعام وغيره . وفي الأصول : « كالشجرة » . ولم نجد لها معنى مناسباً .

(٤) . الزور : وسط الصدر .



وجهه حتى كاد ذقته يحوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيف؛ ثم تزع ثيابه وتحادب، فصار في ظهره حلبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر، ثم تزع سراويله، وجعل يمد يجلده خصويه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهما من يده، وجعل يمس، وهما يخطان الأرض، ثم قام فتناول وتمدد وتمطى، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال . فضحك القوم حتى أغشى عليهم، وقطع بالفاضري فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء، لا أطود ما تكره أبدا، إنما أنا عبدك وتخريجك؛ ثم انصرف أشعب وتركه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عتي، قال : لقي أشعبَ صديقاً لأبيه، فقال له : ويلك يا أشعب ! كان أبوك الحلي وأنت أقط<sup>(١)</sup>، فإلى من خرجت تشبه ؟ قال : إلى أمي .

وقال الهيثم بن عدي : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال : يسألونني عن أحاديث الملوك؛ ويعطونني عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقي أشعبَ سالم بن عبد الله بن عمر، فقال له : يا أشعب، هل لك في هريس أعيد لنا ؟ قال : نعم، بأبي أنت وأمي . فمضى أشعب إلى منزله، فقالت له امرأته : قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال : ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلة، وليس لي بد من المضي إليه . قالت : إذا يفضب عبد الله . قال : آكل عنده ثم أصير إلى عبد الله . فجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالي . فقال له : كل يا أشعب، وأبعث ما فضل

(١) الأقط : القصير الشعر .

عكك إلى متراك . قال : ذلك أردت ، بأبي أنت وأمي . قال : فقال : يا غلام ،  
أحمل هذا إلى منزله ، ففعله ومشي أشعب معه . فقالت امرأته : تكفك أمك ، قد  
حلف ببلده لا يكفك شهرا ؛ قال : دعني وإياه ، هاتي شيئا من زعفران ؛ فأعطته ،  
فأخذته ودخل الحمام ، فمسح على وجهه وبذنه ، وجلس في الحمام حتى صفره ،  
ونخرج متوكئا على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان . فلما رآه  
حاجبه قال : ويحك ! بلغت بك العلة ما أرى . ودخل فأعلم صاحبه ، فأذن له .  
فلما دخل عليه ، إذا سالم بن عبد الله عنده ، فجعل يزيد في الرعدة ، ويقارب الخطو ،  
وجلس وما كاد أن يستقل . فقال عبد الله : ظلمتاك يا أشعب في غضبتك عليك .  
فقال له سالم : ويلك ! مالك ؟ ألم تكن عندي آتقا وأكلت هريرة ! قال : لقد  
شبه لك ، لاحول ولا قوة إلا بالله . قال : لعن الشيطان يتشبه بك . قال أشعب :  
عليّ وعليّ ! إن كنت رأيتك منذ شهر . فقال له عبد الله : أعزب ويلك عن خالي !  
أنتبه لا أم لك ! قال : ما قلت إلا حقا . قال : بحياتي أصدقني وأنت آمن  
من غضبي . قال : وحياتك لقد صدق ؛ وحذته بالقصة ؛ فضحك حتى استلقى  
على قفاه .

وقال المدائني والميثم بن عدي : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان  
إلى أشعب بعد ما طلق أمراته سعة ، فقال له : يا أشعب ، لك عندي عشرة  
آلاف درهم على أن تبذل رساتي سعة . فقال له : أحضر المال حتى أنظر إليه ،  
فأحضر الوليد بدرة ، فوضعا أشعب على عنقه ، وقال : هات رسالتك . قال :  
قل لها يقول لك :

أسعدك هل إليك لنا سبيل \* وهل حتى القيامة من تلاق  
لي ! ولعل دهرنا أن يراي \* بموت من حليلك أو طلاق

فَأَصْبَحَ شَامِتًا وَهَرَّ عَنِّي • وَجِئَ شَمْلُنَا بِمَدِّ أَفْرَاقٍ  
قال : فَأَتَى أَشْعَبَ الْبَابَ فَأُخْرِثَ بِمَكَانِهِ ، فَأَمَرْتُ فُقْرُسَ لَهَا فُرْشَ وَجَلَسْتُ  
وَأَذِنْتُ لَهُ ؛ فَدَخَلَ فَأَنْشَدَ . فَلَمَّا أَنْشَدَ الْيَتِ الْأَوَّلَ :

أَسْعِدْنِي هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ • وَهَلْ حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقٍ

• قالت : لَا وَاقَهُ ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا . فَلَمَّا أَنْشَدَ الْيَتِ الثَّانِي :

يَلِي ! وَلَعَلَّ دَهْرًا أَنْ يُوَاقِي • بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلِكَ أَوْ طَلَاقٍ

قالت : كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، بَلْ يَفْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ . فَلَمَّا أَنْشَدَ الْيَتِ الثَّالِثَ :

فَأَصْبَحَ شَاخِلًا وَهَرَّ عَنِّي • وَجِئَ شَمْلُنَا بِمَدِّ أَفْرَاقٍ

قالت : بَلْ تَكُونُ الثَّمَانَةُ بِهِ • ثُمَّ قَالَتْ لَخْدَمِهَا : خَذُوا الْفَاسِقَ • فَضَال :

١٠ يَاسِيدَتِي ، إِنَّمَا عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ . قَالَتْ : وَاقَهُ لَأَقْتُلَنَّكَ أَوْ تَبْلُغَهُ كَمَا بَقِيتِي . قَالَ :

وَمَا تَبَيَّنَ لِي ؟ قَالَتْ : بِسَاطِئِ الَّذِي تَحْتِي • قَالَ : قَوْمِي عَنْهُ ؛ فَقَامَتْ ، فَطَوَاهُ ،

ثُمَّ قَالَ : هَاتِي رِسَالَتَكَ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ ! قَالَتْ : قُلْ لَهُ :

أَتَبِعِيكَ عَلَى بُنْيَانِي وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا • فَقَدْ ذَهَبْتُ لِنَبِيِّ لَمَّا أَنْتَ صَانِعٌ ؟

فَاقْبَلْ أَشْعَبَ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَأَنْشَدَهُ الْيَتِ . فَقَالَ : أَتَوْهُ فَكَلَّمْنِي وَاقَهُ !

١٥ فَمَا تَرَانِي صَانِعًا بِكَ يَا أَبْنَ الزَّانِيَةِ ! اخْتَرْنَا أَنْ أَدْلِكَ مُنْكَسًا فِي بَرٍّ ، أَوْ أَرْمِيكَ مِنْ

فَوْقِ الْقَصْرِ مُنْكَسًا ، أَوْ أَضْرِبَ رَأْسَكَ بِمَعْوَدِي هَذَا ضَرْبَةً • قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ

فَاعِلًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ • قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لَتَعْدُبْ عَيْنَيْنِ قَدْ نَظَرَا

إِلَى سَعْدَةٍ ! قَالَ : صَدَقْتَ يَا أَبْنَ الزَّانِيَةِ !

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْهَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ عَنْ أَبِي أَشْعَبَ

٢٠ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دُعِيَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْمَغْنَيْنِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَكُنْتُ نَازِلًا مَعَهُمْ ،



- قال ابن زَبَّيج<sup>(١)</sup> : كان أبان بن عثمان من أهل الناس وأعشيم ، فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابي معه حمل ، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفسى ، والشرين في وجهه ، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره ، فقال أبان : هذا والله من البادية ، ادعوه لي ، فدعوه له وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ، فاتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن نفسه ، فانتسب له . فقال له أبان : حيّاك الله يا خال ، اجلس ، بفس . فقال له : إني أطلب جملاً مثل جمك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتي هذه الصفة وهذه الحامة والصورة والورك والأخفاف ، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه ، أتيتني ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : فإني قد بذلت لك به مائة دينار ، فطمع الأعرابي وسرّ بذلك وانتفع ، وبان الطمع في وجهه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويحك يا أشعب ! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك ( يعني : في الطمع ) فأوسع له مما عندك ، قال : نعم ، بابي أنت وزيادة . فقال له أبان : يا خال ، إنما زدتك في الثن على بصيرة أت الجمل يساوي ستين ديناراً ، ولكنني بذلت لك مائة دينار لقلعة التقد عندنا ، وإني أعطيك عروضا تساوي مائة دينار ، فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير . وأسرّ أبان إلى أشعب ، فأخرج شيئاً مغطى ، فقال له : أخرج ما جئت به ، فأخرج جرد عمامة تساوي أربعة دراهم . فقال له : قومها يا أشعب . فقال : عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء ! خمسون ديناراً . قال : ضعها بين يديه ،

(١) كذا في الأثنى (ج ١٧ ص ١٠٢ طبع بولاق) . وزبج فتح الزاوي والباء وضع النون مشددة ،

راوية ابن هريرة . وفي الأصول « ريج » وهو تصحيف .

(٢) كذا في الأثنى . وفي الأصول : « وأولهم » وهو تحريف .

(٣) كذا في الأثنى . وفي الأصول : « البابة » .

وقال لأبن زَبَّيج: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العامة بين يدي الأعرابي؛  
فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام . قال: هات قلنسوتي،  
فأخرج قلنسوة طويلة خَلَقًا قد علاها الوسخ والدَّهْن وتخرقت تساوي نصف درهم.  
قال: قوم؛ فقال: قلنسوة الأمير تملو هامته، ويصلى فيها الصلوات الخمس،  
ويجلس فيها للحكم؛ ثلاثون ديناراً . قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة  
بين يدي الأعرابي فأربد وجهه وحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو  
مقلقل . ثم قال لأشعب: هات ما عندك؛ فأخرج خُفَّين خَلَقَيْن قد نُقِبا وتَقَشَّرا  
وتفتتا، فقال: قوم؛ فقال: خُفَّ الأمير يطا بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي  
صلى الله عليه وسلم؛ أربعون ديناراً، فقال: ضَعُهما بين يديه . ثم قال للأعرابي:  
أضيم اليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: آمض مع الأعرابي وأقبض ما بقى لنا  
عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً . فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب  
به وجوه القوم لا يالو في شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أي شيء أموت؟ قال  
لا؛ قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك؛ ثم نهض كالحجنون  
حتى أخذ برأس بيده؛ وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه . فكان  
الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلى يابن الخبيثة، حتى أكافئك  
على تقويمك المتاع يوم قومت؛ فيهرب منه أشعب .

وقال المدائني: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت امرأة شديدة العين،  
لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عاتته؛ فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو

(١) في الأصل «حقة» وروحاً، يقال: ثوب حلق وجبة حلق سبرها .

(٢) كما في الأثافي . وفي الأصول: «كيف لا أدركت» .

(٣) كما في الأثافي . وفي الأصول: «تيمتك»، وهو تحريف .

- يقول لأبيه : يا بنية ، إذا مات فلا تندبني ، والناس يسمعونك ، ويقولون : وا أبتاه ،  
أندبُكَ للصوم والصلاة ، للفقهِ والقرآن ، فيكتبُ الناس ويلعنونني . ثم آتفت فرأى  
المرأة ، فغطى وجهه بكفه وقال لها : يا فلاة ، باقه إن كنت آتسحتت شيئا مما أنا  
فيه ، فصل على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تُهلكيني ، فغضبت المرأة وقالت :  
مخنت حيك ! وفي أى شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ! قال : قد  
علمت ، ولكن قلتُ لئلا تكوني قد آتسحتت خفة الموت على<sup>(١)</sup> وسهولة التزع ، فيشتد  
ما أنا فيه . فخرجت من عنده وهى تسبه ، وضحك من كان حوله من كلامه ومات .

### ذكر شيء من نوادر أبى دُلّامة

- هو أبو دُلّامة زُند بن الجحون . وزند بالنون . وهو كوفي ، أسود ، مولى لبني أسد ،  
كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له قصاص ، فاشتقه . وأدرك آخر زمن بنى أمية ولم  
يكن له نباهة فى أيامهم ، ونبغ فى أيام بنى العباس ، فاقطع الى أبى العباس السفاح  
وأبى جعفر المنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويفضّلونه ويستطيون مجالسته  
ونوادره .

- قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو دُلّامة ردى المذهب ، مرتبكا للحارم ،  
مُضيقاً للفروض ، متجاهراً بذلك ، وكان يعلم هذا منه ويعرف به ، فيُتجافى عنه  
للطف محله . وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما تنبّهت فى هذا الموضع  
ما له من نادرة أو حكاية مستظرفة . فمن ذلك أنه دخل على أبى جعفر المنصور ،  
وكان المنصور قد أمر أصحابه بلّس السواد والقلائس الطوال ، تسعم<sup>(٢)</sup> بيدان من

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « ولكن قد لا تكونين » وهو مخرب .

(٢) كذا فى الأغاني ( ج ٩ ص ١ طبع يولاتى ) . وفى الأصول : « تسعم » .

داخلها، وأن يلقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: (قَسِيحُفِكُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). فلما دخل عليه أبو دلامة في هذا الزم قال له المنصور: ما حالك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهي في نصفي، وسيفي في آسفي، وقد صَبَّتُ بالسواد ثيابي ونَبَذْتُ كتاب الله وراء ظهري؛ ثم أُنشد:

وكنا نرجى مِنَّةً من إمامنا \* بِلَفَاعَتِ بَطُولِ زاده في الْقَلَانِيسِ

تراها على هام الرجال كأنها \* دِيَانَةُ<sup>(١)</sup> يهودٍ جُلَّتْ بِالْبَرَانِيسِ

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا

منك أحد.

وحكى عنه: أنه كان واقفا بين يدي السفاح أو المنصور، فقال له: سلى

حاجتك؟ فقال أبو دلامة: كلب صيد؛ قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد

عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام يقود الكلب ويتصيد به؛ قال: أعطوه غلاما.

قال: وجارية تُصَلِّحُ لنا الصيد وتُطْعِمُنَا منه؛ قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء

يا أمير المؤمنين عيال فلا بد لهم من دار يسكنونها؛ قال: أعطوه داراً تجمعهم.

قال: فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك مائة جريب عامرة

ومائة جريب عامرة. قال: وما العامرة؟ قال: مالا نبات فيه. قال: قد أقطعتك

يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب عامرة من قباي بنى أسد. فضحك وقال:

أجعلوا المائتين كلها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبل يدك؛ قال: أما هذه

فدعها، فإنني لا أفعل. قال: والله ما منعت عيالي شيئا أقل عليهم ضررا منها.

(١) كذا في الأغانى. وفي الأصول: «دبار» وهو تحريف.

(٢) في الأغانى: «صيدك».

(٣) الجريب: مقدار معين من مساحة الأرض.



وروى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إنَّ الخَلِيطَ أَجْتَوَا الْبَيْنَ فَأَتَقَبَّحُوا \* وَزَوَّدوكَ خَبَالًا بِئْسَ مَا صَنَعُوا  
والله يعلم أنكَ كادت، لينهم \* يوم الفراق، حصاة القلب تصدع  
عجبتُ من صِنْفِي يَوْمًا وَأَمَّهُمْ \* أَمْ الدَّلَامَةُ لَنَا هَاجَهَا الْجَزَعُ  
لا بَارِكَ اللهُ فِيهَا مِنْ مُنْبِئَةٍ \* هَبَّتْ تَلُومَ عِيَالِي بَعْدَ مَا هَجَمُوا  
ونحن مُشْتَبِهو الألوان ، أوجهنا \* سود قباح، وفي أسمائنا شُعُ  
إِذَا تَسَكَّتَ إِلَى الْجُوعِ، قُلْتُ لَهَا \* مَا هَاجَ جُوعَكَ إِلَّا الرِّىَ وَالشَّيْعُ  
أَذَابَكَ الْجُوعُ مَذْصَارَتِ عِيَالِنَا \* عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرِّىَ وَالشَّيْعُ<sup>(١)</sup>  
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى \* لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ  
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله \* دوني ودون عيالي ثم تضطجع<sup>(٢)</sup>  
شَوْهَاءُ مَشْنَأَةٌ فِي بَطْنِهَا نَجَلٌ \* وَفِي الْمَقَاصِلِ مِنْ أَوْصَافِهَا قَدْعُ<sup>(٣)</sup>  
ذَكَرْتُهَا بِكَتَابِ اللهِ حُرْمَتِنَا \* وَلَمْ تَكُنْ بِكَتَابِ اللهِ تَرْجِعُ  
فَأَتَرَفَطَمْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغْضَبَةٌ \* أَنْتَ تَسْلُو كِتَابَ اللهِ يَا لُكْعُ!<sup>(٤)</sup>

(١) ورد هذا البيت في الأصول : « قالت أذابك قد صارت الخ ... » وهو تحريف . وقد أورد

صاحب الأغاني هذا البيت على أنه رواية أخرى في البيت قبله وهي الرواية الجيدة . ولذلك كانا متحدى  
القافية .

(٢) مشنأة : فيجة .

(٣) النجل : عظم البطن وأسترخاؤه .

(٤) القدع : اهوجاج الرسخ في اليد أو الرجل .

(٥) أنرفطمت : رفعت أظفاري استكبارا أو غضبا .

٢٠

(٦) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « صنية » وهو تحريف .

أَنْجُجَ نَبْجَ لَنَا مَالًا وَمَزْدَعَةً \* كَمَا بَلْجِرَاتِنَا مَالٌ وَمُزْدَرَعٌ  
وَأَخَذَعُ خَلِيفَتَنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ \* إِنَّكَ الْخَلِيفَةُ لِلسُّؤَالِ يَخْذَعُ

قال : فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بمائتي جريب عامرة — ويرى سمائة  
جريب عامرة وعامرة — فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب عامرة  
فيما بين الحيرة والتَّجَفْ ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : أجعلوها كلها عامرة .  
قال : ولَمَّا تَوَقَّى السَّقَاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ يَعْزُونَهُ ، فَقَالَ :

أَمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ \* لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عَقْرِهَا تَحْوِيلًا  
وَيْلَ عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كُلِّهِمْ \* وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طُيُولًا  
فَلْتَبْكِيَنَّ لَكَ السَّمَاءُ بَعَثِيَّةً \* وَلْتَبْكِيَنَّ لَكَ الرِّجَالُ عِبْوِيَّةً  
مَاتَ النَّدَى إِذْ مَتَ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ \* بِفَعْلَتِهِ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلًا  
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كُلَّهُمْ \* فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مِنْ سَأَلْتُ بَغِيلًا .  
الْشَّقَوِيُّ أَثَرْتُ بِعَدِكَ لِلتَّى \* تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذِيلًا ؟  
فَلَا خَلْفَ يَمِينٍ حَقٌّ بَرَّةً \* تَأْتِيهِ مَا أُعْطِيَتْ بِعَدِكَ سُولًا

قال : فابكى الناس قوله . فضضب المنصور غضباً شديداً وقال : إن سمعتك تُنشد  
هذه القصيدة لأقطعن لسانك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ إِبَا الْعَبَّاسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
كَانَ لِي مُكْرَمًا ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِي مِنَ الْبَدْوِ ، كَمَا جَاءَ اللَّهُ بِأَخَوَاتِ يَوْسُفَ إِلَيْهِ ؛ فَقُلْتُ كَمَا  
قَالَ يَوْسُفُ : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . فَمُرِّرْ عَنِ  
الْمَنْصُورِ وَقَالَ : قَدْ أَقْلَتَاكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَسَلْ حَاجَتَكَ . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان  
أَبُو الْعَبَّاسِ أَمْرًا لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا وَهُوَ مَرِيضٌ وَلَمْ أَقْبِضْهَا . فقال  
المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء (وأشار إلى جماعة ممن حضر) قَوْشَبُ سُلَيْمَانَ  
أَبْنِ مُجَالِدٍ وَأَبُو الْجَهْمِ فَقَالَا : صَدَقَ أَبُو دُلَامَةَ ، نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ . فقال المنصور لأبِي

(١) أيوب الخازن [وهو منيظ] : بإسليان أذهبها إليه وسيره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن عليّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف) فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرج معهم ، والله إني مشعوم . قال المنصور : ايض فإن يئني يظلب شؤمك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحب أن يعرّب ذلك مني على مثل هذا السرك ، فإني لا أدري أيهما يظلب : يملك أو شؤمي ، إلا أني بنفسى أوثق وأعرّف وأطول تجربة . فقال : دعني وهذا ، فإني لا أخرج بك . قال : فإني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرياً كلها هُزمت ، وكنت سبها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكريك تمام العشرين فاقبل . فضحك المنصور وأصره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

- ١٠ وعن جعفر بن حسين اللّهيّ قال : حدثني أبو دلامة قال : أتيتني المنصور أو المهديّ وأنا سكران ، خلف ليخرجنيّ في بثّ حرب ، فأخرجني مع رّوح بن حاتم المهلّبيّ لقتال الشّرة<sup>(٢)</sup> . فلما ألتقي الجمعان قلت (روح : أما والله لو أنّ تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه ! فضحك وقال : والله العظيم لأدفرنّ إليك ذلك ولأخذتك بالوفاء بشّرك ؛ فقتل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إلىّ ، ودعا بغيره فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي قلت : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أباياتاً فاسمها . قال : هات ، فأنشدته :
- إني أستجركم أن أقدم في الوغى • لقطاعين وتنازل وضراب  
فهيب السيوف رأيتها مشهورة • وتركتها ومضيت في المّراب  
ماذا تقول لِمَا عيى ، ولا يرى • من بادرات الموت بالنّشاب

فقال : دع هذا عنك ، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال :  
 اخرج اليه يا أبا دُلَامة . فقال : أئشذك الله أيها الأمير في دمي . فقال : والله  
 لتخرجن ! فقلت : أيها الأمير ، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا  
 والله جائم ما تبليت مني جارحة من الجوع ، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج ، فأمر لي  
 برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رأني الشاري أقبل  
 نحوي وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فافعل <sup>(١)</sup> وعينه يهدان ،  
 فأسرع إلي ، فقلت : على ريشك يا هذا ! فوقف ، فقلت : أتهتل من لا يقاتلك ؟  
 قال لا . قلت : أنت حمل أن تهتل رجلا على دينك ؟ قال لا . قلت : أنت تستحل  
 ذلك قبل أن تدعو من قتاله الى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب عني الى لعنة الله ،  
 فقلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . فقلت : هل كانت بيننا صداوة أو ريرة  
 أو تعرفني بحال تحفظك على - أو تعلم بئني وبين أهلك ويرا ؟ قال : لا والله ، قلت :  
 ولا أنا والله لك إلا على جيل [الرأي] ، فإني لأهواك <sup>(٢)</sup> وأتصل منهبك وأدين دينك  
 وأريد السوء لمن أرادك . فقال : يا هذا ، جزاك الله خيرا فانصرف . قلت : إن معي  
 زادا أريد أن آكله وأريد مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ويرى أهل المسكرين هوانهم  
 علينا ، قال : فافعل . فتقدمت اليه حتى اختلفت أعتاق دوابنا وجمعنا أرجلنا على  
 مآرِفها وجعلنا نأكل زاناس قد قُلِّبوا ضحكا . فلما استوفينا ودعني ، ثم قلت له :  
 إن هذا الجاهل ، إن اقتت على طلب المبارزة تدبني اليك فتصعب وتُتعبني ، فإن  
 رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت ، فأصرف وأنصرف . فقلت لروح :  
 إنما أنا فقد كفيبتك قُرْنِي ، فقل لغيري يكفيك قُرْنَه كما كفيتك . ونرجع أنريدعو  
 أي البراز ، فقال لي : اخرج اليه ، فقلت :

(٢) زيادة عن الأغاني

(١) اتفعل : تعبس .

إني أعوذ بروح أن يُقدَّمَنِي \* إلى القتال فتخزى بي بنو أسيد  
 إن البراز إلى الأقران أعلَّه \* مما يُفَرِّق بين الروح والجسد  
 قد حالفتك المتايا إذ رُصدت لها \* وأصبحت لجميع الخلق كالرَّصد  
 إن المهلب حب الموت أورتكم \* فأورثت اختيار الموت عن أحد  
 لو أتى مهجة أخرى بلُنتُ بها \* لكنها خلقت فرداً فلم أجِد  
 قال : فضحك روح وأعفاني .

قال : وشرب أبو دلّامة في بعض الحانات وسكر ، فتش وهو يميل ، فلقبه  
 العَسَس فأخذه ، قليل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال :  
 ديني على دين بنى القبايس \* ما خيم الطين على القِرطاس  
 إذا اصطحبت أرباباً بالكاش \* فقد أدار شربها براسي  
 \* فهل بما قلت لكم من بايس \*

فأخذه وخرقوا ثيابه وساجه ، وأتى به إلى أبي جعفر ، فأمر بحبسه مع الدجاج  
 في بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرةً وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو  
 مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزَفَاء الديك . فلما أكثر قال له السجّان :  
 ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت في الحبس ، وأنا فلان  
 السجّان . قال : ومن حسبي ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومن خرق طيلساني ؟  
 قال : الحرس . فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل فأتاه ، فكتب إلى  
 أ ب جعفر المنصور يقول :

أمير المؤمنين قد تك نفسي \* علام حسبتني وخرقت ساجي

أَيْنُ صَبَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ \* كَأَنَّ شِعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ  
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى \* لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّطْفِ النَّصَاجِ  
تَهَيَّأَ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَسْتَهِيهَا \* إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقُ فِي الزَّجَاجِ  
أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بِشِيرِ جُرَيْمِ \* كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخَرَاجِ!  
فَلَوْ مَعَهُمْ حُسَيْتٌ لَكَانَ سَهْلًا \* وَلَكِنِّي حُسَيْتٌ مَعَ الدَّجَاجِ  
وَقَدْ كَانَتْ تُحْتَبَرُنِي ذُنُوبِي \* بَأَنِي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِ  
عَلَى أَتَى وَإِنِّ لَأَقْبَتُ شَرًّا \* لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فاستدعاه المنصور وقال : أَيْنَ حُسَيْتُ يَا أَبَا دُلَامَةَ ؟ قال : مع الدَّجَاجِ . قال :  
فأُكُنْتُ تَصْنَعُ ؟ قال : أَفَرَّقْتُ<sup>(١)</sup> مَعَهُمْ إِلَى الصَّبَاحِ ، فَضَحَكْتُ وَخَلْتُ سَبِيلَهُ وَأَمَرَهُ  
بِجَاهِزَةٍ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَبْنَوعُ . إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ :  
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ ؟ ( يَعْنِي الشَّمْسُ ) قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا عَيْنْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ  
الْمَوْقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى وَجْهِهِ . فَضَحَكُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعَ وَلَا تَعَاوَدِ  
التَّمَرُّضَ لَهُ .

وَرَوَى عَنْ أَهْلِ الدَّائِرَةِ قَالَ : دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمُهَدِيِّ وَعِنْدَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ  
عِيسَى بْنُ مَوْسَى رَجُلٌ مَشْهُورٌ . قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ  
الْمُهَدِيُّ : أَلَا تُبْصِرُونَ ؟ هَؤُلَاءِ نَحْنُ . فَتَهَيَّأَ وَخَدَعَهُمْ فِي الْبَيْتِ ، لَأَقْطَعَنَّ لِسَانَكُمْ  
أَوْ لَأُضْرِبَنَّ عُنُقَكُمْ . وَكَلَّمَا نَظَرَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ غَمَزَهُ بِإِقْدَاسٍ عَلَى  
رِجْلِهِ . فَكَانَ أَبُو دُلَامَةَ يَسْتَعِذُّ بِدِرْعِهِ وَنَهَى عَنْ مَرَدَّةٍ مِنْ عَزَمَاتِهِ لَا تَقْرُبُ  
مِنْهَا ، فَلَمْ يَرِ أَحَدًا أَحَقَّ بِالنَّجْدِ . خَرَجَ دُعَى لَ السَّلَامَةَ مِنْ هَجَاءِ نَفْسِي ، فَقُلْتُ :  
أَلَا أُلْبِغُ نَدِيَّتَ أَبَا دُلَامَةَ ؟ فَتَسْتَمِنُ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَهُ

إذا لمس العمامة <sup>(١١)</sup> كان قردًا \* وخزيرًا إذا نزع العمامة  
 جمعت دعامته وجمعت لؤمًا \* كذلك اللؤم تبعه الذمامه  
 فإن لك قد أصبحت نعم دنيا \* فلا تفرح فقد دنت القيامة  
 فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

- قال : ونرج المهدى وعلى بن سليمان الى الصيد ، فسنح لها قطع من ظباء ،  
 فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، ورمى المهدى سهمًا فأصاب ظبيا ، ورمى  
 علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ؛ فقال أبو دلامة :  
 قد رمى المهدى ظيًّا \* شك بالسهم قواده  
 وعلي بن سايما \* ن رمى كلبًا فصاده  
 فهنيئا لهما **كل** أمرئ يا كل زاده

١٠

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر  
 له بمحاضرة سنية ؛ فلقب علي بن سليمان بعد ذلك صائد الكلب ، صلب عليه .

قال : وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها ؛ فلما وقف على حُفرتها  
 قال لأبي دلامة : ما أعددت لهذه الحُفرة ؟ قال : آبنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنته  
 عيسى يحاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى طلب واستروجه .

١٥

قال الميمون بن عدي - رحمه الله عليه : حجت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح  
 أبو دلامة : جعلني الله فداك ، الله الله في أمرى ! فقالت : من هذا ؟ قالوا : أبو دلامة .  
 فقالت : سلوه ما أمره ؛ قالوا له : ما أمرك ؟ قال : أدنوني من تحليها ؛ قالت  
 أدنوه ؛ فأدنى ، فقال لها : أيها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم . قالت :

فه ! قال : تَهَيَّنِي جَارِيَّةٌ مِنْ جَوَارِيكَ تُؤْنِسُنِي ، وَتَرْفُقُ بِي وَتُرْحَمُنِي مِنْ عَجُوزٍ عِنْدِي ؛  
 قَدْ أَكَلْتُ رِفْدِي ، وَأَطَالَتُ كَلْدِي ؛ فَقَدْ عَافَ جِلْدِي جِلْدَهَا ، وَتَسَوَّقْتُ فَقْدَهَا .  
 فَضَحِكَتِ الْخِيزَانُ وَقَالَتْ : سَوْفَ أَمْرُكَ بِمَا سَأَلْتَ . فَلَمَّا رَجَعَتْ تَلَقَّاهَا وَادَّكَرَهَا  
 وَنَجَّحَ مَعَهَا إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضَ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَيْدَةَ حَاضِنَةِ مَوْمِي  
 وَهَارُونَ فَدَفَعَ إِلَيْهَا رَقْعَةً قَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْخِيزَانِ ، فِيهَا :

اِبْنِي سَيِّدِي يَا أُمَّ عَيْدَةَ  
 أَنْهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً  
 وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَ طَلْعَ وَلِيدِهِ  
 فَتَأَيَّدْتُ وَأَرْسَلْتُ بَعَثَرِينَ قَصِيدَةً  
 كُلُّهَا أَخْلَقْتُ أَخْلَقْتُ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَةً  
 لَيْسَ فِي يَدِي لِقَائُكَ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَةٍ  
 غَيْرِ عَجْفَاءٍ عَجُوزَ \* سَاقَهَا مِثْلَ الْقَدِيدَةِ  
 وَجْهَهَا أَفْجَعَ مِنْ حَوْ \* تَطَرَّى فِي عَصِيدَةٍ  
 مَا حَيَاةٌ مَعَ أَتَى \* مِثْلَ عَرِيضِي بِسَعِيدَةٍ

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا ، ضَحَكَتْ وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَمَّتْ الْجَمَالَ ، فَقَالَتْ لَهَا :  
 حُذِي كُلَّ مَائِكَ فِي قَعْرَتِي ، فَتَقَطَّعْتَ ؛ ثُمَّ دَعَتْ بَعْضَ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَلِّمِي  
 إِلَى أَبِي دُلَامَةَ . فَانْطَلَقَتْ الْخُدَمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَرَّتِلَهُ ؛ فَقَالَ لِكَرَامَتِهِ : إِذَا رَجَعْتَ  
 أَبُودُلَامَةَ فَادْفَعِيهَا إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : يَقُولُ لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنْ تَحْبِيبَةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ  
 أَحْرَتُ لَكَ بِهَا . فَقَالَ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَ الْخُدَمُ دَخَلَ أَبْنَاهُ دُلَامَةَ فَوَجَدَ أُمَّهُ  
 سَبِيحًا ؛ فَسَأَلَهَا عَمَّا رَخِبَتْ بِهِ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَبْرَنِي يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَالْيَوْمَ .



- قال : قولى ما شئت فأتى أفعله . قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطوؤها  
تخرجها عليه وإلا ذهبت بقله بغفاني وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها  
وواقها ذلك منه ، ونخرج . فدخل أبو دلامة فقال لأمرأته : أين الجارية ؟ قالت :  
فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محمّ ذاهب ، فذبح يده اليها وذهب ليقبلها ، فقالت :  
مالك ويحك ! تتع وإلا لطمتك لطمّة دققت منها أهلك . فقال لها : أهبنا أوصيتك  
السيدة ؟ قالت : إنما بعثت بى الى قتي من هيئته وحاله كبت وكبت ، وقد كان  
عندى آفانوال منى حاجته . فلم أنه قدئعى من أمّ دلامة وأبنا . فخرج أبو دلامة  
الى دلامة فطمه وليسه <sup>(١)</sup> وحلف ألا يضارقه إلا الى المهدي . فضى به ملياً حتى  
وقف بباب المهدي ، فعرف خبره ، وأنه جاء بابنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله  
فلما دخل قال : مالك ؟ قال : فعل بى هذا ابن الخيثة ما لم يفعله ولد بأبيه ، ولا يرضينى  
إلا أن تقتله . قال : ويحك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر ، فضحك حتى استلقى  
ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ ! فقال : على بالسيف  
والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين ، فسمع محبتي . قال :  
هات ! قال : هذا الشيخ أصفى الناس وجهاً ، هو يفعل بأتى منذ أربعين سنة  
ما غضبت ، وفعلت أنا يحارسته مرّة واحدة غضب وصنع بى ما ترى . فضحك  
المهدي أشد من ضحكه الأخرى ، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة ، وأقأ أدييك غيرا  
منها ، قال : على أن تخبأها فى بين السماء والأرض ، إلا نغس بها واقدها .  
فتقدم الى دلامة ألا يعاود مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود . . . . .

(١) كذا فى الأعاني . وليه : جمع ثياب عد صره وغيره وجره . وفى الأصول : « وس »

قال عبد الله بن صالح رحمه الله : جاء ابن أبي دُلَامة يوما الى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته بجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخني كما ترون قد كبر سنُهُ وِرَقَّ جلده ودَقَّ عظمه ، وبنا الى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أتدبر عليه بالنسيء يُمسك رُمَقَه وَيُبقَى قُوته فيخالفني فيه ، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكركم بحضوركم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسعفوني بمسألته معي . فقالوا : نعمل حبا وكرامة بهم أقبلوا على أبي دُلَامة بالسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى أبند وهو ساكت ، قال : قولوا للحيث قليل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية . فقالوا له : قل ؛ فقال : إن أبي إنما قتله كثرة الجماع ، فتعابوني حتى أخصيه ، فلن يقطعني عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح بحسبه وأطول لعمره . فعيجوا بما أتى به وضجوا . ثم قالوا لأبي دُلَامة : قد سمعتَ فأجب . قال : قد سمعتُ أتم فمزدكم أنه لم يأت بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمه حكا فبا يني وبينه ، فقروا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها ، وقصَّ أبو دُلَامة القصة عليها وقال : قد حَكَمْتُ . ناقضت على الجماعة فقالت : إن أبي هذا أبقاه الله قد نصح أباه ولم يزل ، وبنا ، وما أنا الى بقاء أبيه أحوج مني الى بقاءه ، وهذا أمر لم يقع به تجربة . ولا جرى بآلة عادة لنا ، وما أشك في معرفته بذلك ، فليدأ بنفسه فليخصها . فاذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أنزاعا محمودا استعمله أبوه . فضحك أبوه والقو وأنصرفوا يسحبون من خبثهم جميعا .

ومنهم أبو صدقة .

### ذكر شيء من نوادر أبي صدقة

- هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش . قال أبو الفرج :
- وكان مليح الفناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة ، من أكثر الناس نادرة وأخفهم رُوحاً وأشدّهم طمعاً وألحهم مسألة ، وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الخجاز في أيامه . قيل : إنه حوتب على كثرة إلحاحه في المسألة ، فقال : وما يعني من ذلك ، وأسمي مسكين وكنتي أبو صدقة وأبتي فاقة وأبني صدقة ، فمن أحقّ بهذا مني ؟ وكان الرشيد يعيب به كثيراً ، فقال ذات يوم لمسرور : قل لأبن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلزله وبرصوما وابن أبي حريم المديني : إذا رأيتني قد طابت نفسي ، فلا تسأل كل واحد منكم حاجة ، مقدارها مقدار صلته ، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة ، فقال لهم مسرور : ١٠ ما أمر به الرشيد . ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له : يا أبا صدقة ، قد أخبرني بكثرة مسألك وأنا في هذا اليوم خجور وأحببت أن أخرج وأفرح ، ولست آمن أن تنقص عليّ مجلسي بمسألتك ، فإذا أن تعفي أن تسألني اليوم حاجة وإلا فأنصرف . فقال له : لست من يومي هذا إلى شهر أسألك حاجة . فقال له الرشيد : أنا إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بمخساة ١٥ دينار وهامى ذيه فغذا طيبة مسجلة ، فإن سألتني شيئا بعدها من هذا اليوم فلا لوم عليّ إن لم أصلك سنةً بشيء . فقال : نعم وستين . فقال له الرشيد : زدني في الوثيقة . فقال : قد جعلت أمر أم صدقة في يدك فطلقها متى شئت ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة ، وأشهدت الله ومن حضر على ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذن للجلاء والمغنين فدخلوا وشرب القوم . فلما طابت نفس الرشيد ، قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد بليت منك ما لم تبلغه أمتي ،

وكثر إحسانك إلىّ حتى كُتِبَ أعدائي وقتلتهم، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أخى به داراً وأفرشها بياقه لأنفقاً عيون أعدائي وأزريق نفوسهم فعل . فقال له : « وكَمْ قَدَرْتَ لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار، فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلي فقال : يا أمير المؤمنين، قد ظهرت نعمتك على وعل الكبار من ولدي، وفي أصاغرم من أحتاج [إلى] خيانه، وفيهم صغار أحتاج أن اتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر به لأبن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول في التثاء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تُفَرَّقُ بينا وشمالا، فوثب قائماً وروى بالدنانير من كته وقال الرشيد : أَقْلَى أَقَالَ الله عَثْرَكَ . فقال الرشيد : لا أفعل . فجعل يستحلفه ويضطرب ويلج والرشيد يضحك ويقول : مالى إلى ذلك سبيل، الشرط أملك . فلما عجل صبره أخذ الدنانير وروى بها بين يدي الرشيد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدتك أم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا . وإن لم تليحني بمواثر القوم فالحقني بمائة هذا البارد عمرو الغزال— وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار— فضحك حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة دينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم .

وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال : مُطِرْنَا ونحن مع الرشيد بالرقعة مع الفجر فأتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أم ولده المسماة بصرى، فتشاغلنا عنه في منازلنا . فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل كل واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه، فيخبره إلى أن انتهى

(١) زيادة من الأغاني (ج ٢١ ص ١٠٨ طبع أوروبا) . وقد جاء الكلام فيه هكذا : « وفي أصاغرم من قد بلغ وأريد تزويجه، ومن أصاغرم من أحتاج إلى أن أطهره ... الخ » .

إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره فقال له: كان عندي أبو زكار الأعشى وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتاً، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وتماثله، ويفطر أبو زكار لذلك فيجئ ويموت غيظاً ويستم أباً صدقة كل الشتم حتى يضرجر، وهو لا يجيبه ولا يدع الميث به وأما أضحك من ذلك، إلى أن توسطنا الشرب وسمنا من عبثه به؛ فقلت له: دع هذا منك وعن غطاك. ففنى وملاً ذكر أنه من صنعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طراماً أذكر أني طربت مثله منذ حين وهو:

فتنتي بفاحم اللون جعدي . وبغير حكاية نظم دُر  
وبوجه كأنه طلعة البدر \* رومين في طرفها نقت يحمر

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال:

ياسيدي إلى قد بنت داراً أنفقت عليها جميع مالي وما أعددت لها فرشاة، شها لي .  
فتغافلت عنه . وعاود الغناء فتعمدت أن قلت: <sup>(١٧)</sup> أحسنت، فسألني تغافلت؛ فقال .  
ياسيدي، هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله وبحق أبيك عليّ إلا أجيبني  
عن كلامي ولو بستم . فأقبلت عليه وقلت له: أنت والله بفيض . اسكت  
يا بفيض، وأكففت عن هذه المسألة الملحة . فوثب من بين يدي، فقلت: إنه  
قد خرج لحاجة، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن يتجمل ووقف تحت  
السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورضع رأسه وقال: يا رب أنت تعلم أي مله  
رلست فاشحأ، وعبدك الذي قد رفعته وأحوجتني إلى خدمته بقول لي: أحسنت  
لا يقول لي: أسأت، وأنا منذ جلست أقول له: بيت ولا أقول له: هدمت، فيحلف

(١) في الأصول: « متحجين وزمان » ولا معنى لذكر كلمة « زمان » وهي غير موجودة في النص .

(٢) كذا في الأمان . وفي الأصول: « لأن قلت » .

بك جرأة عليك أنى بغيض، فاحكم بيني وبينه فانت خير الحاكمين . فغلبني الضحك وأمرت به فتتحنى، وجهدت به أن يتنى فأمتنع، حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسم له بما أفرشها . فقال له الرشيد : طيب والله ! الآن تم لنا به اللهو، أدعه فإنه إذا رآك سوف يتجزك الفرش لأنك حلفت له بحياتي فهو يقتضيك ذاك بمحضرق ليكون أوفى له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبورى وحايكه الى . ثم دعا به فحضر، فلما استقر في المجلس قال لجعفر : الفرش الذى حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى، تقدم به . فقال له جعفر : آختر، إن شئت فرشها لك بالبورى وإن شئت فبالبردى من الحصر، فصاح وأضطرب . فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره، فقال له : أخطأت يا أبا صدقة إذ لم أسم النوع ولا حددت القيمة ، فاذا فرشها لك بالبردى أو بما دون ذلك فقد بر في يمينه، وإنما خدعك ولم تظن أنت ولا توقعت وضيعت حقك . فسكت ثم قال : نوفر أيضا البردى والبورى عليه أعزّه الله . وعنى المفتون حتى انتهى الدور اليه ، فاخذ ينقى غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجرى مجراه من الغناء . فقال له الرشيد : أى شئ هذا الغناء ؟ قال : من فرش داره بالبورى والبردى فهذا الغناء كثير منسه ، [وكثيراً] أيضاً لمن هذه صلته . فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار من ماله ، وقال له : أفرش دارك بهذه . فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لى على جعفر بما وعدنى وإلا مت والله أسفا لفوات ما حصل فى طمعى ووعدت به ، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار أخرى . فأمر له جعفر بها .

(١) البورى جمع يارى وهو الحصر المسوح .

(٢) كذا فى الأمانى . وفى الأصول : « ونحوه » .

(٣) ريادة عن الأسانى .

### ذكر شيء من نوادر الأقيشر<sup>(١)</sup>

هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن  
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه  
أقيشر . قال أبو الفرج الأصفهاني : وعمر الأقيشر عمرا طويلا ، وامله ولد في الجاهلية  
ونسأ في الإسلام ، وكان أبعد بني أسد نسبا . قال : وكان كوفيا خليعا ماجنا مدعنا  
لخمر . وهو الذي يقول لنفسه :

فإن أبا معرض إذ حسا • من التواح كاسا على المنبر

خطيب لبب أبو معرض • فإن ليم في الخمر لم يصبر

أحل الحرام أبو معرض • فصار خليعا على المكبر

يحب اللثام ويأبى الكرام • وإن أقصروا عنه لم يفصر

قال : وشرب الأقيشر في بيت تمار بالحيرة ، بغشاء الشرط ليأخذه ، فتحجز  
منهم وأغلق الباب وقال : لست أشرب فاسيلكم على ؟ قالوا : قد رأينا العس  
في كفك وأنت تشرب . فقال : إنما شربت من لبن ثقمة لصاحب هذه الدار ، ما  
برحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

إنما لفتحنا باطية<sup>(٢)</sup> • فإذا ما مريجت كانت عجب

لبن أصفر صاف لونه • يزع الباسور من عجب الذنب<sup>(٣)</sup>

إنما نشرب من أموالنا • فسلوا الشرط ما هذا الغضب ؟

(١) الأقيشر هو صغير أقر وهو شديد الحرارة .

(٢) الباطية : إماء من الزجاج ممر وضع بين الشرب يتروون منه .

(٣) العجب : أصل الغيب .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وفيه قال : كان الأقيسر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يحصل درهمين للشراب ودرهما للطعام ودرهمين في كراه بشل الى الحيرة . وكان له جار يكنى أبا المضاء ، له بغل يكرهه ، فكان يسلطه درهمين ويأخذ بغله فيركبه الى الحيرة حتى يئسبست الخمار فيترل عنه ويربطه ، ثم يجلس للشرب حتى يمسي ثم يركبه . وله في ذلك أشعار كثيرة .

قال وتزوج الأقيسر ابنة عم له يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم — ويقال : على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا ، فأتى ابن رأس البغل وهو تهمقان الصين ، وكان مجوسياً ، فسأله فأعطاه الصداق كاملاً ؛ فقال :

كفاني المجوسى<sup>(١)</sup> هم الرباب • فلتى المجوسى خال وعم  
شهدت بأنك رطب اللسان • وأنت بحر جواد خضم<sup>(٢)</sup>  
وأنت سيد أهل الجحيم • إذا ما ترقيت فيمن ظلم<sup>(٣)</sup>  
تجاور هامان في قمرها • وفرحون والمكثى بالحكم<sup>(٤)</sup>

فقال له المجوسى : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئا ، وجئتني فأعطيتك بغزيتي هذا القول ولم أفلت من شرك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وقرين أبى جهل ؟ . قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربيعة التميمي ، فسأله فلم يعطه شيئا ؛ فقال فيه :

(١) كذا في الأغاني (ح ١٠ ص ٩٢ طبع بولاق) . وفي الأصول : « الى » وهو محريف .

(٢) التهمقان (بالكسر والضم) : رئيس الإقليم .

(٣) في الأغاني : « مهر » . ٢٠

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « ينظر اللسان » .

(٥) في الأغاني : « فارود » .



سألت ربيعة مَنْ شَرَّهَا • أبا ثم أُمًّا فقالوا لِمَنْ  
فقلت لأعلم مَنْ شَرُّكُمْ • وأجملَ السَّبِّ فِيهِ سِمَةٌ  
فقالوا لِعِمْرَةَ المخزِيَّاتُ • وما ذا يرى الناسُ فِي عِمْرَةَ  
فإن يك عبدا زكاه • فما غير ذَا فِيهِ مِنْ مَكْرَمَةٍ

قال الأصمعي : قال عبد الملك بن مروان للأقبسر : أنشدني أبياتك في الخمر؛  
فأنشده قوله :

تُرِكَ القُدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ • لَوْ جِئَهُ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قَطُوبُ  
كَيْتٌ إِذَا تُجِبْتُ فِي الْكَاسِ وَرَدَّةٌ • لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ

فقال له : أحسنت والله يا أبا معرض ! لقد أجدت في وصفها ، وأظنك قد  
شربتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه ليريني معرفتك بها . قال : وكان الأقبسر  
يأتي إخوانا له فيسألهم فيعطونه ، فأقرب رجلا منهم فأمر له بخمسة دنانير وأخذها  
ومضى إلى الحانة فدفعها إلى صاحبها ، وقال له : أقم لي ما أحتاج إليه ، ففعل  
فأنضم إليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفذت الدراهم ، فأأمر به فأنفقها ما  
يوما ويوما . ثم أتاه في اليوم الثالث نظروا إليه من بعيد .  
الحالة : تصعد ما إلى نفر . علم الأقبسر لم يأت يوم .  
الأقبسر علمه مما فتنوا ، سرور لا روح له سدا عما سدا .  
إليه بعض ثيابه وقفا . أتري ما أحتاج إليه ، يعمل .  
أخذ يقول :

يا خائِلُ سداي كاسا • ثم كاسا حتى أتيت ما

إن في الغرفة التي فوق رأسي \* لآتاسا يُخادِعُونَ أَناسا

يشربون المعتق الراح صرفا \* ثم لا يرفضون للزور راسا<sup>(١)</sup>

قال : فلما سمع أصحابه هنا الشعر، فَنَلَوْه بآبائهم وأمهاتهم، ثم قالوا له : إنما أن تصعد إلينا وإما أن تزل إليك، فصعد إليهم .

قال : وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يمرى عليه في كل شهر عشرة دراهم، بغناه مرة فوجده قد أصيب بآبائه، فردته أمرأته عنه، ثم طاد بعد ذلك بيومين فردته عنه أيضا، فكتب إليه يفتي شعر ودفع الرقعة إليها وقال : أوصلها إليه؛ فقرأها، فاذا فيها :

ألا أبلغُ لديك أبا هشام \* فأنف الرمح أبردها الشَّمالُ

عِداتُك في الهلالِ عِداتُ صديقي \* فهل سمعتُ كما سمن الهلالُ

فلما قرأ الرقعة أمر برده وقال : لقد سمعت وما بقي إلا الهزال إن تأخرت، فأمر له بها وزادها خمسة دراهم .

وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه السير ويستغله . وأخباره كثيرة وبوادره مشهورة ، وفيما أوردناه منها كفاية . ومات الأقيشر قتيلًا . وقيل : إنه مدح عبد الله بن إصحاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئا فجهاد؛ فزعموا أن فلانًا لعبد الله بن إصحاق قتلوه؛ فاجتمع بنو أسد وأدعوا عليه قتل الأقيشر؛ فاقتدى منهم بديته . وقال ابن الكلبي : كان الأقيشر مولعا بهجاء عبد الله بن إصحاق ومدح أخيه زكريا . فقال لفلانته : ألا تريهوني منه ! فانطلقوا فجمعوا بهرا وقصبا

(١) الزور : جمع زائر، كراك ورك .

يظهر الكوفة وجملوه في وسط إبرة<sup>(١)</sup> ، وأقبل الأقفش سكرانا من الحيرة على بغل أبي المضاء المكارى ، فازلوه عن البغل وشدوه رباطا ثم وضعوه في تلك الإبرة وأهلبوا النار في القصب والبرفات ، ولم يعلم من قتله . والله أعلم .

### ذكر شيء من نوادر ابن سيابة

هو إبراهيم بن سيابة مولى بنى هاشم . كان يقال : إن جدته حجام اعتقه بعض الهاشميين . قتلته إبراهيم الموصلي وأبنته إسحاق لأنه مدحهما فرهما من قدره وغنياً بشعره ونوَّها بذكره . وكان خليفاً ماجناً حسن النادرة . وله نوادر نذكر منها نبذاً فيما رواه أبو الفرج الأصفهاني . منها ما رواه عن إسحاق الموصلي قال : أتى إبراهيم ابن سيابة وهو سكران أبنا لسوار بن عبد الله القاضي أحمرد ، فماقه وقبله ، وكانت معه داية يقال لها رَحَاص ، فقبل لها : إنه لم يقبله بتقبل التسليم ، وإنما قبله شهوة ، فلحقته الداية فشتته وأسمتته كل ما يكره ، وهجره الغلام بعد ذلك ، فقال :

لئن تئثك مِراً • فأبصرني رَحَاصُ  
وقال في ذاك قوم • على أنتقاصي حِراصُ  
هَجَرَتْنِي وَأَتْنِي • شَتِيمَةً وَأَنْتَقَاصُ  
فهاك فاقْتَصْ مِنِّي • لِمَا تَجْلُو رُوحَ قِصَاصُ

وقد قيل : إن رَحَاص هذه كانت مغنية كان الغلام يهاها ، وإنه سيكرها ، فقبله ابن سيابة . فلما آتته قال للغنية : ليت شعري ! ما كان خبرك مع ابن سيابة ؟ فقالت له : سل عن خبرك أنت معه ، وحدثته بالقصة ، فهجره الغلام ، فقال هذا الشعر .

وقال إصحاق بن إبراهيم : كان ابن سيابة عندنا يوماً مع جماعة تهلث وتناشد وهو يشد شيئاً من شعره، فتحرك فضرط فضرب يده على آسنه غير مكترث وقال :  
إما أن تسكني حتى أتكم، وإما أن تتكلمي حتى أسكت .

وقال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كان عند  
جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر  
منها عند القوم، وبيتك أولى بالأمم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ :  
قدم عليّ إبراهيم بن سيابة بنيسابور فأزله عليّ، بفاء ليلة من الليالي فجعل يصيح :  
يا أبا أيوب، نفثيت أن يكون قد غشيه شيء، فقلت : ما تشاء ؟ فقال :

• أحياني الشائدُ الريبُ •

قلت بماذا ؟ فقال :

• أكتبُ أشكو فلا يُجيبُ •

قلت : دأبه ودأبه، فقال :

من ابن أبي شفاء قلبي • وإنما دأبي الطيبُ

قلت : لا دواء إذاً إلا أن يفرج الله عز وجلّ عنك . فقال :

يا رب فرج إذاً وعجل • فإنك السامعُ المحيِّبُ

ثم أنصرف . وقد تهمت هذه الحكاية . والسلام .

ذكر شيء من نوادر مطيع بن إلياس الكثاني وأخباره

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية  
والعباسية . كان ظريفاً خليعاً ماجناً حلو العشرة مليح النادرة قال : وكان متبهما  
في دينه بالزندقة . وكان مولده ومنشؤه بالكوفة، وكان مقطوعاً إلى الوليد بن  
عبد الملك، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد . وكان سبب ذلك ما حكى عن حكم

الوادي المفتي، قال : غيّت الوليد بن يزيد وهو غلام حديث السن بشعر مطيع بن أياس وهو :

إكليلها الرأى \* ووجهها فنان

وخلفا فريدا \* ليس له جيران

إذا مشت ثنت \* كأنها ثعبان

قد جلدت بغاث \* كأنها عثان

فطرب حتى زحف عن مجلسه الى ، واستعادنى الصوت حتى تحيل صوتى؛ ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت : عبدك يا أمير المؤمنين أرضاه تلذمتك . قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن أياس . قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ؛ فأمر أن يُحْمَلَ اليه مع البريد ، فحُمِلَ اليه ؛ فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقال : ١٠ عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : أدن منى ، فدنا منه فضمه الوليد اليه وقبّل فاه وبين عبيه ، وقبّل مطيع رجليه والأرض بين يديه ؛ ثم أدناه حتى جلس فى أقرب المحاسن اليه ، وأصطحب معه أسبوعا متوالى الأيام على هذا الصوت . وكان فى خلال الدولة الأموية ينقطع الى أوليائها وعلمائها ، ثم أنقطع فى الدولة العباسية الى جعفر ١٥ ابن أبى جعفر المصور فكان معه حتى مات جعفر . ومات مطيع فى خلافة الهادى بعد ثلاثه أشهر مصت منها . وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها ، فلنقتصر هاهنا من أخباره عليها دون غيرها .

قيل : سقط لمطيع حائط ؛ فقال له بعض أصحابه : أحمد الله على السلامة .

قال : أحمد الله أنت إذ لم ترعك هدته ، ولم يصبك غباره ، ولم تفرم أجره بنائه .

ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن مطيع بن إلياس، قال: قال لي حماد بن محمد يوما: هل لك أن أريك "خُشَّة" صديقتي وهي المعروفة بظبية الوادي! قلت نعم. قال: إنك إن قدمت عندها وخبئت عينك في النظر أفسدتها علي. فقلت: لا والله لا أنكم بكلمة تسوءك ولا أسرك. ففضي بي وقال: والله لئن خالفت ما قلت لأخرجتك. قال: قلت: إن خالفت إلى ما تكره فاصنع بي ما أحببت. قال: أمض بنا فضيئنا، فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم وأحسنهم وجها. فلما رأيته أخذني الزم<sup>الكل</sup>ع، وفطن لي فقال: آسكت يابن الزانية، فسكت قليلا، فلحظتني ولحظتها لحظة أخرى فنضب ووضع قلنسوته عن رأسه، وكانت صلته حمراء كأنها آسكت قرد؛ فلما وضعها وجدت الكلام موضعاً، فقلت:

❧

وإن السوءة السوءة \* يا حماد عن خُشَّة  
عن الأثرجة الفضة \* والتساعة الهشة

فالتفت إلي وقال: فعلتها يابن الزانية! فقالت له: أحسن، فوالله ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه! فقال لها: يا زانية! فسبته وتناورا، فشقت قبضه وبصقت في وجهه وقالت له: ما يُصادقك ويدع مثل هذا إلا زانية، ونرجما وقد لقي كل بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يابن الزانية: إنك ستفسد علي مجلسي! فأمسكت عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبني ويشكوني إلى أصحابنا؛ فقالوا لي:

أجه ودعنا وإياه؛ فقلت:

ألا يا ظبية الوادي \* وذات الجسد الرادي  
وزين المصير والدار \* وزين الحى والنادي

(١) كما في الأمان (ج ١٢ ص ٨٢ طبع بولاق). وفي الأصول: «إنك إن قدمت عنها وحقت مبيك في الطر... الخ». (٢) الزم<sup>الكل</sup>ع: الممش.

وذاث الميهم العذب • وذاث الميهم البادى  
 أما بالله تسعج • بين من خلّة حماد  
 غمّاد قى ليس • بذى عزّ فتقضى  
 ولا مال ولا طريف • ولا حفظ<sup>(١)</sup> لمرّاد  
 قسوى وأتقى الله • وبقيّ جبل عجمّار  
 فقد ميّزت بالحسين • عن الخلق بإفراد  
 وهذا الين قد حمّ • بغسودى لى بالزاد

قال : فآخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها فى الطريق، وخرجت  
 أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رأها وقرأها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن  
 الزانية وساعدتموه ؟ قال : وأخذنا حكم الوادى فغنى بها، فلم يبق بالكوفة سقاء  
 ولا طعمان ولا مكار إلا غنى فيها ثم غبت مدة وقدمت فأتانى فرس لم على حتى قال لى :  
 أما بالله تسعج • بين من خلّة حماد

قتلتى قتلك الله ! والله ما كنتى حتى الساعة . قال : قلت : اللهم أدم هجرها له  
 وسوء رابها فيه وأسفه عليها وأغره بها، فشتنى ساعة . قال مطيع : ثم قلت له : قم  
 أمض بنا حتى أريك أخنى — وكانت لمطيع صديقةً يسميها أحنى وتسميه أنى، وكانت  
 مغنية — فلما خرجت إلينا، دعوت قيمة لما فأسررت إليها فى أن تصلح لنا طعاما  
 وشرايا، وعرفت أن الذى معى حماد فضحكت . ثم أخذت صاحبتى فى الفناء وقد  
 علمت بموضعه وهرفت، فكان أول ما غنت :

أما بالله تسعج • بين من خلّة حماد

فقال لها : يا زانية ! وأقبل على وقال : وأنت يا زاني يا بن الزانية ! أسررت هذا الى قيمتها ! قلت : لا والله كذبت . وشاتمته صاحبتى ساعة ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيط على . قلت : أنت ترى أنى أمرتها أن تغنى بما غنت ؟ فقال : أرى ذلك وأظنه ظناً لا والله ولكنى أتيفنه . لحقت له بالطلاق على بطلان ظنه وأنصرفنا .

وحكى قال يحيى بن زياد المحاربى لمطيع وكان صديقاً له : أنطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فإن بينى وبينها مغاضبة لتصلح بيننا وبئس المصلح والله أنت . قال : فدخلنا عليها ، فأقبلتا يتعتابان ومطيعٌ ساكئٌ ، حتى اذا أكثر قال يحيى : ما يسلكك ؟ أسكت الله فأمك ! قال لمطيع :

أنت معتلة عليه وما زلت لهُ مهيتاً لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى وهش له . فقال لمطيع :

فدميه وواصل أبى إياس . جِئتَ نفسه الغداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت فما زال يجلد بها رأسه ويقول : ألهذا جئتُ بك يا بن الزانية ! ومطيعٌ يثوث حتى ملَّ يحيى ، والجارية تضعك منهما ، ثم تركه .

وروى عن محمد بن الفضل السكونى قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن

لمطيع بن إياس زنديق وأنه يلازم أبنته جعفر وجماعة من أهل بيته ، ويوشك أن يفسد أديانهم أو يُنسبوا الى مذهبه . فقال له المهدي : أنا به عارف ، أما الزندقة طيس من أهلها ، ولكنه خيث الدين فاسق مستحل للعارم ؛ قال : فأحضره وأتى

عن صحبة جعفر وسائر أهله ، فأحضره المهدي وقال له : يا خيث يا فاسق ! لقد

(١) فى الأصول : « غشاً » ، والتصويب عن الألبانى .

(٢) التامة : الصوت . وأسكت الله تعالى يحيى أماته .

(٣) عزت الرجل : قال واوتماء .

(٤) كذا فى الأمانى . وفى الأصول : « دنياه » وهو لا يستقيم مع السياق .



أفسدت أخى ومن تصحبه من أهل ، والله لقد بلغنى أنهم يتقارعون عليك ،  
ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدت لك  
عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت اليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك !  
يا ربيع أضربه مائة سوط وأحبسه . قال : ولم يا سيدى ؟ قال : لآنك سبكر نعيم  
قد أفسدت أهل كلهم بصحبتك . فقال له : إن أذنت لى وسمعت احتجاجت .  
فقال له : قل ؛ فقال : أنا أمرؤ شاعر ، وسوق إنما تنفق مع الملوك <sup>(١)</sup> وقد كسدت  
عندكم ، وأذا فى أيامكم <sup>(٢)</sup> مطرَح ، وقد رضىت منها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على  
مائة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفيته على ذلك شكرى وشعرى ؛ فإن كان  
ذلك غاليا عندك تبث منه . فاطرق المهدى ثم رفع رأسه فقال : قد رفع إلى  
صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال ، وتضحك منهم . قال : لا والله ما ذاك من  
فصل ولا شأنى ولا جرى منى قط إلا مرة واحدة ؛ فإن سائلا أعمى أعترضنى وقد  
صبرت الجسر على بقلنى ، فقلتنى من الجند فرقع عصاه فى وجهى ، ثم صاح : اللهم  
محق الخليفة لأن يعطى للجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وتربح التجار عليهم  
تندز أموالهم فنجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا على منها . فتفترت بقلنى من صياحه  
ورفعه عصاه فى وجهى حتى كدت أسقط فى الماء . فقلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر  
فضولا منك ، سأل الله أن يرزقك ولا تجعل يلك ويته هذه الحوالات والوسائط  
التي لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول . فضحك الناس منه ورفع على فى الخبر  
[قولى له هذا] . فضحك المهدى وقال : خلوه ولا يضرب ولا يجهس . فقال له :  
أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضا وتبرا ساحتى وأنصرف بلا جائرة ! قال :

(١) كما فى الأغاني . وفى الأصول : مطروح .  
(٢) كما فى الأغاني . وفى الأصول : مطروح .  
(٣) زيادة من الأغاني (ج ١٢ ص ١٠١ طبع بولاق) .

لا يجوز هذا، اعطوه مائتي دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتُبَدَّ عنه ذنوبه؛ وقال له : أخرج عن بغداد ودع محبة جعفر حتى ينسلك أمير المؤمنين، ثم مد إلى . فقال له : فاين أفسد ؟ قال : أكتب إلى سليمان بن علي فيوليك عملا ويحسن اليك . قال : قد رضيت . فوفد إلى سليمان بكتاب المهديّ قولاً الصدقة بالبصرة، وكان عليها داود بن أبي هند فعزله به .

وأخبره في هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها .

### ذكر شيء من نوادر أبي الشَّبل

هو عاصم بن وهب بن البرَّاجم . مولده الكوفة . نشأ وتآدب بالبصرة . وفد إلى سامراء أيام المتوكل ومدحه . وكان طيباً كثير الغزل والنوادر والمجون . فنضق عند المتوكل وخدمه واختصَّ به وأمتدحه بقوله :

أقبل فأنلير مُقْبِلٌ \* وأتركي قول المَطْل

وثق بالنَّجح إن \* أبصرت وجه المتوكل

ملكٌ يُنصف يا ظا \* لمي فينا ويعيل

فهو النِّاية والمأ \* مول يرجوه المؤمل

فأمر له بثلاثين ألف درهم . وله أخبار مستظرفة تتضمن شعرا ونوادر تدل على ظرفه سنذكر منها طرفا . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق، وقدر أن يعطيه ألف درهم . فبعث إليه بصرة مخنومة فيها مائة دينار، فظن أنها دراهم فردها إليه وكتب معها :

قلت الذي جادت به كفُّ مالك \* ومالك مدسوسان في آسيت أم مالك

(١) سامراء : لغة في سرمن رأى ، وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت .

وكان الى يوم القيامة في آسها \* فأيسر مفقود وأيسر هالك  
وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز . فلما قرأ الزمعة أمر بإحضاره فأحضر وقال :  
ما هذا ؟ ظلمتنا وأحدثت طينا . قال : قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة  
درهم . قال : أنتحها ، ففتحها فإذا فيها مائة دينار ، قال : ألقى أيا الأمير . قال :  
قد أفلتت لك كل ما تحب أبدا ما بقيت وقصدتني .

قال : وكان له جار طيب أحق ، فأت فرأه فقال :

قد بكاه بول المريض بدمع \* واكف فوق مقتلته ذروف  
ثم شقت جيوين القوارب \* ر عليه ونحن نوح اللهيف  
يا كساد الخيار شبر والأف \* راص طرا ويا كساد السفوف  
كنت تمشي مع القوى فإن جا \* ضعيف لم تكثر بالضعيف  
لطف نفسي على صنوف رقاما \* بت تولت منه وعقل بصيف

وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هبيرة يشرب النبيذ ، وكان يشانا ،  
وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها هب ، كانت تشانا معه ، وكنت أحب بها  
كثيرا . فقام مولاه يوما الى الخابية يستقي نبيذا ، فاذا قبضه قد أنشق ، فقلت فيه :

قالت له هب يوما وباد لها \* بالشعر في باب فلان ومفعول  
أما القميص فقد أزرى الزمان به \* فليت شعري ما حال السراويل

قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضطر على صوت الميدان وغيرها

في الإيجاع ~~منه~~ فقلت فيه :

في الحى من لا علمت خلت \* فنى إذا ما قطعته وصلا

(١) كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٢٣ طبع بولاق) . ريف الأصول : « الجاية » وهو محريف .

(٢) في الأغاني : « أروى » .

له عجوزٌ بالحقي أبصر<sup>(١)</sup> من . أبصرته ضاربا ومرتهجا  
نادمته مرةً وكنت قى \* مازلت أهوى وأشتهى الغزلا  
حتى إذا ما أمالها سكر<sup>(٢)</sup> \* ييمت في قلبها لها مثلا  
اتكأت يسرة وقد خرفت<sup>(٣)</sup> \* أشراجها كي تقوم الرملا  
فلم تزل استها تطارحنى \* اسمع لى من يسومنى العملا

وقال محمد بن المربان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى ، وكان إذا حضر  
أعطك الشكلى بنوادره . فقال له أبى يوما : حنسا يبيض نوادرک وطرائفک .  
قال نعم . من طرائف أمورى أنت أبى زنى بجمارية سندية لبعض جيرانى ،  
فجلبت وولدت ، وكانت قيمة الجارية عشرين دينارا . فقال : يا أبت ، الصبي والله  
أبى ، فساومت فيه فقبل لى : نهمسون دينارا . فقلت له : ويك ! كنت تخبرنى وهى  
حبل فاشتريها بعشرين دينارا ونبيع الفضل بين الثنتين ! وأسكت عن المساومة  
بالصبي حتى اشتريته من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيا فولدت ابنا آخر ، بقاء  
يسألنى أن أبتاعه ، فقلت : طيك لعنة الله ، أى شىء حملك على أن تمحبل منه ،  
هلا عزلت عنها ! فقال : إنى لا أستحل العزل . ثم أقبل على جماعة عندى فجعل  
يقول : شيخ كبير يأمرنى بالعزل ويستحلّه . فقلت له : يا بن الزانية ! تستحل الزنا  
وتخرج من العزل ! فضحكنا منه .

ذكر شىء من نوادر حمزة بن بيض الحنفى

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية ، وهو كوفى خليف ماجن . وكان مقطعا  
إلى المهلب بن أبى صفرة وولديه ، ثم إلى أنات بن الوليد ويلال بن أبى بردة ،  
(١) الحقي : الصراط . (٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « شت »  
(٣) خرفت : أملت وصرفت .

وأكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما . يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء ورقيق ومُملّان وغير ذلك ألف ألف درهم . وله نوادر ، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني عنه :

- أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به عبثا شديدا . فوجه اليه ليلة رسول وقال : خذ عليّ أيّ حلة وجدته ، وأحلقه وغلظ عليه الأيمان على ذلك . فغضب الرسول فجهّم عليه فوجهه يريد أن يدخل الخلاء ؛ فقال له : أجب الأمير . فقال : ويحك ! إني أكلت طعاما كثيرا وشربت نبيذا حلوّا وأخذني بطني . فقال : والله ما تفارقني أو أمضي بك اليه ولو سلحت في ثيابك . فجهّد في الخلاص فلم يقدر عليه . ومضى به ، فوجهه قاعدا في طارمة له وجارية جميلة جالسة بين يديه ، وكان يتخطاها ، تسجّر الندّ . فجلس حمزة يحادثه وهو يعالج ما هو فيه . قال حمزة : ففرضت لي ربح فقلت : أسرحها وأسريح لعل ربحها لا يظهر مع هذا الندّ ، فأطلقتها ، فغلبت والله ربح البخور وعمّرت . فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : عليّ عهد الله وميثاقه وعلىّ المشي والهدى إن كنت فعلتها ! وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة . فغضب ، وتجلّت الجارية فاقدرت على الكلام . ثم جاءتني أخرى فسرحتها ، فسقط والله ربحها . فقال : ما هذا ؟ ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتني طالق ثلاثا إن كنت فعلتها . فقال : وهذه اليمين لازمة إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هذه الجارية ؛ وقال لها : ما قصتك ؟ ويلك ! قومي إلى الخلاء إن كنت تجدن شيئا . فزاد تجلّها ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسقط من ربحها ما لم يكن في الحساب . فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ؛ ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وأمض ، فقد نفقت عليّ ليتي . فأخذت بيدها

ونخرجت . فلقيني خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت له : أصمى بهذه الجارية . فقال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت لَيُبَغِّضَنَّكَ بَعْضُ لَانْتَفِعَ بِهِ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يحفظها ، وسيندم على هبته إياها لك . فأبيت إلا بمخمصة دينار . فقال : ليس غير ما ذكرت لك . فأخذتها وتركته الجارية . فلما كان بعد ثلاث دنانى عبد الملك . فلما قرئت من داره لقيني الخادم وقال لى : هل لك فى مائة أخرى وتقول مالا يضرك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت فأدع القسوات الثلاث وأنسبها إلى نفسك وأنضع<sup>(١)</sup> عن الجارية ما قرعتها به . فأخذتها ودخلت على عبد الملك . فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ويضحكك . قال : لك الأمان . فقلت : أرايت ليلة كذا وكذا وما جرى ؟ قال نعم . قلت : فعلى وعلى إن كان فسا تلك القسوات غيرى . فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال فقت : أردت بذلك خصالاً ، منها أنى قتت ففضيت حاجتى وقد كان رسولك منعى من ذلك . ومنها أنى أخذت جارىتك . ومنها أنى كافأتك على أذكى بمشله . فلما : واين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا نرجت حتى سلمتها لى ولان الخادم وأخذت مائتى دينار . فسُرَّ بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى . وقال : هذه لجليل فعلك فى وترتك أخذ الجارية . قال حمزة : ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم ير الناس أثنى إبطاً منه . فقال لى : يا حمزة ، سابق غلامى هذا حتى يفوح صنانك ، فأيكما كان صنانه أثنى فله مائة دينار . فصمعت فى المائة ويئت منها لما أعننه من تئن إبط الغلام ؟ فقلت : أفعل . وعاديا ساعة فسبقى ، فسلمت فى يدي ثم طليت إبطى بالسلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكمة ، فلما

(١) كذا فى الأمان . وفى الأصل : « وما ذاك » . (٢) اصمى . أى دمع عن .

دنا الغلام منه ونتمه وثب وقال : هذا والله لا يُشاكله شيء . فصاحت به : لا تعجل  
 عن - بالحكم ، مكالك ! ثم دنوت منه فالتفت أنه إبطى حتى علمت أنه قد خالط  
 دماغه وأنا ممسك رأسه تحت يدي ؛ فصاح : الموت والله ! هذا بالكُفِّ أشبه  
 منه بالإبط . فضحك عبد الملك ثم قال : أضحكت له ؟ قال نعم . فأخذت الدنانير .  
 قال : ودخلت يوماً على سليمان بن عبد الملك . فلما مثلت بين يديه قلت :  
 رأيتك في المنام شئت نراً \* على بنفسجاً وقضيت ديني  
 فصدقت يافدتك النفس رؤيا \* رأتها في المنام لديك عيني  
 قال سليمان : يا غلام ، أديخله خزانة الكسوة وأشتن عليه كل ثوب نر بنفسجي ،  
 نخرجت كاني مشجب<sup>(٢)</sup> . ثم قال : كم دينك ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمرني بها  
 وما أعلم والله أتى رأيت من ذلك شيئاً .

### ذكر شيء من نوادر أبي العيناء عفا الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، من بني حنيفة أهل الجمامة .  
 وأسير ياسر في سبأ في خلافة المنصور . فلما صار في يد المنصور أعتقه ، فهم موالى  
 بني هاشم . وكان أبو العيناء ضرير البصر ، يقال : إن جدّه الأكبر لقي على بن  
 أبي طالب رضي الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعمل ولده بالعمى ، فكل من عمي  
 منهم فهو صحيح النسب . وهو ممن اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستظرفة ،  
 ومراسلات عجيبة ، سأورد منها طرفاً ، وأسطر طرفاً . فمن ذلك : أت بعض الرؤساء  
 قال له : يا أبا العيناء ، لو ميّت لرقص الناس طرباً وسرورا . فقال بديهة :  
 أردت ملّتي فأجدت مدّتي \* بحمد الله ذلك لا يجديك

(١) شئت : سمت وحكت . (٢) المشجب : خشبات نصب لتوضع عليها الثياب .

فلا تَكْ وانْهَ اَبَدًا بِعَمِيد \* فقد اَتَى القضاءُ بِغيرِ عَمِيدِ

ثم قال : أجل ! الناس قد ذهبوا ، فلورأتى الموتى لطربوا لدخول مثل عليهم ، وحلول عقلٍ لديهم ، ووصول فضلى اليهم ؛ فما زال الموتى يغيطونكم و يرحموننى بكم . وقال : وأتصلت أشغال أبى الصقر الوزير ، فتأخر توقيعه عن أبى العيناء برسومه . فكتب اليه : رفقى ، أطال الله بقاء الوزير ، رقعة من علم شُغْلِكَ فَأَطْرَحَ عَدْلَكَ ؛ وَحَقَّقَ أَمْرَكَ فَبَسَطَ عُدْرَكَ . أما والليل اذا سمعس ، فالبنان لبنات الدنان ، وملاسات الحسان ؛ وأما والصبح اذا تنفس ، فالبنان للعينان ، ومؤامرات السلطان ؛ فَنَ أَبُو العيناء القِرْنان <sup>(١)</sup> ! . فوقع أبو الصقر تحت سطوره : لكل طعام مكان ، ولكل معوز إماكن ؛ وقد وقَّعنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظًا من المقسوم ؛ وَكَفَّيْنَا أَنْفُسَنَا عُدْرَكَ الذى هو تعزير ، ولساك الذى هو تحذير . والسلام .

ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبه فقال : طاعة مُشِجِكَ لسلطان كَرَمِكَ ، أَلزَمْتُكَ الصبر على ذنوبى إليك ، وَتَجَنَّبْتُ خُلُقَ طَيْسِكَ . فقال أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له وأنصرف شاكرًا . قال : وسط أبو العيناء لسانه على أهله فى بعض الدواوين . فقال له قى من أبناء الكتاب كانت فيه جرأة : كلَّ الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبى عليّ البصير . فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين حقواك ، ثم ننظر فى شكوك دعواك ، وقد طلقت الناس كلهم سواك ؛ ذلك أدنى آلا نعمل ، وفيك ما يروى الفحول ، ويتجاوز السؤل . قال : ففضحه بهذا الكلام ، فلم يُجِبْه . قال : وكان فى بنى الجراح قى خلیع ماجن فاراد العبث بأبى العيناء ؛ فنهاه نصحاؤه فأبى ؛ فقالوا : شاك . فقال له :

(١) القِرْنان : من لامية له .



يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال : حين آمن أهلُك وأبوك الذين لم يؤذوك . فقال له الهنّى : إذاً قد علمتُ أنك ما أسلمت . فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ، وشهادتي عليهم بلوى ، وسترى أئمة السلاطين أقوى - وأئمة الشيطانين أغوى ؛ وسيعلم أهلُك ، ما جنى عليهم جهلُك . قال : فأتاه أبوه فتبرأ من ذنوبه ، ودفعه إليه برُمته . فقال له أبو العيناء : قد وهبتُ جورَه لعَدِيكَ ، وتصدقتُ بمُحمّقه .  
٥ على عقلك .

ومن أخبار أبي العيناء أيضا : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برزون زعم أنه غير فارّه ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزّه الله تعالى أن أبا عليّ - محمداً أراد أن يبرئى فعقنى ، وأن يركبني فأرجلني ! أسرى بدابة تحف للنبرة ، وتغرّ بالبرعة ، كالقضيبي اليابس عجفاً ، وكالعاشق المجهود دحفاً ؛ يساعد أعلاه لأسفله ، حُباقه<sup>(١)</sup> مقرون بسُعاله ؛ فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لتعزيت ؛ ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مُرشّد ، أو شاعر مُنشد ؛ تضحك من فعله النسوان ، ويتناغى من فعله الصبيان ؛ من صائح يصبح : داوّه بالطباشير ، ومن قاتل يقول : نقّ له من الشعر . قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في الأمصار ؛ فلوا عيّن بنطق ، لروى بحق وصديق ، عن جابر الجعفيّ ، وطاهر الشّجعيّ . وإنما أُتيبت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإذا اختار لغيره أخبث وأزور . فإن رأى الوزير أن يبدلني ويربّحنى بمرْكوب يضحكني كما يضحك مني ، يحو بحسنه وفراسته ، ما سطره العيب بقبحه ودماسته . ولست أردّ كرامته ، سرّحه وبلامته ؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يديه ، أو يتقص ما يعصيه . فوجه إليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسرّجه وبلامه . ثم اجتمع محمد  
٢٠

(١) كذا بالأصل . (٢) الخاق : الصراط .

ابن عبيد الله عند أبيه . فقال عبيد الله لأبي العيئة : شكوت ذابئة محمد ، وقد أخبرني  
 إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا يُشْتَكى . فقال : أعز الله الوزير  
 لو لم أكذب مستريدا ، لم أنصرف مستفيدا . وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز :  
 (الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) . فضحك عبيد الله  
 وقال : حجتك الداحضة ، بملاحتك وطرفك أبلغ من حجة غيرك البائسة . ودخل  
 أبو العيئة على أبي الصقر وكان قد تأخر عنه ، فقال : ما أترك عتاً ؟ قال : سُرق حمارى .  
 قال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأحبرك . قال : فلم لم تأت على غيره ؟  
 قال : أبعدي عن الشراء قلة يسارى ، وكريه ذلة المكارى ، وممة العوارى . قال :  
 وصار يوما الى باب صاعد بن مخلد ، فقبل له : هو مشغول يصلى ، فقال : لكل جديد  
 لذة . وكان صاعد نصرانياً قبل الوزارة . وقال له صاعد يوما : ما الذى أترك عتاً ؟  
 قال : بنتى . قال : وكيف ؟ قالت لى : يا أبت ، قد كنت تقدمون عندنا فتأتى  
 بالحلعة السرية ، والجايزة السنية ، ثم أنت الآن تقدمون مُسَدِّفاً ، وترجع مُعْتِياً ، فأى من ؟  
 قلت : إني أبى العلاء ذى الدرايتين . قالت : أعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيشعك ؟  
 قلت : لا . قالت : أرفع مجلسك ؟ قلت : لا . قالت : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع  
 ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ! .

وقال له رجل من بنى هاشم : بلغنى أنك بفناء . قال : ولم أنكرت ذلك مع  
 قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مولى القوم منهم" ؟ قال : إنك دعيت فىنا .  
 قال : يماني صحیح نسبي فيكم . وسأل أبو العيئة الحافظ كانا الى محمد بن عبد الملك  
 فى شفاعة لصاحبه له ، فكتب الكتاب وثاونه 'رجل' فعاد به الى أبى العيئة وقال :  
 قد أسعف . قال : فهل قرأته ؟ قال : لا . لأنه غنوم . قال : ويحك ! فضة لا يكون  
 صحيفة المتلئس . ففضة فاذا فيه : موصّل كتابي رأتني فيه أبو العيئة ، وقد عرفت

- سفهة وبذاء لسانه، وما أراه لمعرفك أهلا . فإن أحسنت إليه فلا تحسبه على يدا، وإن لم تحسن إليه لم أئده عليك ذنبا، والسلام . فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان . نفيل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء، هذه علامتى فيمن أعنى به . قال : فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فأعلم أنها علامته فيمن شكر معروفه . وقال أبو العيناء: مررت يوماً بدرب بسامراء؛ فقال لى غلامى: يا مولاي، فى الدرب حمل سمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلسانى وصرت به الى متلى . فلما كان من الغد جاءتنى رُقمه من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك، ضاع لنا بالأمس حمل، فأخبرنى صبيان دربنا أنك أنت سرقتة، فأمر برده متفضلاً . قال أبو العيناء : فكتبت إليه : أى سبحان الله! ما أعجب هذا الأمر! مشايخ دربنا يزعمون أنك بقاء وأكذبهم ولا أصدقهم، وتصدق أنت صبيان دربكم أنى سرفت الحمل! . قال فسكت وما عاودنى . ولأبى العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل فى هذا الباب وتركنا ما سواه .

### ذكر ما ورد فى كراهة المزح

- رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ" . وقال حكيم : خير المزاح لا يُنَال ، وشره لا يُقال ؛ سكرات الموت به مُحْدَقَة ، وعيون الآجال إليه مُحْدَقَة . وقال آخر : تجنب شؤم الهزل وتكد المزاح؛ فإنهما بابان إذا فُتِحَا لم يُغْلَقَا إلا بعد عسر ، وخُفِّلَا إذا لَقِحا لم يَتَجَا غيرَ ضَرٍّ . وقالوا : المزاح يضع قدر الشريف، ويذهب هية الجليل . وقالوا : لا تقل ما يسوءك طاجله ، ويضرّك آجله . وقالوا : لئالك وما يُستَقْبَح من الكلام ، فإنه يُتَقَرَّ عنك

الكرام، ويُحَسِّرُ عليك اللثام . وقال عمر بن عبد العزيز : اتقوا المزاح ، فإنه حَقَّةُ  
نورث ضغينة . وقال حكيم لأبيه : يا بني ، إياك والمزاح ، فإنه ينهب بيهاء الوجه  
ويحط من المروءة . قال شاعر :

إِكْرَهْ لِنَفْسِكَ مَا لِنَفْسِكَ تَكْرَهْ • وَأَفْعَلْ لِنَفْسِكَ فَعْلَ مَنْ يَتَرَهْ )  
وَأَرْفَعْ بِصَمْتِكَ عَنْكَ سُبَاتِ الْوَرَى • خَوْفَ الْجَوَابِ فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهْ  
وَدَعِ الْفُكَاكَةَ بِالْمَزَاحِ فَإِنَّهَا • تُودِي وَتُسْقِطُ مَنْ بِهَا يَتَمَكَّهُ  
وقيل :

الْأَرْبَ قَوْلِي قَدْ جَرَى مِنْ مِمَازِجِ • فَسَاقَ إِلَيْهِ الْمَوْتَ فِي طَرْفِ الْجَبَلِ  
فَإِنَّ مَزَاحَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حَيْثِهِ • دَلِيلٌ عَلَى فِرَاطِ الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ  
وقيل :

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحَ فَإِنَّهُ • يُجَرِّى عَلَيْكَ الطُّفَلَ وَالرَّجُلَ النَّذْلَا  
وَيُذِيبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ • وَيُورِثُ بَعْدَ الْعَرْصَةِ صَاحِبَهُ ذُلًّا

وقال بعض البلغاء : المزاح تحرف ، والاقتصاد فيه ظُرف ، والإفراط فيه ندامة .  
وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه . ويقال : أكثر  
أسباب القطيعة المزاح . وإن كان لا غنى للنفس عنه للجُحْمِ ، فليكن بمقدار المنفع  
في الطعام . قال أبو النخع البستي رحمه الله :

أَفِذْ طَبْعَكَ الْكَدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً • تَرَاحُ وَعَلَّاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَسْزِجِ  
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَ الْمَسْزِجُ فَلْيَكُنْ • بِتَقْدَارِ مَا يُعْطَى لَطْعَامُ مِنَ الْمَلِجِ

وقيل :

إِصْرَحْ بِمَقْدَارِ الطَّلَاقِ وَأَجْتَنِبْ \* مَرَحًا تَغِيْفُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ  
لَا تُنْضِبَنَّ أَحَا إِذَا مَا زَحَّه \* إِنْ الْمَزَاحَ عَلَى مَقْدَمَةِ الْغَضَبِ

وقيل :

- مازح صديقك ما أحبُّ مزاحا \* وتوقُّ منه في المزاح إحسا  
فربما مَرَحَ الصديقُ بِمَزْحَةٍ \* كَانَتْ لِبَدْءِ عِدَاوَةٍ يَفْتَحَا  
وقال سعيد بن العاص لولده : يا بني ، إقصد في مزحك ، فإن الإفراط فيه يذهب  
البهاء ، ويُجْرى السفهاء . ويقال : المزاح أوله قَرَحٌ ، وآخره تَرَحٌ . قال أبو العتاهية :  
وترى الفتى يُلْقَى إِخَاهُ وَخِذَّتُهُ \* فِي بَعْضِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ  
ويقول كنتُ ملاعباً ومزاحاً \* هيات ! نَارُكَ فِي الْحِشَا تَسْعَرُ  
أَلْقَيْتَهَا وَطَفِئَتْ تَضْحَكُ لَاهِيَا \* وَفَوَادُهُ مِمَّا بِهِ يَتَمَضَّرُ  
أوما علمت ومثلُ جهلك غَالِبٌ \* أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْإِكْبَرُ  
فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون ، يفرح لها قلب المحزون ، وتزول عنه  
الشجون . فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزارعين .

- ١٥ ذكركم شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه

وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن ، ما رُفِقت معانيه في حُللِ أنفاسها  
على صفحات أطراسها ، وأهلت مغانيه بما أودعه لسانُ القلم صدر قرطاسها من  
بديع إيناسها . يضحك سامعه وإن كان تِكْلا . ويستوفيه وإن كان غملا . هذا مع  
ما فيه من حُشِّ القول الذي إذا تأملته في موضعه كان أرين من عقود الآلاتِ ،

وإن لمحت في غيره كان أقفر من ظلم الليالي . نسأل الله المساعدة لكتابه وقائله ،  
وستمعه ونقله . فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء :

يا أبا أحمد بنفسى أفديك وأهلى من سائر الأسواء  
كيف كان انحطاط جعك في طاء \* عية شرب الدواء يوم الدواء  
كيف أمسى سبال مبعرك الندى \* ل غريقا في المزة الصفراء

وقال الحسن بن هانئ :

للعلمة يطمئني أمر د \* تأخذ مني العين والفك  
أطيب من ففاحة من يدي \* ذى لحية مخشوة مسكا

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاج :

قوي تتي فلسطين من شاني \* قوي آذني لا يراك شيطاني  
لا كان دمر عليك حصتي \* ولا زمان اليك أبلاني  
فعدت نفسي نوق طنفتي \* ما بين راحي وبين رجلي  
فا عدنا من الكنيف وقد \* حضرت إلا بنات وردان<sup>(١)</sup>

وقال أبو بكر محمد الخوارزمي :

فسا الشيخ بهاء وفي كفه \* شراب فئنه لوم قبيحا  
فقال لي الدخن والخرج لي \* فادخت راحا وأخرجت ريجا

وقال ابن سكرة اذا شمتي :

وبات في السجح مبي صاحب \* من أكرم الناس ذوى الفضل  
أفسو فيفسر فيولي مسعد \* وإنمأ أملي ويسنمي

(١) اليمس : ربيع - (٢) حس : ربيع

(٣) بنات ورد : دواء حر - أبو - وكثرة تكون - حس : وفي ركف

## الباب الرابع

## من القسم الثالث من القرن الثاني

في الخمر وتحريمها وآفاتا وجناتيا وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية،  
ومن حُد فيها من الأشراف، ومن أشتهرها، وليس ثوب الخلاعة بسببها،  
وما قيل فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها وآينتها، وما قيل  
في مبادرة اللذات، وما وُصفت به المجالس وما يجري هذا المجرى

## ذكر ما قيل في الخمر وتحريمها

أجمع الناس على أن الخمر المحرمة في كتاب الله عز وجل هي المتخذة من عصير  
العنب بعد أن يغلي ويغذف بالزبد من غير أن يمسها نار. وإذا آقلبت بنفسها وتخلت  
طهرت من غير أن يُسبب في ذلك شيء يُلقي فيها. وطهارتها إذا علت عليها  
الحوصة وفارقتها النشوة. والخمر المتخذة أيضا من التمر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم  
فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الخمر من هاتين الشجرتين  
التخلّة والعنبة». وفي حديث آخر: «من هاتين الشجرتين الكرّية والنحلة». وعن  
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول: «أما بعد، أيها الناس. إنه نزل تحريم الخمر وهي من  
نحسة، من التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير». والخمر ما خمر المقلّ.  
ولا خلاف بين أحد من الأئمة في أن الخمر حرام، لما ورد في ذلك من الكتاب  
والسنة. أما ما ورد في كتاب الله عز وجل فأربع آيات، منها ما يقتضي الإباحة،  
ومنها ما يقتضي الكراهة والتحريم. فأقول ما زل فيها بمكة قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ

تَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا. فكان المسلمون يشربونها يومئذ وهي حلال لهم . ثم أنزل الله عز وجل بالمدينة : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وغيرهم من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فداؤا : يا رسول الله ، أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبنا للعقل مسلبة لال ؛ فأزل الله تعالى هذه الآية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربكم قدّم في تحريم الخمر » . فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا : لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه إثم كبير ، وشربها قوم لقوله تعالى : ( وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ ) . وكانوا يستمتعون بما فيها ويحبّبون مآثمها ؛ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقامهم بخمر فشرّبوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا بعضهم ليصلّ بهم ؛ فقرأ قل يا أيها الكافرون ؛ عبد ما تعبدون إلى أنزل السورة بخفف "لَا" فأزل الله عز وجل . ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ) لحزم السكر في أوقات الصلاة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله عز وجل تقارب في النهي عن شرب الخمر وما زناه إلا سيحزمها . فلما نزلت هذه الآية تركها قوم ، وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة . وقال قوم : نشربها ونجلس في بيوتنا ؛ فكانوا يتركونها وقد صلّوا ويشربونها في غير حين الصلاة ؛ إلى أن شربها رجل من المسلمين . فجلس يروح عن عقله بلير ويقول :

حَيَّا بِالصَّلَاةِ أَمْ بِكَرٍ . وهل لي بعد رهطك من سلام

قد ربحي أصسه بخ يكرًا لاني . رأيت الموت كفت ع هشام

ووزي . والمفسرة لو فدوة . باليف من رجالٍ وسوام



في آيات أخر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء فزعا يجوز رداءه حتى انتهى إليه ، ورفع شأن كان في يده ليضربه ؛ فلما طأته الرجل قال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبداً ؛ ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْمَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَرَمِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ . وروى أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ، وكان نزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة .

وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب ما رواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أصبتُ شارقاً<sup>(١)</sup> مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في منم يوم بدر ، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارقاً أخرى من الخمس . قال علي : فلما أردت أن أبتى بها طعمة بت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع يرتحل معي فتأني بإذنيه أردت أن أبيعها من الصواغين فاستعين به علي وليمة عرسي . فبدأ أنا أجمع لشارقي متاءً من الأقداب والغرائر والجمال ، وشارفاي صاختان إلى جنب شجرة رحل من الأنصار ورجعت حين جمعت ما جمعت ، فإذا شارفاي قد أجثت أسمتهما ويرت خواصرهما<sup>(٢)</sup> وأحد من أكلدهما ، فلم أملك نفسي حين رأيت ذلك المطر منهما [أن] قلت : من مع هذا ، قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنواء . غنمته قبة وأصحابه ، فقالت في غناها :

ألا يا حمز الشرف النوا .

(١) انشارف : المشاهدة من فوق .

(٢) خواصرهما (مع مد وث ث ص) شاربين بودا . دودا .

(٣) الإدر حثينة . راحة ينفصها البرث دودا . دودا . دودا .

— لم يذكر مسلم في صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه . والأبيات التي عنت بها :

ألا يا حمز للشرف<sup>(١)</sup> النواء \* وهن معقلات بالفناء

ضع السكين في اللبّات منها \* فضرّ جهنّ حمز<sup>(٢)</sup> بالدماء

ومجّمل من شرائعها كبا \* ملهوجة على وبع الصلاء

وأصلح من أطايبها طيحا \* لشريك من قديد أو شواء

فانت أبا عمار<sup>(٣)</sup> المُرّجى \* لكشف الضر عنها والبلاء

— فقام حمزة بالسيف فأجّنب أسنمتها وبقر خواصرها وأخذ من أجبادهما .

فقال علي : فأطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن

حارثة . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مالك ؟ " قلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاللوم

قط ، عدا حمزة على ناقتي فأجّنب أسنمتها وبقر خواصرها وهذا هو ذا في بيت معه

شرب . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فأرتداه ثم انطلق يمشي وأتبعته أنا

وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذي فيه حمزة فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شرب ،

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل وإذا حمزة مغمرة عيناه فنظر

حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر إلى

سرتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، فقال حمزة : وهل أتم إلا عبيد لأبي ! فعرف

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يميل ، فنكس رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقيقه

الفهقري ونرح ونرجا معه . وفي حديث آخر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لعلي : " إن عمك قد يميل وهما لك على " ففرمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) لشراف : جمع شرف وهي الساقة المسكة كقوله قريبا .

(٢) ملهوجة : مبرحة صفة .

لعل . فلما أصبح حمزة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر . فقال : «مَهْ  
يا عم فقد سألت الله فعفا عنك » . قالوا : وأتخذ عتيان بن مالك صديقاً ودعاً رجالاً  
من المسلمين ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا  
منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم أقصروا عند ذلك وأنسبوا وتناشدوا  
الأشعار ، وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار ونقر لقومه ، فقام رجل من الأنصار  
فأخذ حتى البعير فضرب به رأس سعد فشبهه شجرة موصحة . فانطلق سعد إلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصار . فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بين لنا  
رأيك في الخمر بيانا شافياً ، فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة المائدة (١) إنما  
يريد الشيطان الآية إلى (مُتَّبِعُونَ) . فقال عمر : اتبينا يارب . وقيل : إنما  
حُرِّمَتْ بعد غزوة الأحزاب بأيام في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة . والله أعلم .  
قال أنس رضى الله عنه : حُرِّمَتْ ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما  
حُرِّمَ عليهم شيء أشد من الخمر . قال : فأخرجنا الحباب إلى الطريق فصبنا ما فيها ،  
فتنا من كسر حُجْبِهِ ، ومنا من غسله بالماء والطين ، ولقد خدرت أرقه المدينة بعد  
ذلك حيناً ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كُنْتُ ساقِ القوم يوم حُرِّمَ الخمر  
في بيت أبي طلحة ، وما شراهم إلا قِصْبِخ البسر والتمر ، فإذا ساد ينادى . فقال القوم :  
أُخرج فأظفر ، فإذا ساد ينادى : ألا إن الخمر قد حُرِّمَتْ ، قل : بحرَّت و سكك المدينة .  
فقال لى أبو طلحة : أُخرج فأهرقها فهرقها . فقالوا أو قال بصبه : قُتِلَ فلان !  
قُتِلَ فلان ! وهى في بطونهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ قِيًّا طَعَمُوا إِذَا مَا آمَنُوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

(١) في الأصل : «منهم» . (٢) المصحح : «معه» . «د» .



- وأما ماورد في تحريمها في كتاب الله وبيئته السنّة، فالأحاديث متضافرة في تحريمها . فمن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات وهو مدمنٌ نحر لقي الله وهو كما يد وثن » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمنٌ نحر » . وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيردّ عليه ذلك ما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفيّ سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها ، وقال : إنما أصنعها للدواء ؛ فقال : « إنما ليست بدواء ولكنه داء » . وعنه صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قديم من جیشان ( وجیشان من اليمن ) فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الدرة يقال له المزرء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أو مسكر هو » قال نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال » . فقالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار » . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ مسكر نحر وكلّ مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمها لم يتب لم يشربها في الآخرة » وفي لفظ : « حرّمها في الآخرة فلم يسقها » وفي لفظ : « إلا أن يتوب » . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حرّمت الخمر قليلاً وكثيرها وما أسكر من كلّ شراب . وعنه رضي الله عنه : من سرّه أن يحرم ما حرم الله ورسوله فليحرم التبيذ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » أخرجه البخاري في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



## ذكر ما قيل في إباحة المطبوخ

- والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذى طُبِخَ حتى ذهب ثُلُثاه وبقي ثلثه . سُمِّيَ بذلك لأنه شبه بطلاء الإبل في تَحْنِته وسواده . وقد اختلف العلماء في المطبوخ ، فقال بعضهم : كلَّ عَصِيرٍ طُبِخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يُكْرَهُ ، وإن طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربهُ وبيعُهُ إلا أن السكر منه حرام . وجهتهم في ذلك ما روى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى بعض عماله : أن أَرْزُقَ المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه . وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أما بعد ، فاطلبوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم ، فإن له اثنين ولكم واحد . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أتت نوحا عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال : هذا لى ، وقال : هذا لى ؛ فاصطلحا على أن نوح ثلثها وللشيطان ثلثها . وسئل سعيد بن المسيب : ما الشراب الذى أحله عمر رضى الله عنه ؟ فقال : الذى يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه . وحكى أن أبا موسى الأشعرى وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه . وعلى الجملة في مجموع هذه الأخبار في مُثَلِّث لم يسكر البتة . ودليل ذلك ما حكي عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجي قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : ألا تشرؤا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، وكلَّ مسكرٍ حرامٌ . هذا الذى عليه أكثر العلماء . وقال قوم : إذا طُبِخَ العَصِيرُ أدنى الطبخ صار حلالا ، وهو قول إسماعيل بن عُلَية

(١) الثخن : النط .

(٢) المثلث من الشراب : الذى طبخ حتى ذهب ثلثه .

وبشر المرسي وجماعة من أهل العراق . وذهب بعضهم الى أن الطلاء الذي  
رُخِّص فيه إنما هو الرُّبُّ والدُّبُّسُ . والله عز وجل أعلم .

### ذكر آفات الخمر وجناتها

وآفات الخمر وجناتها كثيرة، لأنها أمُّ الكبائر . وأول آفاتنا أنها تُذهب العقل،  
وأفضل ما في الإنسان عقله، وتحسن القبيح وتصح الحسن . قال أبو نؤاس الحسن  
ابن هاني عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف :

اسقني حتى تراقى \* حسنًا عندى القبيحُ

وقال أيضا :

اسقني صِرْفًا حميًا \* ترك الشيخ صبيًا  
وتريه النقي رُشدًا \* وتُريه الرُشد غيًا

وقال أبو العلي :

رأيت المُدَمَّةَ غَلَبَةً \* تُبَيِّجُ لِرءِ أَشْوَاقِهِ  
نسيء من المرء تَأْدِيَةً \* ولكن تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ  
وَأَنْفُسُ مَا لَلْفَتْ لُبَّهُ \* وَذَوَالِبُ يَكْزُرُهُ إِفْثَاقُهُ  
وَقَدْ مِتُّ أَمِيسَ بِهَا مَيِّتَةً \* وَمَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ مَنْ ذَاقَهُ

قالوا : وإنما قيل لمُشَارِبِ الرجل نَدِيمٌ، من التندمة ؛ لأن الرجل . ماقر الكأس  
إذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه، فليل لمن شارب « نادمه » لأنه فعل  
مثل فعله فهو نديم له، كما يقال : جالسه فهو جليس له . والمعاقرة : المدمن ، كأنه  
لزم عُقَرِ الشَّيْءِ أى فَنَاه . وقد شُهِرَ أصحابُ الشراب بِسُوءِ الْعَهْدِ وَقِلَّةِ الْحِفَاطِ،

(١) الرب : ما يطبخ من التمر، أو سلاخة خثارة كل ثمرة بعد إحصارها والدبس . عمل التمر .

وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما استغيت عنه حتى تفقر، وما عوفيت حتى تُسكب، وما غلت دنانك حتى تُتَرَف، وما راوك بعيونهم حتى يفقدوك. قال بعض الشرءاء عفا الله تعالى عنه :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم • وليس لأصحاب التيذ حريم  
إذا جثم حيوك ألقا ورجوا • وإن غبت عنهم ساعة فننيم  
إخاؤهم مادارت الكأس بينهم • وكلهم رث الوصال مسوم  
فهذا بيانى لم أقل بجهالة • ولعكنى بالفاسقين علم

قيل : سقى قوم أمرا بية مسكرا، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا نعم . قالت : فما يدرى أحدكم من أبوه . وقال قصي بن كلاب لبيته :

اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان • وقيل لعدى بن حاتم : مالك لا تشرب التيذ ؟ قال : معاف الله ! أصبح حليم قوم وأمسى سفيهم • وقيل لأمرأى : مالك لا تشرب التيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلى • وقيل لعثمان بن عفان : ما منعك من شرب الخمر فى الجاهلية ولا حرج عليك ؟ قال : إني رأيتها تُذهب العقل جملة وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة • وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب

أبن رباح : هل لك فيما يُنثر المحادثة ؟ يريد المصادمة، فقال : أصلح الله الأمير ! الشَّعرُ مفقُلٌ واللون مُرَمَّدٌ، ولم أقصد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر، وإنما هو عقلى ولسانى، فإن رأيت ألا تفترق بينهما فافعل • ودخل نصيب هذا على عبد الملك ابن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله به ثم دعا بالطعام فطعم معه . فقال له عبد الملك : هل لك [ أن ] تُأدِم عليه ؟ قال : يا أمير المؤمنين، تأملنى . قال : قد أراك . قال : يا أمير المؤمنين، جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولست

في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك ومواكبتك عقلي ، وأنا أكره أن أُدْخِل عليه ما يَنْقُصُه . فأعجبه كلامه وأعفاه .

وقال الحسن : لو كان العقل عَرَضاً لتغالى الناس في ثمنه ؛ فالعجب لمن يشتري بماله شيئاً ليشربه فيذهب عقله ! .

وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وقعة وفدعا عليه وقد أكل : هل لك في الشراب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس بحرام ما أحللت ، ولكن أمنع أهل عمل ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ .

وقالوا : للتبذ حدان ، حد لا همّ معه ، وحد لا عقل معه ؛ فطبعك بالأول وأتق الثاني .

ومن آفات الخمر انتضاح شاربها بريحها عند من يحشم منه ويتقيه ويخافه فلا يستطيع مع وجود ريحها إنكار شربها . والولادة تمحذ بالاستنجاء ؛ لأن ثمارها يثبت في الفم اليوم واليومين بعد تركها . فمن شربها ساعة وهو يحشم من الناس أن يظهر ذلك عليه أحاج إلى الانقطاع في بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة . وقد تحايل الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها . فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المتز والسباسة والسعد والجتاح والقرنفل أجزاءً متساوية وجزمان من الصمغ ، ويُدق

(١) هوشيب طيه السلام . (٢) السباسة : قنبر جوزة الهد .

(٣) السعد : نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة .

(٤) الجاح : نبات طيب الرائحة ، ويقال له . " الراسن " .



ذلك ويَجِبُ بقاء الورد ويستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم ، كما زعموا .  
وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات في أربعة أبيات قال :  
مُرَّ وبَسَامَةٌ وَسُعْدٌ \* إِلَى جَنَاحٍ وَمَاءٍ وَرِدٍ  
يَنْظُمُهَا الصَّبْغُ إِنْ تَلَّاهُ \* قَرَنْقُلُ الْهِنْدِ نَظْمٌ حَقِيدٌ  
أَجْزَاؤُهَا كُلُّهَا سَوَاءٌ \* وَالصَّبْغُ جَزَانٌ لَا تَعْدِي  
فِيهِ لَذَى حِمْرَةٍ شَفَاءٌ \* وَصَوْنٌ عَرِضٌ وَحَفْظٌ وَدٌّ

### ذكر أسماء الخمر من حين تُعَصَّرُ إِلَى أَنْ تُشْرَبَ

الخمر إذا عَصِرَ فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل : السَّلَفُ ؛ وأصله من السَّلَف وهو المتقدم من كل شيء ، وهو في مثل ذلك الخمر طوم أيضا . ويقال للذي يعصر بالأقدام : العَصِير ، والموضع الذي يُعَصَّرُ فيه : المَعَصِرَة . والنَّظْلُ : ما عَصَرَ فيه السَّلَفُ ؛ ويقال للعاصر : البَاطِلُ ، ثُمَّ يُتْرَكُ العَصِيرُ حتى يَفِلَ فإذا غلا فهو خمر ، وقيل : سُمِّيَتْ خمرًا لأنها تخامر المَقُول فتخالطها . وقالوا : لأنها تُخَمَّرُ في الإِفاء ، أي تُغَطَّى وهي مؤنثة . ويقال لها : القَهْوَة ، لأنها تُقَهَّى عن الطعام والشراب ، يقال : أَقَهَى عن الطعام وأَقَهَمَ عنه إذا لم يشتهه . ومن أسمائها : الشَّمُولُ ، سُمِّيَتْ بذلك لأن لها عَصْفَةً كعصفة النَّبَالِ ، وقيل : لأنها تشتمل القومَ بِرِيحِهَا . ومنها : السَّلَافُ والسَّلَافَة والخمر طوم وقد هَتَمَ معناها . ومنها : القَرَقَفُ لأن شاربها يُقَرِّفُ إذا شربها ، أي بَرَّعَد ، يقال : قَرَقَفَ وَقَفَقَفَ . وقال أبو عمرو : القَرَقَفُ اسم للخمر غير صفة وأنكر قولهم سُمِّيَتْ بها لأنها تُرَّعَد . ومنها : الرَاحُ لأنها تكسب صاحبها الأريحية أي خفة العطاء . ومنها : المَقَارُ لأنها عاقرت اللَّتَّ ، وقيل : لأنها تعبر شاربها

من قول العرب : كَلَأَ بَنَى فُلَانٌ عَقَارًا ، أَيْ يَحْفِرُ الْمَاشِيَةَ . وَمِنْ أَسْمَائِهَا : الْمُدَامَةُ  
وَالْمِدَامُ لِأَنَّهَا دَاوَمَتْ الظُّرْفَ الَّذِي أَنْتَبَذَتْ فِيهِ . وَالرَّحِيقُ وَمَعْنَاهُ الْخَالِصُ مِنَ  
الْفُسْ . وَقِيلَ : الصَّافِي . وَقِيلَ : الْعَتِيقُ . وَالْكَيْتُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِلْوَهْلِ إِذْ كَانَتْ  
تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ . وَالْخِرْيَالُ وَهُوَ صَبِيغٌ أَحْمَرُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِلْوَهْلِ أَيْضًا . وَالسَّيْنَةُ  
وَالسَّابَاءُ وَهِيَ الْمَشْتَرَاةُ وَأَصْلُهَا مَسْبُوءَةٌ ، يُقَالُ : سَبَأْتُ الْخَمْرَ إِذَا اشْتَرَيْتَهَا . وَالْمَشْعَشَعَةُ  
وَهِيَ الْمَزْجُوجَةُ . وَالصَّبَاءُ وَهِيَ الَّتِي عُصِرَتْ مِنَ الْعَنْبِ الْأَبْيَضِ . وَالْيَشْمُوشُ  
شَبَّهَتْ بِالذَّابَةِ الَّتِي تَجْمَعُ بِرَاكِبِهَا . وَالْخَنْدَرِيسُ وَهِيَ الْقَدِيمَةُ . وَالْحَانِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ  
إِلَى الْحَانَةِ . وَالْمَادِيَّةُ : اللَّيْنَةُ يُقَالُ : عَسَلَ مَادِيٌّ إِذَا كَانَ لَيِّنًا . وَالْعَانِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ  
إِلَى عَانَةٍ . وَالسَّخَامِيَّةُ : اللَّيْنَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ : قَطَنٌ سَخَامٌ أَيْ لَيِّنٌ وَثُوبٌ سَخَامٌ . قَالَ الرَّاجِزُ :

كَأَنَّهُ بِالصَّحْحَانِ الْأَتَجِلِ \* قَطَنٌ سَخَامِيٌّ بِأَيْدِي غُرْلٍ

وَالْمَرْزَةُ وَالْمَرْزَاءُ لَطْعَمَاهَا . وَالْإِسْفِنْتُ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ بِالرُّومِيَّةِ . وَالْغَرْبُ وَمَعْنَاهُ  
الْحَدُّ ؛ وَغَرْبُ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّهُ . وَلَعَلَّهَا سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِحَدِّهَا . وَالْحَمِيَّةُ ، وَحَمِيًّا كُلُّ شَيْءٍ  
سَوْرَتُهُ وَحَدُّهُ . وَالْمُضْطَّارُّ : الْحَلَّةُ وَيُقَالُ : الْمُضْطَّارُّ بِالضَّادِّ أَيْضًا . وَالْمُخَطَّطَةُ :  
الْمُتَخَيَّرَةُ الْعِلْمِ . وَالْمُعْتَقَةُ : الَّتِي قَدْ طَالَ مَكْنَتُهَا . وَالْإِثْمُ : اسْمٌ لَهَا لَعَلَّه وَقَعَ عَلَيْهَا لِمَا  
فِي شَرِّهَا مِنَ الْإِثْمِ . وَالْحَقُّ كَذَلِكَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

نَرَبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي \* كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَفْعَلُ بِالْعُقُولِ

وَالْمُعَرَّقُ : الْمَزْجُوجُ قَلِيلًا ، يُقَالُ : عَرَّقْتُ مِنْ مَاءٍ أَيْ لَيْسَ بِكَثِيرٍ . وَمِنْ أَسْمَائِهَا :  
الْقَيْنِيدُ وَالْعَيْتَجُ وَأَمَّ زَنْبِقُ وَالْمَقْطَبُ وَالْعُقُوسُ وَالسَّلْسَالُ وَالزَّرْجُوجُ  
وَالْكَفَّاءُ وَالْخَرْبَاءُ وَالْعَانِسَةُ وَالطَّابَةُ وَالنَّاجُودُ وَالْكَاسُ وَالطَّلَاءُ ، قَالَ عَيْسَى بْنُ  
الْأَبْرَصِ :

(١) الصَّحْحَانُ : مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَالْأَتَجِلُ : الرَّاسِخُ .



هي الخمر صرنا تكتي الطلاء \* كاللشب يُسمى أبا جمدة<sup>(١)</sup>  
 والباقي والبُحْتُج : فارسيان . والجُهورى . والمَقْدَى منسوبة الى قرية من قرى  
 الشام . والمراء من قولك : هذا أَمْرَى من هذا أى أفضل . والتبذ . والتبُع : نبيذ العسل  
 والسكركة من الذرة . والحمة من الشعير . والقَصِيخ من اليسر . والمزّر من الحبوب

### ذكر أخبار من تزوّع عنها في الجاهلية وتركها تركها عنها

كان ممن تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم  
 وعبد الله بن جُدعان التيمي وكان سيّدا جوادا من سادات قريش ، وسبب تركها  
 أنه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فأصبحت عين أمية مخمرة نخاف عليها  
 الذهاب ، فسأله عبد الله : ما بال عينك ؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة ،  
 قال : وبلغ منى الشراب ما أبلغ معه من طيسى هذا المبلغ ، فأعطاه عشرة آلاف درهم  
 وقال : الخمر على حرام ، لا أفوقها أبدا ، وقال فيها :

شرمت الخمر حتى قال محبي \* ألت عن السقا بمستقيق \*  
 وحتى ما أوسد في مييت \* أمام به سوى التراب السحيق

وممن حرّمها في الجاهلية : قيس بن عاصم المقرئ ، والسبب في ذلك أنه سكر  
 فعمر عكنة أخته أو أخته فهربت منه ، فلما صحّا أخبروه فحزم الخمر على نفسه ،  
 وقال في ذلك :

وجدت الخمر جامعة وفيها \* خصال تفضح الرجل الكريما  
 فلا والله أشرها حياتى \* ولا أدعو لها أبدا نديما

(١) في اللسان : وقالوا هي الخمر تكتي الطلاء \* كما الدب ... الخ .

ولا أعطى لها ثمتا حياتي \* ولا أشفى بها أبدا سقيا  
فلان الخمر تفضح شاربيها \* وتجشمهم بها أسرا عظيما  
إذا دارت حياها تعلت \* طوالع تسفّه الرجل الحليما

ومنهم : عامر بن الظرب العدواني ، قال :

سأله للقي ماليس في يده \* فعابه بقول القوم والمال  
أقسمت بالله أسقيا وأشربها \* حتى يفرق ترب القبر أو صالى

ومنهم : صفوان بن أمية بن محرز الكاهن وعفيف بن معديكرب الكندي  
والأسلم بن تامي من همدان ومقيس بن عدى السهمي وكان سكر فجعل يخط ببوله :  
أفأمة أو بعيّا ، فلما أفاق وأخبر بذلك حرّمها .

ومنهم : العباس بن مرداس السلمي قيل له : لم تركت الشراب وهو يزيد  
في جرأتك وسماحتك ؟ فقال : أكره أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيهم .  
ومنهم : سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة .  
وقال زيد بن زليان :

بئس الشراب شراب حين تشربه \* يوهي العظام وطورا يوهي المصيب<sup>(١)</sup>  
إني أخاف ملكي أن يعذبني \* وفي العشيرة أن يُزرى على حسبي

وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى  
وقليله للناس .

(١) كذا بالأصل ، ولعل صوابه "وطورا يوهي المصيب" .

ذكر من حدّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر

بها ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن افتخر بشربها

فأما من حدّ فيها من الأشراف فالوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط وهو أخو  
عثمان بن عفان لأمه ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات  
وهو سكران ثم ألتصت اليهم فقال : وإن شئتم زدكم ، بخله عبد الله بن جعفر بن  
يدى عثمان رضى الله عنه ، وسند ذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بجلتها في الباب الثاني  
من القسم الخامس من الفن الخامس في التاريخ في خلافة عثمان رضى الله عنه .

ومنها : عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحذه بها عمرو بن العاص  
سراً ، فلما قدم على أبيه جلده حدّاً آتراً علانية .

ومنها : عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي تَمِيمَة ، حدّه أبوه  
في الشراب فمات تحت حدّه .

ومنها : عاصم بن عمر بن الخطاب ، حدّه بعض ولاية المدينة .

ومنها : قدامة بن مظعون ، حدّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشهادة  
عَلْقَمَة الخصى و غيره .

ومنها : عبد الله بن عروة بن الزبير ، حدّه هشام بن إسما عيل المخزومي .

(٤٤١)

ومنها : عبد العزيز بن مروان ، حدّه عمرو بن سعيد الأشدق .

ومنها : أبو عَجْجَن التَّفَافِي وأسمه عمرو بن حبيب ، وكان مغرماً بالشراب ،

حدّه عمر مراراً في الخمر ، وحدّه سعيد بن أبي وقاص مراراً وشهد القادسية وأبلى

(١) كذا في تحف المعارف لأن تميمه والقاموس . وفي الأصول : « سحمة » ، بالسر المهمة

وهو مخربف .

بلاء حسنا، ثم حلف بعد القادسية ألا ينوق الخمر أبدا ومات ثابيا عنها، وأنشد  
رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله :

إذا مِتُّ فأدْفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ \* تُروى عظامي بعد موتي صرَّوْها  
ولا تدفني في القفلة فإنني \* أخاف إذا ما مِتُّ أن لا أدقها

فقال عبد الله : حدثني من رأى قبره بأرمية بين شجرات كرم يخرج إليه  
الفتيان ويشربون عنده ويتناشدون شعره فإذا جاءت كأسه صبَّوها على قبره .

ومنهم : إبراهيم بن هرمة وكان مغرما بالشراب، حذره جماعة من عمال المدينة  
فلما طال ذلك عليه رحل إلى أبي جعفر المنصور، وقيل : إنما رحل إلى المهدي  
وأمنده بقصيدته التي يقول فيها :

له لحظات في حِفافِ سريره \* إذا صكرها فيها عِقَابٌ ونائل  
له تربةٌ بيضاء من آل هاشم \* إذا أسودَّ من لؤم التراب القبائل

فأسحسن شعره وقال له : سل حاجتك، فقال : تأمر لي بكباب إلى عامل  
المدينة ألا يحدني على شراب، فقال له : ويلك ! لو سألتني عزل عامل المدينة  
ونوليتك مكانه لفعلت؛ قال : يا أمير المؤمنين، ولو عزلته ووليتني مكانه أما كنت  
تعلمني أيضا وتولّي غيري ! قال : بلى، قال : فكنت أرجع إلى سبتي الأولى فأخذ، فقال  
المهدي لوزرائه : ما قولون في حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطّف ؟  
قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه سأل مالا سبيل إليه، إسقاط حد من حدود الله  
عز وجل، فقال المهدي : له حيلة إذا أعيتكم الحيل فيه ، اكتبوا إلى عامل المدينة :  
مَنْ أتاك بآبن هرمة سكرانا فأضربه مائة سوط وأجلد آبن هرمة ثمانين، فكان إذا  
شرب ومشى في أزقة المدينة يقول : مَنْ يشتري مائة بختانين ؟



وأما من شربها منهم وأشتهر بها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء .

منهم : يزيد بن معاوية شهر بشربها ، وكان يقال له : يزيد الخمر ، روى هشام ابن الكلبي عن أبيه قال : وجه معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجُدري ، وعند يزيد أمراته أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فمكر وأنشأ يقول :

إذا ارتفعت على الأنماط في عُرف \* بدير مرّان عندي أم كلثوم  
فأبالي الذي لاقت جيوشهم \* بالقدقونة<sup>(١)</sup> من حمى ومن موم<sup>(٢)</sup>

فبلغ الخبر معاوية ، فقال : أنت هاهنا ! إلحق بهم ، وسيّره الى قتال الروم .

ومنهم : عبد الملك بن مروان ، وكان يسمى : حمامة المسجد ، لأجتهاده في العبادة ، هذا قبل أن يلى الخلافة ، فلما أفضت الخلافة إليه شرب ، فقال له سعيد بن المسيّب : بلعني يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء ، قال : إني والله والدماء .

ومنهم : يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حِباة<sup>(٣)</sup> وسلامة ، وأجباره مشهورة .

ومنهم : أبنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى خلع وقتل ؛ وله في ذلك حكايات وأشعار . منها : أنه سمع بشرّاعة بن الزندبوز الكوفي ، وكان من أهل البطالة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشراب ؛ فاستدعاه

(١) القدقونة : اسم جامع للثمر الذي منه المصيبة وطرسوس وغيرها .

(٢) الموم : البرصام وأشد الجُدري .

(٣) حباة وسلامة : فيحان مشهورتان كانتا له .

بالكوفة الى دمشق فجعل اليه فلما دخل عليه قال له : يا شرّاعة، ما أرسلت اليك  
 لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه، قال : لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حماراً،  
 قال : وإنما أرسلت اليك لأسألك عن القهوة، قال : أنا دهقانها الخبير، ولقمتها  
 الحكيم ، وطيبها الماهر ؛ قال : فأخبرني عن الشراب قال : سئل عما بدالك  
 قال : ما تقول في الماء قال : لا بد منه ، والحمار شريكى فيه . قال : فاللبن ؟  
 قال : ما رأيته إلا آسحت من طول ما أرضعتني أمي به ، قال : فالسويق ؟  
 قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع  
 الإكتلاء، سريع الإفشاءش . قال : فتنيد الزبيب ؟ قال : حاموا به على الشراب،  
 قال : فالنحر ؟ قال : تلك والله صديقة روى ، قال : وأنت والله صديق روى،  
 قال : فأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب فيه على وجه المباءة ومن شعر الوليد :

②٤

خذوا ملككم لا تهنأ الله ملككم \* ثباتاً يسارى ماحيت عقالا  
 دعوا لى ساسى والنيذ وقينة \* وكأسا ، ألا حسي بذلك مالا  
 أبأملك أرجو أن أخلفه فيكم \* ألا ربّ ملك قد أزيل فزالا

ومنهم : المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار، منها : أنه شرب هو  
 ويحيى بن أكرم القاضي وعبد الله بن طاهر ، فعامل المأمون وأبن طاهر على سكر  
 يحيى ، فأشار الى الساقى فأسكره ، وكان بين أيديهم رزم من الورد والرياحين ، فأمر  
 المأمون فشق ليحيى لحد من الورد والرياحين وصبروه فيه ، وعمل بيتى شعر ودعا  
 قينة بخلست عند رأس يحيى وفتت بالشعر :

دعوتيه وهو حى لأجاة به \* مكفنا فى ثياب من رياحين  
 قفلت قم قال رجل لا تطاوعنى \* قفلت خذ قال كفى لا تواتبنى



فانتبه يحيى لرنّة العود وصوت الجارية فقال :

يا سيّدى وأمير الناس كلّهم • قد جارق حكمة من كان يسقى  
إني قفّلت عن الساقى فصيرتني • كما ترائى سليب العقل والدين  
فأنظر ليمسك قاضٍ إنني رحل • أراحُ يسلى والروح يُحْيِي

ومنهم : العباس بن ملّ بن عبدالله بن العباس وهو عم المصور، كان يأخذ الكأس بيده ويقول : أما العقل فتُفنين ، وأما المروءة فتُحَقِّقين ، وأما الدين فتُفسدين ، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النفس فتُشْحِنين ، وأما القلب فتُشْجِنين ، وأما الهم فتطردين ، أفرأى مني تَحْلَتين ! ثم يشربها .

ومنهم : بلال بن أبي بردة فُضِح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميري :

وأما بلالٌ فلذاك الذى • يميل الشرابُ به حيثُ مالا  
بيتٌ يمْشُ حنيقُ الشراب • كمّس الوليد يحاف الفصلا  
ويصبح مضطرباً ناصباً • تخال من السكر فيه أحوالا  
ويمشى ضعيفاً كمنى اللزيف<sup>(١)</sup> • تخال به حين يمشى شكلاً

ومنهم : عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي قاضى الكوفة وُضِيع بمأدمة سعد بن هبار

وفيه يقول حارثة بن بدر :

نهاره في قضايَا خيرِ عادلٍ • وليّهُ في هوى سعد بن هبار

ومنهم : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول :

هاك فاشرب يا خليل • في مدى الليل الطويل  
قهوةً في ظلِّ كريم • سُيِّت من نهر نيل

في لسان المرء منها • مثل لُدْع الزنجيل  
إنما أذهب مالى • طول إدمان الشمول<sup>(١)</sup>  
وحين السوء تنبئ • يدا ظبي كجبل  
فأطويل السقي الأصف كالسيف الصقيل  
يا خيل أسقيانى • واحفظا بالشمس زولى  
قل لمن لامك فيها • من نصبح أو عذول  
يتق بين الباب والعا • ر على تعب الطلول

وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بك يشربون الخمر ، فقال : صفوهم لى ،  
فقالوا : أما فلات إذا شرب نرق ثيابه وثياب نديمه ، فقال : سوف يدع هذا  
شربها ، قالوا : وأما فلان فلذا شربها تقياً في ثيابه ، قال : وهذا سوف يدعها ، قالوا :  
وأما آدم فلذا شربها فأسكن ما يكون لا يئلا أحدا بسوء ، قال : هذا لا يدعها أبدا .  
ومنها : حارثة بن زيد العدناني - رجل من تميم - دخل يوما على زياد ابن  
أبيه وبوجه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال : أصلح الله الأمير  
ركبت فرسى الأشقر<sup>(٢)</sup> فجمع بي حتى حسدنى الحائط ، فقال : أما لك لو ركبت  
فرسك الأشهب<sup>(٣)</sup> لم يصبك مكروه • ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف  
ابن قيس ، وكان الأحنف ينهأ عنها وهو لا يتنى ويحبه بشعر في مدحها وقيل :  
إن حارثة هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالسن في حال صباه وحداثته .

ومنها : والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي روى أبا نؤاس وأدبه وعلمه التفوه  
وقول الشعر . حكى أن المنصور قال له يوما : ادخل إلى محمد - يعني المهدي -  
وحديثه ، فدخل عليه ، فأقول ما أنشدته قوله :

(١) الشمول : من أسماء الخمر . (٢) يريد الأول بالأشقر : الخمر ، ويريد الثاني بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو لا تكن ناسيا \* ومقنى لا تمحسن كاسيا  
وأردد على الهيثم مثل الذى \* هجت به ويحك وسواسيا  
وقل لساقينا على خلوة \* أدن كذا رأسك من راسيا  
فبلغ ذلك المنصور، فقال : لا تعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن  
يضده .

وممنهم : أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شعث بن ربيعة  
الديلمي، حج به نصر بن سيار فلما ورد الحرم قال له نصر : إلك بيت الله  
الحرام ومحل حرمة فدع الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب  
ويبكي ويقول :

رضيخُ مدام فارق الراحُ رومه \* فظل عليها مستهل المدايح  
أديرا على الكأس إني فقدتها \* كما قد المفلوم دمر المراضح  
ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا ، فقال له : أفسدت شرفك ، فقال :  
لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت اليوم والى خراسان .  
وممنهم : سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريا .

وممنهم : الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هاني وكان خليفا ماجنا  
مليح الشعر وهو الذي يقول :

ألا إنما الدنيا وصالٌ حبيب \* وأخذك من مشمولٍ بنصيب  
وصيكتك بين المسلمات ممتعا \* فبتين من عزف وشدو مصيب  
وأنت وإنسان تلذ بقربه \* وبذلة مشقوق ونوم رقيب  
وعدتى ساعيت النهار ورفقتي \* إلى الشمس لما آذنت بخيب

ومهم : يحيى بن زياد وهو الذى يقول :

أعاذل ليت البحر نمرًا وليتسنى \* مدى الدهر حوت ساكن بحلة البحر

فأخفى وأسمى لا أفارق بحلة \* أروى بها عظمى وأشفى بها صدرى

طوال اللبالي، ليس عني بناضيب \* ولا ناقص حتى أصير إلى الحشير

ومهم : أبو نؤاس الحسن بن هاني ممن اشتهر بالشراب والهوى والطرب ومطعمة

التيان، وله في الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة ، نذكر هاهنا من أخباره

طرفا :

حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نؤاس، قد خلعت منازك وأطلت

الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كذاك يفعل الأدباء ! فأطرق ثم قال :

فأقول شريك طرُحُ الرءاء \* وآخِرُ شريك طرُحُ الإزَارِ

وما هناك الملامى بمثل \* إمامة مجيد وإحياء عار

وما جاد دهرٌ بلبائنه \* على من يَضُنُّ بمخلع السذارِ

فأنصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جواب حاضر، من كهل

فاجر . ومما يحفظ من أخباره ، وروى من أشعاره في ذلك : أنه بلغ إخوانه عنه

أنه ترك الشراب واللذات وأخذ في الزهد والصلاة في أوقاتها فأجتمعوا إليه وأقبلوا

بسيثونه، فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل إليه أحد عنه إلا شرب بين يديه

وطلا وأنشد :

فالوا نزعَت ولما يلموا وطرى \* في كل أغيد ساجى الطرف مياي

كيف التزوع وقلبي قد تسممه \* لحظ العيون وقرع السن بالكلبي

لاخير في العيش إلا في المجون مع الـ \* أكفاء والراح والريحان والآيس

وسمع يتننى والكفوس لها • حث علينا بأخماس وأسداس  
يا مورى الزند قد أكت قوادحه • إقيس اذا شئت من قلبي بمقياس  
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم • إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

وحدث الفضل بن سلمة عن الثوري، قال : خرج الحسن بن هاني ومعه  
مطيط صاحبه ، حتى أتيا دار نخمار . فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نخج بهذا  
النخمار . فدخلا فسلما فرد عليهما . فقال له الحسن : أعندك نمر عتيقة يا نخمار ؟  
فقال : عندي منها أجناس ، فأيا تريد ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :

تُجِبَّتْ خَيْفَةً وَصِيَتْ بِغَامَتِ • بِكَلَاءِ العروس بعد الصبيان  
وكانت الألف تُصَيِّغُ من ضو • ستاها بالورس والزعفران

فلا له النخمار قدحا من نمر صفراء ، كأنها ذهب محلول ؛ فشربه الحسن وقال :  
أحسن من هذا أريد . فقال له النخمار : أى جنس تريد ؟ قال : التي يقول فيها  
الشاعر :

دفعتها أيدى الموابر حتى • صيرت جسمها بجسم الهواء  
بهي كالنور في الإثاء وكالآ • ر إذا ما تصير في الأحشاء

فلا له النخمار قدحا من نمر كأنها العقيق . فشربه وقال : أرفع من هذا أريد .  
فقال : أى جنس ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :

وإذا حسا منها الوضع ثلاثة • سمح الوضع كفعلي ذى القدر  
في لوب ماء النيث إلا أنها • بين الضلوع صقواقد الجمر

فلا له قدحا من نمر بيضاء ، كأنها ماء المزن . فشرب الحسن وقال للنخمار :  
أعرفني ؟ قال : إى والله يا سيدي ، أنا أعرف الناس بك . قال : من أنا ؟ قال :

أنت الذي يسر من غير وزن . فضحك الحسن وقال لطيط : ادفع إليه ما بقي عندك من الضفة ، فأعطاه مائة درهم وأنصرف .

وقال الحسين بن الضحك : كنت مع أبي نؤاس بمكة عام حج ، فسمع صيًّا يقرأ ( يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا أَضَاءَ لَمْ يَمُوتُوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ) .  
 فقال أبو نؤاس : في مثل هذا يحىء الخمر صفة حسنة ، ففكر ساعة ثم أُنشدني :

وسيارة ضلّت عن القصد بعدما \* تزلّفهم أنق من الليل مظلم  
 فاصفوا الى صوت ونحن عصابة \* وفيما قف من سكره يترّم  
 فلاحتم لم متأ على الناي قهوة \* كأن سناها ضوء نار تصرّم  
 إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم \* وإن مُزجت حثوا الركاب ويمموا

قال : فحُثت بهذا الحديث محمد بن الحسين فقال : لا ولا كرامة ، ما سرفه من القرآن ولكن من قول الشاعر :

وليل بهم كلما قلت غورث \* كواكب عادت لنا تذيّل  
 به الركب إنما أومض البرق يعموا \* وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل  
 وقال أبو نؤاس فيها :

ألا دارها بالماء حتى تُلينها \* فما تُكرّم الصبياء حتى تُهينها  
 أظلي بها حتى إذا ما ماتتها \* أعتت لإكرام التديم مصونها  
 وقال أيضا :

نبتة والليل ملتبس به \* وأزحت عنه حشائه فارتاحا  
 قال أبني الصباح ، قلت له أُنشد حسبي وحسبك ضوءها مصباحا

فكبت منها في الزجاجة شربة \* وكانت له حتى الصباح صباحا  
من قهوة جاءتك قبل مزاجها \* عطلا فالبسما المزاج وشاحا  
شك البرزال<sup>(١)</sup> فؤادها فكانها \* أبدت إليك بريحتها فحما  
وقل أيضا :

رذا على الكأس، إنكا \* لا تدريان الكأس ما تجدى  
خوقاني الله جهدا \* وكحقيقه رجاءه عندي  
لا تصدلا في الراح إنكا \* في خلفة عن كنه ما تُسدى  
لونتيا ما نلت ما مُزجت \* إلا بدمعكا من الوجد  
ما مثل فُهما إذا اشتملت \* إلا آشمأل فسم على خد  
إن كنتما لا تشربان معي \* خوف الإله شربتها وحدي  
وأخبار الحسن بن هاني فيها كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية .

ومنهم : الثرواني، كان شاعرا مطبوعا بليغا، من أهل الخلاعة المشهورين .  
وكان آخر أمره أن أصيب في حانة نهار بين زقي نمر وهو ميت . وهو القائل  
فيها :

كّر الشراب على نشوان مضطجع \* قد هب يشربها والدبك لم يبعج  
والليل في عسكر حُمير بوارقه \* من النجوم، وضوء الصبح لم يضيح  
والعيش لا عيش إلا أن تبأ كرها \* نشوان همتل هم التيس بالفرج  
حتى يظل الذي قد بات يشربها \* ولا مراح به يخال كالسرج

(١) البرزال : الحديدة يفتح بها ميزل المدن .

ومنهم : مطيع بن إياس . وكان شاعرا أدبيا ظريفا مشتهرا بالخلاصة  
واللعب . وكان أصحابه على ذلك ، وهم يحيى بن زياد ، ووالية بن الحباب ، وحماد  
عجارد .

ومنهم : أبو عبد الرحمن العطوي . كان شاعرا فصيحاً ، لا يكاد يتقدمه أحد  
بجزالة الفاظه وحلاوة معانيه . وكان مولداً بالبحر مشتهراً بها مدمناً عليها ، أكثر  
أشعاره فيها . فن شعره :

أخطبُ لكأسك تَدْمَاناً تُسْرِبه • أَوْ لَا فَتَادِمُ طَلِيحَا حِكْمَةَ الْكَبِي  
أُخْطِبُهُ حَرًّا كَرِيحاً ذَا مُحَافِظَةٍ • تَرَى مَوَدَّتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ  
وقال أيضاً :

وَكَمْ قَالُوا آمَنَ ، قُلْتُ كَأَسَا • يَطُوفُ بِهَا قَضِيبٌ فِي كَثِيبِ  
وَتَدْمَانًا يُسَاقِطُنِي حَدِيثًا • كَصَدِيقِ الْوَعْدِ أَوْ غَضِّ الرِّيبِ

ومنهم : أبو هقّان . وكان شاعراً عسناً ، وخليعاً ماجناً . حكى أنه شرب مع  
أحمد بن أبي طاهر حتى فنى ما عندهما ، وكانا يجوار الملاء بن أيوب . فقال ابن  
أبي طاهر لأبي هقّان : تماوت حتى نحتال على أبي الملاء في أن ينيلنا شيئاً .  
فصلى إليه ابن أبي طاهر فقال : أصلحك الله ! نزلنا جوارك فوجب حقنا عليك ،  
وقد مات أبو هقّان وليس له كفن . فقال لوكيله : امض معه وشاهد أمره  
وأدفع إليه كفناً . فأتاه فوجده ملقياً عليه ثوبٌ فقرأه فضرط . فقال : ما هذا ؟  
فقال : أصلحك الله عجّلْتَ له صمعةً القبر فإنه مات وعليه دين ، فضحك وأمر له  
بدفانير .

ومنهم : الأثير . وكان مغرماً بالشراب مدمناً عليه . وهو القائل :  
وَمُقَعَّدٍ قَوْمٍ قَدْ مَنَى مِنْ شَرَابِنَا • وَأَعْمَى سَقِيئَهُ ثَلَاثًا فَبَصْرَا



كَيْتُ كَانَ الْعَبْدُ الْوَرْدَ رِيحُهُ • وَمَسْحُوقُ هِنْدِيٍّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا  
ومِنْهُمْ : التَّهَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قُضَيْلَةَ • وَكَانَ مَامِلًا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
عَلَى مَيْسَانَ، وَكَانَ مَدْمَنَ الشَّرَابِ • وَهُوَ الْقَاتِلُ :

أَلَا ابْلُغِ الْحَسَنَاءُ أَنَّ خَلِيلَهَا • بِمَيْسَانَ يُنْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنَمٍ <sup>(١)</sup>  
فَإِنْ كُنْتَ تَسْمَانِي فَبَالَا كِبَرُ اسْقَى • وَلَا تَسْقِي بِالْأَصْفَرِ الْمُثَلِّمِ  
لَمَلِّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُومُهُ • تَادَعُنَا بِالْجَوْسَقِيِّ الْمُتَهَمِّ <sup>(٢)</sup>  
فَبَلَغَ الشَّعْرَ مَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ •

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ثُمَّ تَقْرِئُكِ الْكِتَابَ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ فَافْرِ الذَّنْبَ وَقَابِلِ التَّوْبَ شَدِيدَ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِيهِ  
الْمُصِيبِ ) أَمَا بَدَدَ ، فَقَدْ بَلَّغْتَنِي قَوْلَكَ :

لَمَلِّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُومُهُ • تَادَعُنَا بِالْجَوْسَقِيِّ الْمُتَهَمِّ

وَأَيُّمَ اللَّهِ لَقَدْ سَأَمْتُ ! وَعَزَلَهُ • فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : وَاقِهِ مَا كَانَ  
مِنْ هَذَا شَيْءٍ ، وَمَا كَانَ إِلَّا فَضْلُ شَعْرٍ وَجَدْتُهُ وَمَا شَرِبْتُهَا قَطْ • فَقَالَ عَمْرٌ : أَطْلُقْ  
ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا تَعْمَلْ لِي عَمَلًا أَبَدًا • فَتَزَلَّ الْبَصْرَةُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَفْزَعُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى  
مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ •

ومِنْهُمْ : عِمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ • خَطَبَ أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَتْ :  
لَا أُتَزَوِّجُكَ حَتَّى تَدَعَ الْخَمْرَ وَالزَّانَا • فَقَالَ : أَمَّا الزَّانَا فَإِنِّي أَدَعُهُ ، وَأَمَّا الْخَمْرُ فَوَجَدْتُ  
بِهَا شَدِيدًا • ثُمَّ أَشْتَدَّ وَجَدُهُ بِالْمَرْأَةِ فَصَاوَدَ طَلِبَهَا ؛ فَقَالَتْ : حَتَّى يَحْلِفَ بِطَلَاقِ يَوْمِ

(٤٨)

(١) الْحَمَمُ : الْجُرَّةُ الْخَضْرَاءُ •

(٢) الْجَوْسَقِيُّ : الْقَصْرُ •

يزنى أو يشرب نحرًا، خلف لها وتزويجها . ومكث حينًا لا يشرب، إلى أن مرز  
بجأر وعنده قوم يشربون وقينة تغنيهم وهو على ثقة، فطرب إليهم وأرتاح ورمى  
بثيابه إلى الخمار، وقال : أسقمهم بها، ونحر لم نأثمه، ومكث أيامًا يطعمهم ويسقيهم  
حتى أفقد مامعه . ثم رجع إلى أمراءه، فلامته، فأنشأ يقول :

أَقْلَى عَلَى السَّوْمِ يَا أُمَّ مَسَالِمَ \* وَكُنْتُ فَلَنَ الْعِيشِ لَيْسَ بِدَائِمِ  
أَسْرَكَ لِمَا صَرَخَ الْقَوْمُ نَشْوَةً \* نَحْرُوجِي مِنْهُمْ سَالِمًا غَيْرَ غَايِمِ  
سَلِيًّا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ مِنْهُمْ \* وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مِنْ تَصَالُفِ التَّنَادُمِ  
ثم قال لها : الحق بأهلك، وعاد إلى ما كان عليه .



وأما من افتخر بشربها وسبائها، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها،  
وتضيفه إلى عظيم غناها، وتقرنه بمذكور بلانها . وشاهد ذلك قول امرئ القيس :  
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّوَةِ \* وَلَمْ أَتَبَنَّ كَامِبًا ذَاتَ خَلَايِ  
وَلَمْ أَسْبِ الْزُقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلِ \* نَخْلِيَّ كُرِّيَّ كَرَّةً بِسَدِّ إِبْجَالِ  
فقرن جوده في سبأ الزق بسائته في كراخيل . ولما أنشد أبو الطيب المتنبي  
سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها :

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ \* كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ  
تَمَرُّبُكَ الْأَبْطَالُ كُلُّهُ هَزِيمَةً \* وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَفْرُكُ بِاسْمٍ  
فقال له سيف الدولة : استقدنا عليك يا أبا الطيب هذين البيتين كما أتتقد على  
امرئ القيس يتناه، وذكرهما، قال : وبيتاك لا يلتم شرطاهما كما لا يلتم شرطرا  
هذين البيتين : كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأني لم أركب جوادا ولم أفل \* نحيلى كرى كرى بمد لجفالي  
ولم أسبأ الرق الروى للذة \* ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال  
وأن تقول أنت :

وقفت وما في الموت شك لواقف \* ووجهك وضاح ونفرك باسم  
تمزبك الأبطال كلمى مزمنة \* كأنك في جفن الردى وهو قائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن كان سمح أن الذى استندرك على أمرى القيس أعلم منه  
بالشعر فقد أخطأ أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، والتوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك  
لأن البزاز يعرف جلته والحائك يعرف جلته وتعاريفه ، لأنه هو الذى أخرجه من  
الغزلية الى التوبية . وإنما قرن أمرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن  
السباحة فى سباه الخمر للأضياف بالشجاعة فى مازلة الأعداء ؛ وأنا لما ذكرت  
الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه . ولما كان الجريح  
المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت :

\* ووجهك وضاح ونفرك باسم \*

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة  
بقوله ووصله .

١٥

وقال لقيط بن زُرارة :

شربت الخمر حتى خلت أنى \* أبو قابوس أوجد المدان

وقال حسان بن ثابت الأنصارى عفا الله عنه ورحمه :

إذا ما الأشرىات ذُكرن يوما \* فهن لطيب الراح الفداء  
ونشرها فتركا ملوكا \* وأسدا ما ينهنها اللقاء

٢٠

حكى أن حسان بن ثابت عَفَّ جماعة من الفتيان على شرب الخمر وسوء  
تأديهم عليها وأنهم يُضْرَبُونَ عليها ضرب الإبل ولا يرضعون عنها ؛ فقالوا : إنا إذا  
همتا بالإقلاع عنها ذكرنا قولك :

ونشرها ففترنا ملوكا • وأسلما ما ينهها اللقاء  
فماودناها .

وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان :

إذا ما ندبني طغى ثم علنى • ثلاث زجاجات لمن هدير  
خرجت أجر الدليل حتى كأننى • عليك أمير المؤمنين أمير  
وقال آخر :

إذا صدمتني الكأس أبدت عاصنى • ولم يمحش نثماني أذى ولا ينجل  
واست بفتحش عليه وإن أسا • وما شكل من أذى ندما ما من شكل  
وقال آخر :

شربنا من الداذى<sup>(١)</sup> حتى كأننا • ملوك لهم بر المراقين والبحر  
فلما أنجلت شمس النهار رأيتنا • تولى الفنى عنا وماودنا الفقر  
ومثله لَنُخْطِلَ الْيَشْكُرَى :

فإذا سكرت فأنى • رب الخورق والسدير  
وإذا صحت فأنى • رب الشوية والبحير

وقال عترة :

وإذا سكرت فأنى مستهلك • مالى، وعرضى وانف لم يكلم  
وإذا صحت فما أقصر عن ندى • وكما طمت شمائل ونكرمى

(١) الداذى : شراب معروف بمجودة سكره .

أخذه البحرى وزاد عليه في قوله :

وما زلتَ خلًّا للنداءِ إذا آنسوا • وراحوا بلورا يستحثون أنهباً

تكرمت من قبل الكؤوس طيبهم • فما أسطن أن يُحدثن فيك نكرما

والريادة أن عسرة ذكر أنه يستهلك ماله اذا سكر، والبحرى ذكر أن ممدوحه

يتكرم قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيد نكرما .

وكان الأعشى ميمون بن قيس مشهورا بتعاطي الخمر مشغوقا بها كثير الذكرها

في شعره . ومن أشتهاره بها قال المفضل بين قدماء الشعراء : أشعرهم أمرؤ القيس

اذا ركب ، والنابهة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والأعشى اذا طرب . وقصد

الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم وأمتدحه بقصيدته التي أولها :

١٠ ألم تفتض عيناك ليلة أرمتا • وبت كما بات السليم مسهدا

فأترضه في طريقه من أراد معه ، فقالوا له : إنه يحزم عليك الزنا والخمر .

فقال : أما الزنا فقد كثرت فلا حاجة لي فيه ، وأما الخمر فلا أستطيع تركها . وعاد

لينظر في أمره ، وقيل : إنه قال : أعود فأشربها سة وأرجع ، مات قبل الحول .

قالوا : ونظر الحسن بن وهب الى رجل يعيس في كأسه ، فقال : ما أنصفتها ،

١٥ تضحك في وجهك وتعيس في وجهها . ومن ذلك قول الشريف الرضى :

كالخمر يعيس حاسبها على مقة • والكأس تجلو عليه نقر منتم

وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول :

ما أنصف الندمان كأس مدانيه • صحكت اليه فتمننا بعيس

### ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر

قد أوسع الشعراء في هذا المعنى وأطنبوا فيه وتوسعوا • فمنهم من مدحها  
ومنهم من وصفها وشبهها، ومنهم من ذكر أفضلها وتفضل فيها • وسنورد في هذا  
الموضع نبذة مما طالعناه في ذلك؛ إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطلال، ولا كسعت  
فيه دائرة المقال •



فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها، فنذكر قول ابن الرومي

حيث يقول :

تأقّه ما أدري بآية علة • يعنون هذا الراح بأسم الراح؟  
أريحها ولزوحها تحت الحشا • أم لأرتياح تديبها المرتاح؟  
إن حُرمت فبحقّها من حمرة • ما كان مثل حريمها بمباح  
أو حلّت فبحقّها من نسوة • تشفى سقام قلوبنا بصحاح

وقال أيضا :

نحمر إذا ما تديبى ظل يكرهها • أخشى عليه من اللاملاء يحترق  
لورام يحلف أن الشمس ما غرّبت • في فيه كذب في وجهه الشفق  
ومثله قول الطليق المرواني :

فإذا ما غرّبت في فـه • أطلعت في الخلد منه شققا

وقال الناجم :

وقهوة كشعاع الشمس صافية • مثل السراب تُرى من رقة شجا  
إذا تعاطيتها لم تدبر من فريج • راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا؟

١٠

١٠

٢٠

وقال الناشي :

ياربما كأس تناولتها \* تسحب ذيلًا من ثلاليتها  
كانها النار وليكنها \* منعمٌ واللهِ صالحها

ومما قيل في وصفها وتشبيهها، من ذلك ما قاله يزيد بن معاوية :

ومدامة حمراء في قارورة \* زرقاء تحملها يد بيضاء  
فالمرشمس والحباب كواكب \* والكف قطب والإناء سماء

وقال السروي :

حينئذ بالمدامة الشعراء \* وصفوها وذاك عندى عناء  
كيف تحصيل علمها وهي موت \* وحياءٌ وعلةٌ وشفاء  
هي في باطن الجوانح نار \* وهي في ظاهر المحاجر ماء  
حلو مرةً فما أحدٌ يد \* رى أداءً خصوصها أم دواء

وقال البحتري :

اشرب على زهر الرياض يشوبه \* زهر الخلدود وزهرة الصبايا  
من قهوة تُنمى الهموم وتبث الـ \* شوق الذي قد ضل في الأحشاء  
يُنقى الزجاجة لوئها فكانها \* في الكف قائمةٌ بغير إناء  
ولها نسيم كالرياض تنفست \* في أوجه الأرواح والأنساء  
وفواقع مثل السموع ترتدت \* في صحن خذ الكاعب الحساء  
يسقيها رشاً يكاد يردها \* سكرى بغترة مقلعة حوراء  
يسعى بها ويمتلها من طرفه \* عنوداً وإبداءً على الندماء

وقال الواواء المشقي :

فأمزج بما لك من كأسك واسقي \* فلق قد مزجت مدامي بدماء

وأشرب على زهر الرياض مُدَامَةً • تَسْفِي الممومَ بجابل السراءِ  
لَطَفْتُ صِيارَتْ من لطيف عُلَّها • تَجْرِي بَحْرِي الرُوحِ في الأَعْضاءِ  
وَكَاثِرٌ مَحْقَقَةٌ عليها جَوْهَرٌ • مَا يَنْ تَارِ أَدِ كَيْتَ وهَوَاءِ  
وَكَاثِرًا وَكَاتِرٌ حَامِلٌ كَاسِهَا • إِذْ قَامَ يَحْمِلُوهَا على النِدمَاءِ  
شَمْسُ الضَحَى رَقَصَتْ فَنَقَطَ وَجْهَهَا • بَدْرُ الدُّجَى بِكُوكَبِ الْجُوزَاءِ  
وقال أبو نُوَاس :

أقول لما نَحَا بِكَ شَبَا • أَنَّهُمَا لِلتَّشَابِهِ النَّهْبُ  
هِيَ سَوَاءٌ وَفَرَقٌ بَيْنَهُمَا • أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُنْسَكِبٌ

وله أيضا :

إِذَا عَبَّ<sup>(١)</sup> فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْ • يَقْبَلُ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكَا  
تَرَى حَيْثَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا • وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا  
يَدُورُ بِسَاقٍ أَغْرَبَ تَرَى لَهُ • عَلَى مُسْتَدَارِ الْأَفْئِدِ صُدُغًا مُعْقَرًا  
سَقَامٌ وَمَتَانِي بَعَيْنِهِ مُنِيَّةٌ • فَكَانَتْ إِلَى هَمِيٍّ أَلَدٌ وَأَحْيَا  
ومثل البيت الأول قول ابن المعتز :

كَأَنَّهُ قَائِمٌ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ • هَلَاكُ أَوَّلِ شَيْءٍ رَقَبَ فِي شَفَقِ

وقال ابن الرومي :

وَمَهْفُوفٌ تَمَّتْ عَاسَتُهُ • حَتَّى تَجَاوَزَ مَتْنِي التَّعَسِ  
أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ • مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْفَالِ نَحْسِ  
فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي فَمِهِ • قُرٌّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

(١) العب : الشرب من غير مص •



وقال الحسين بن الضمّك :

كأنما نُصِبَ كأسه قمرٌ \* يكرّح في بعض أنجم الفلكِ

وقال آخر :

وأكتست من فضةٍ دُرّاً \* خلّها من تحتها ذهباً

ككبت اللون قلدها \* فأوسّ من لؤلؤ حَباً

وقال آخر :

تمشى <sup>(١)</sup> بياض شاربها \* فتخالها يمين مخضب

دارت وعين الشمس ظنّبة \* لخبث عين الشمس لم تقب

وقال آخر :

حمرء وردية مشعشة \* كأنها في إنثها لب

صباه صرّوا لومتها حجرٌ \* من جامد الصخر مسه طرب

وقال آخر :

قلت والراح في أكف الندامى \* كنجوم تلوح في أبراج

أمداماً خرطتم لمدام \* أم زجاجاً سبكتكم لزجاج

وقال الحسن بن وهب :

وقهوة صافية \* كالسك لما نفعا

شربت من دنانها \* من كلّ دقّ قدّعا

فعدت لا تحملى \* أعوداً سرجى مرّعا

من شدة السكر الذي \* على قواذى طفعا

(١) هذا الشعر غثّل الوزن وورد هكذا بكل الأصول . ولله : « تمشى الكورس » أو تمشى

المدام » مما يستقيم به المعنى والوزن .

وقال ابن المعتز :

خليلٌ قد طاب الشرابُ المبرّدُ \* وقد علتُ بعد الفسك والعودُ أحمَدُ  
فهايتُ عُقاراً من قبض زجاجةٍ \* ككيافوتٍ في دُرّةٍ تتوقّدُ  
يصوغ عليها الماءُ شباكَ فضةٍ \* له حلقٌ بيضٌ تحلُّ وتُقدُّ

وقال التنوخي :

وراح من الشمس مخلوقةٌ \* بدت لك في قدحٍ من نهارٍ  
هواءٌ ولكنه ساكنٌ \* وماءٌ ولكنه غير جارى  
إذا ما تأملتُه وهى فيه \* تأملتَ ماءً محيطاً بنارٍ  
فهذا النهاية في الأبيضاضِ \* وهذا النهاية في الأحمرارِ  
وما كان في الحكم أن يُوجدَا \* لفرطِ شافيهما والتعارِ  
ولكن تجاورَ سطحاها الـ \* بـسـيـطـان فأنفـسا بالـحوارِ  
كأن المديرة لها باليمينِ \* إنا مال بلسقٍ أو باليسارِ  
تدرّعَ نوما من الياسينِ \* له فردٌ كَم من الجَلَلارِ

وقال ابن وكيع التتبيسي :

حلت كفه الى سفتيه \* كأسه والظلامُ مرعى الإزارِ  
فألتقى لؤلؤا حبابٍ وثغيرٍ \* وعقيقانِ من عُقارِ

وقال آخر :

فم فأسقنى قد تبججَ الفسقُ \* من قهوةٍ في الزجاجِ ياتلقُ  
كأننا والكسوفُ تأخذها \* نشرب ناراً وليس نحرقُ

وقال أبو نواس :

غَنَّا بِالطُّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا \* وَأَسَقْنَا قُطُوكَ الْجُزْءَ الثَّمِينَا<sup>(١)</sup>  
 مِنْ سَلَاكٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ \* يَتَّبِعِي غَضِيرَ أُنْبٍ يَكُونَا  
 أَكَلَ الدَّمْرِ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا \* وَتَبَقَّى لَنَا بِهَا الْمَكُونَا<sup>(٢)</sup>  
 فَإِذَا مَا أَجْتَلَيْتَهَا فِهْلَاءُ \* تَمْنَعُ الْعَكْفَ مَا تُبَيِّحُ الْمَيْوَنَا  
 ثُمَّ تُجَبِّتُ فَاسْتَضَحَكْتَ عَنْ لَآلٍ \* لَوْ تَقْبَحِينَ فِي يَدٍ لَا تُقْبِحُنَا  
 فِي كُتُوبٍ كَأَنَّهُنَّ نَجْمُومٌ \* جَارِيَاتٍ ، بِرُوحِهَا أَيْدِينَا  
 طَالَعَاتٍ مَعَ السَّقَاةِ طِينَا \* فَأِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبَنَّ فِينَا  
 لَوْ تَرَى الثَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ \* قَلَّتْ قُومٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا  
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

وَنَمَارَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُجُوسِ \* تَرَى الدُّدَّ فِي يَدِيهَا سَائِلَا  
 وَزَنًا لَهَا ذَعْبًا جَامِدًا \* فَكَأَلَتْ لَنَا ذَهَبًا سَائِلَا



وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي أَفْعَالِهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِي :

وَكَأْسٍ كَعَسُولِ الْأَمَانِيِّ شَرِبْتُهَا \* وَلَكِنَّا أَجَلَّتْ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلَ  
 إِذَا حُوْبِتْ بِالْمَاءِ كَانَ أَحْذَرُهَا \* لَمَيَا كَوْعِ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَرَلِ  
 إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بَوْتَرٍ تَوَقَّرْتُ \* عَلَى ضِمْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرَّحْلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « هَطَّةُ الْجُزْءِ ... » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ

\* وَأَسَقْنَا قُطُوكَ الثَّمَانِيَا

(٢) كَمَا بِالْأَصْلِ ، وَفِي الدِّيْوَانِ : \* وَتَبَقَّى لَنَا بِهَا الْمَكُونَا

(٣) كَمَا فِي الدِّيْوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « صُنْعُهَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ومثله قول ديك الجن وأسمه عبد السلام :

نقام تكاد الكأس تخضب كفه \* وتحسبه من وجنيه آسما رها  
مشعشة من كف ظبي كأنما \* ناولها من خله فادارها  
ففلنا بأيدينا تتعبر روجها \* وتأخذ من أقدامنا الراح فارها

وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي :

كانت لها أرجل الأعلاج<sup>(١)</sup> وآرة \* بالدوس ما تصفت من أروس العرب

[أخذ هذا المعنى أبو غالب الإصباغي الكاتب فقال :

عقرتهم معقورة لو سالت \* شرايها ما عييت بعقار  
لأنت لهم حتى آتشتوا وتمكنت \* منهم فصاحت فيهم بالشار  
ذكرت حقائلها القديمة إذ عدت \* صرعى تداس بأرجل العصار]

وقال آخر :

أسروها وجه النهار من الدت<sup>\*</sup> فامسوا وهم لها أسراء

وقال عبد الحميد بن بابك عفا الله عنه :

عقار عليها من دم الصب نفضة \* ومن عبرات المستهام فواقع  
معودة غصب العقول كأنما \* لها عند ألباب الرجال ودائع

✱ ✱

وأما ما وصفت به غير ما قدمناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة

الحصكفي [بالحصكفية ال حسن كما] :

وخليع بت<sup>\*</sup> أعيته \* ويرى عتي من العبي

(١) الأعلاج : جمع طلع وهو الرجل من كفار المعجم .

(٢) الرواية التي بين هاتين اللامتين [ مقولة عن إحدى السج .

قُلْتُ إِنَّ الْخَمْرَ عَجَبَةٌ \* قَالَ حَاشَاكَ مِنَ الْحَبْتِ  
قُلْتُ مِنْهَا الْقِيَاءُ، قَالَ أَحَلَّ \* طَهُرْتُ عَنْ مَخْرَجِ الْحَدِيثِ  
قُلْتُ فَلَا أَرَاكَ تَنْمَعُهَا \* قَالَ طِيبُ الْعَيْشِ وَ الرِّفْتِ  
وَسَأَلُوهُمَا فَقُلْتُ مَتَى \* قَالَ عِنْدَ الْكَوْنِ فِي الْحَدِيثِ

وقال آخر:

تَهَلَّتْ زِيَاهَاتُ أَتْنَا قُرْمًا \* حَتَّى إِذَا مَلَيْتُ بِصَرْفِ الرَّاحِ  
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ طِيرَ بِمَاحُوتِ \* وَكَذَا الْجِسْمُ تَنْحِفُ بِالْأُرُوجِ  
[ وقريب من المعنى قول الآخر:

وَرَبَّاءُ الْكَأْسِ مَارِقَةٌ وَمَلَأَى \* فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءً ]<sup>(١)</sup>

وقال أبو بواس :

قَهْوَةٌ أَفْخِي عَنْهَا \* نَظَرُوا رَبِيبَ الْمَسْوَدِ  
عُتِقَتْ فِي الدِّقِّ حَتَّى \* هِيَ فِي رَقِّهِ دَبِي  
ثُمَّ تَحَّتْ مَا دَارَتْ \* فَوْقَهَا مِثْلَ الْعِيُونِ  
حَدَقًا تَرَوُ الْبِنَا \* لَمْ تُحَجَّرْ بِمُفْضُونِ  
ذَهَبًا يُخْمَرُ دُرًّا \* كُلُّ إِنَانٍ وَحِينِ  
مِنْ يَدَيَّ سَاقٍ عَلَيْهِ \* حَلَّةٌ مِنْ يَاسْمِينِ  
غَايَةِ فِي الظَّرْفِ وَالشَّكْلِ وَفَرْدِ فِي الْمَحْوِ

وقال :

دُدُّ بِمَاءِ الْكَرِّمِ وَالْمَنْبِ \* حَطَرَاتِ الْمَهْمِ وَالْأَوْبِ  
قَهْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا سَطَقَتْ \* ذَكَرْتُ سَامًا أَمَا الْعَرَبِ

(١) الزيادة التي بين هاتين اللامتين [ مفعلة عن مص السج -

وهي تكسوكف شاريها • دستبانات من الذهب<sup>(١)</sup>  
وقال تاج الملوك بن أيوب :

وكم ليلةٍ فيها وصلنا غبوقنا • وكم من صبايحٍ كان فيه صَبوحُ  
تُدار عليها من أكفِّ سُقَاتنا • عَفَارُ من الممَّ الطويل تُرْبُجُ  
تلوحُ لنا كالشمس في كفِّ أغيد • يلوح لعيني السدر حين يلوحُ  
مدامُ تُحاكي خذته ورُضابه • ونكهته في الطيب حين تنوحُ  
ولكن لما أفعالُ عينه في الحشا • فكلُّ حشا فيها عليه حَرَجُ

وقال أيضا :

والكأس أعطاهما عقيبا أحرا • قاتِب ، فأعطيهما لُجَيْمًا يَفْقَا<sup>(٢)</sup>  
من قهقهة ما اليش إلا أن أرى • مصطليبا في شربها مفتيقا  
أشربها شُرْبًا هيثا من يَدَي • عصير رشيق وغزال أَرْشَقَا

ومما قيل فيها إذا مُزجت بالماء، فن ذلك قول أبي نواس :

وصفراء قبل المرح يبيضاء بعده • كأن شمع الشمس يلفاك دوما  
تري العين تستغنيك من لمانها • وتضمصر حتى ما تُقِلَّ حَفَومها

ومنه أخذ ديك الجن فقال :

وحمرء قبل المزج صفراء بعده • مدت بين ثوبَي نرجس وشقائق  
حكمت وجنة المعشوق صرْفًا فسلطوا • عليها مزاجا فاكست لونَ عاشق

وقال أبو هلال السكري :

راح إذا ما الليل مدَّ رواقه • لاحت تُطَرَّر حُلَّة الطلياء

(١) الدستبانات: كلمة فارسية ومعناها الأساور . (٢) لُجَيْم: الأبيض .

وقال الخالديان :

فهايتها كالمرس محمزة ال \* حذّين في معجّر من الحبّ<sup>(١)</sup>  
كادت تكون الهواء في أرج ال \* منبر لو لم تكن من العنبر  
من كفّ راض عن الصدود وقد \* غصبت في حبه على الفضب  
فلو ترى الكأس حين يمزجها \* رأيت شيطاً من أعجب السجيب  
نار حواها المزاج يُنهبها الماء ودُر يدور في لب

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطبها

قال أحمد بن أبي قتي :

جند اللذات فاليوم جديد \* وأمس فيما تنهى كيف يزيد  
والله ما أمكن يوم صالح \* إن يوم الشر لا كالـ عبيد

وقال ديك الحق :

تمتع من الدنيا فإنك فاني \* في أيدي .. نث طاني  
ولا تتغير اليوم لهوا إلى غد \* لعيد من حاديت بأمان  
فاني رأيت العصر يسرع بالقي \* وينقله حائين مختلفان<sup>(٢)</sup>  
فاما الذي يمضي فأحلام نائم \* وأما الذي يسبق له فاماني

وقال ابن المعتز من أبيات :

وبادئ بأيام السرور فإنها \* سراع وأيام المصوم يطأ  
وخل عتاب الحادثات لوجهها \* فإن عتاب الحادثات عتأ  
تعالوا فسقوا أنفسا قبل موتها \* ليأتي ما يأتي وهن رواء

(١) الممر : نوب لله المرأة على استدارة رأسها . (٢) كذا بالأصل . ولعلها "تحتفلان"

وقال أحمد المارداني :

عاقِرَ الرِّاحِ وَدَعَّ نَفْتَ الطَّلَلِ \* وَأَحْصَى مِنْ لَامِكٍ فِيهَا وَصَدَلَّ  
غَادِيهَا وَاسَعَ لَهَا وَأَغْرَبَهَا \* وَإِذَا قِيلَ : تَصَابَى، قُلْ أَجَلُ  
إِنَّمَا دِيَاكَ - فَأَعْلَمُ - سَاعَةً \* أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَاكَ أَمَلُ

وقال ابن بَسَام :

وَاصِلُ خَلِيكَ إِنَّمَا أَلْ \* لِدُنْيَا مُوَاصِلَةُ الْخَلِيلِ  
وَأَنْتُمْ وَلَا تُتَجَبَّلْ أَلْ \* حَكُورَهُ مِنْ قَبْلِ التَّزْوِلِ  
بِإِذْنِهَا تَهْوَى فَا \* تَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ  
وَأَرْقُصُ مَقَالَةَ لَائِمٍ \* إِنْ الْمَلَامَ مِنَ الْفُضُولِ

وَمَا وَصَفْتُ بِهِ مَجَالِسَ الشَّرْبِ؛ فَنَ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَوَاس :

فِي مَجْلِسِ ضَحْكَ السَّرُورِيهِ \* عَنْ نَاجِذِيهِ وَحُلَّتِ الْخُمُورُ

وقال ديك الحق :

كَأَنَّمَا الْبَيْتُ بِرِيحَانَةٍ \* ثَوْبٌ مِنَ السَّنْدَسِ مَشْفُوقُ

وقال السري :

أَلَسْتُ تَرَى رَكَبَ النِّعَامِ يُسَاقُ \* وَأُصَمِّعُهُ بَيْنَ الرِّيَاضِ تُرَاقُ  
وَقَدَرْتُ جِلْبَابُ النِّسَمِ عَلَى التَّرَى \* وَلَكِنْ جَلَايِبُ الْيَوْمِ صَفَاقُ  
وَعِنْدِي مِنَ الرِّيحَانِ نَوْعٌ تَجَسَّهُ \* وَكَأْسُ كَرْقَرَا الْخَلْقِ دِهَاقُ  
وَذُو أَدَبٍ جَلَّتْ صَنَائِعُ كَفِّهِ \* وَلَكِنْ مَعَايِ الشَّعْرَمَةِ دِقَاقُ  
لَهُ أَبَدًا مِنْ قَرْنِهِ وَنَظَامِهِ \* بِدَائِعِ حَلِيٍّ مِنْ حِقَاقُ

(١) الخلق : ضرب من الطيب مانع فيه معرفة لأن ماله أجزائه من الزهران .



وأغيدُ مهترٌ، على صحن خده \* غلائل من صيغ الحياءِ رفاقُ  
أحاطت عيونُ العاشقين بخصره \* فهنَّ له دونَ النطاقِ نطاقُ  
وقد نظم المشور فهو قلائد \* علينا، وعقدُ مُلعبٍ وخناقُ  
وغرفنا بين السحابِ تنقي \* لمنَ علينا كَلَّةٌ ورواقُ  
تقسمُ زوَّارُ من الهند سَقَفها \* خِفَافٌ على قلبِ الكريمِ رِشاقُ  
أعاجمُ تلتدُّ الخصاصمَ كأنها \* كواعبُ زَنجٍ راعهنَّ طلاقُ  
أُسنَ بنا أنسَ الإماءِ تحبَّت \* وشيمتها غَسَدُ بنا وإباقُ  
مُواصلَةٌ والورد في شجراته \* مفارقةٌ إن حانت منه فراقُ  
فَزُرُفِيَّةٌ، بردُ الشرابِ لسيهمُ \* حميمٌ أنا فارقههم وُغْضاقُ<sup>(١)</sup>  
قوله :

أحاطت عيونُ العاشقين بخصره \* فهنَّ له دونَ النطاقِ نطاقُ  
مأخوذ من قول المتنبي :

وخَصِرُ تَبَّتِ الأحداقُ فيه \* كَأَنَّ عليه من حَدَقِ نطاقا  
وقال أبو هلال السكري :

وليل أبَتَتْ به لَنَةٌ . وبعثَ فيه العقلَ والدينَا  
أصاب فيه الوصلُ قلبَ الجوى \* وبات فيه الممُّ مكيْنَا  
وقد خلطنا بنسيم الصبا \* نسيم راجٍ ورياحينا  
وأَكْؤُسُ الرِّاحِ نجومٌ اذا \* لاحت بأيدينا هَوْتُ فينا  
تضحك في الكأسِ أباريقُنَا \* وحسبنا تضحكُ تبكيْنَا

٥٤

(١) السابق : المتى الشديد البرد انسى يحرق من برده كل لحراق الميم .

ومما قيل في طيِّ مجالس الشراب؛ من ذلك قول بعض الشعراء :  
حُكِّمَ المُقَارِإِذَا فَصَلَّتْ لَشْرِبِهَا \* فِي لَذَّةٍ مِنْ مُسِيعٍ <sup>(١)</sup> وَقِيَلَتْ  
أَلَّا تَعُودَ لَذِكْرَ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ \* أَحْدَوْتِهِ مِنْ شَارِبِ سَكَرَاتِ  
وقال آخر :

إِذَا ذُكِرَ التَّيْدُ فَلَيْسَ حَقًّا \* إِعَادَةُ مَا يَكُونُ عَلَى التَّيْدِ  
إِعَادَةُ مَا يَكُونُ مِنَ السَّكَارَى \* يَكْتَدِرُ صَفْوَةَ الْعَيْشِ اللَّذِيذِ  
وقال آخر :

تَنَازَعُوا لَذَّةَ الصَّبَاءِ بَيْنَهُمْ \* وَأَوْجِبُوا لِرُضِجِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ  
لَا يَحْفَظُونَ عَلَى السَّكَانِ زَلَّتُهُ \* وَلَا يُرِيكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيْبُ

ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها

من ذلك ما قيل في وصف مَعَصِرَةِ الخمر :

قال أبو الفرج البیضاء :

وَمَعَصِرَةٌ أَنْخَتُ بِهَا \* وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَنْبِ  
نَخِلْتُ قَرَارَهَا بِالرَّأ \* حَ بَعْضَ مَعَادِنِ الذَّهَبِ  
وَقَدْ ذَرَفَتْ لِفَقْدِ الْكَرِّ \* مَ فِيهَا أَعْيُنُ الْعَنِيبِ  
وَجَاشَ عُجَابُ وَادِيهَا \* بِمَنْهَلٍ وَمُنْسَكِبِ  
وَيَاقُوتِ الْمَصِيرِ بِهَا \* يَلَاعِبُ لَوْثُ الْحَبِيبِ  
فَيَا عِبَا لِعَاصِرِهَا \* وَمَا يَفْتَى بِهِ عَجَبِي  
وَكَيْفَ يَعْشَى وَهُوَ يَنْجُو \* ضَ فِي بَحْرِ مِنَ اللَّهَبِ

وقال آبن المعتز يصف الدنان :

ودنان كمثل صَفِّ رجال \* قد أقيموا ليرقصوا <sup>(١)</sup>دَسْتَبْدَا

وقال القطامي يصف حرار النحر :

وَأَسْتَوْدَعَهَا رَوَاقِيْدُ مَقْبِرَةٍ <sup>(٢)</sup> \* دُكُنُ الظَّوَاهِرِ قَدْ بُرْسِنَ بِالطَّيْنِ <sup>(٣)</sup>

مَكَلِفَاتُ لَحْرِ الشَّمْسِ قَائِمَةٌ \* كَأَنَّهُنَّ نَيْبُطٌ فِي تَبَايِنِ <sup>(٤)</sup>

وقال العلوي الأصفهاني :

غُدْرَةٌ مَكْنُونَةٌ قَدْ تَقَشَّفَتْ \* كَرَاهِيَةِ بَيْنِ الْحَسَنِ الْأَوَّاسِ

وَأَتْرَابُهَا يَلْبَسْنَ بَيْضَ غَلَائِلِ \* هِيَ الْعُرَى مَفْرُورٌ بِهَا كُلُّ لَايِسِ

مَشْعَنَةٌ مَرَاهٍ <sup>(٥)</sup> مَاخِلَتْ أُنَى \* أَرَى مَثَلَهَا عَذْرَاءَ فِي زِيِّ عَائِسِ

١٠ وما قيل في الراووق؛ قال بعض الشعراء :

كَأَنَّمَا الرَّاوُوقُ وَأَتَصَابُهُ \* تُحْرَطُومُ فِيلٍ سَقَطَتْ أُنْيَابُهُ

وَالْبَيْتُ مِنْهُ عَطِرٌ تَرَابُهُ \* كَأَنَّ مَسْكَاً قُتِّمَتْ عِيَابُهُ

وقال آخر :

سَمَاءٌ لَاذٍ قَطُرُهَا رَحِيقُ <sup>(٦)</sup> - رَحْبُ الذَّرَى يَخْطُفُهُ الضَّبُّ

١٥ ماءٌ عَفِيقٌ لَوْ جَرَى الْعَفِيقُ \* حَتَّى إِذَا أَلْهَبَهَا التَّصْفِيقُ

\* صَحْنًا إِلَى جَبَارَتَا : الْحَرِيقُ \*

(١) الدَسْتَبْد : نوع من أنواع رقص الميوس : يأخذ بعضهم بيد بعض و يدورون ويرقصون .

(٢) رواقيد : جمع راقود وهو الدن الكبير .

(٣) مقبرة : أى مسبة بالفاوود هو "الزيت" .

(٤) التباين : جمع تباذ وهو سراويل صغيرة ستر العورة .

(٥) المراه : التى آيست حاليقها من تركها الكمل .

(٦) اللاذ : جمع لاذة وهى نوب حرير أحمر صهى .

ومما وصفت به زقاق الحر؛ فن ذلك قول الأخطل :  
 أناخوا بخزوا شاصيات<sup>(١)</sup> كانها \* رجلٌ من السودان لم يتسربلوا  
 وقال أبو الهندي وأجاد في شعره :

أناف المائل وما جمته \* طلب اللذات من ماء العنب  
 واستباء الرق من حانوتها \* شائل الرجلين مضروب<sup>(٢)</sup> الذنب  
 كلب تحب لشرب خلته \* حبشيا قطعت منه الركب  
 وقال ابن المعتز :

وتراها وهي صرعى \* فرقاً بين الندى  
 مثل أطلال حروب \* قتلوا فيها كراماً  
 وقال العلوي الأصفهاني :

عجبت من حشيتي لا حراك به \* لا يدرك النار إلا وهو مندبوح  
 طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع \* رغو الصفاق<sup>(٣)</sup> وطوراً وهو مشبوح  
 ومما وصفت به الأباريق؛ فن ذلك قول شعيرة بن الطفيل :  
 كأن أباريق الشمول عشية \* أوز بأمل العلف حوج الحناجر  
 وقال آخر :

يارب مجلس فتية نادمهم \* من جد شمس في ذرى العلياء  
 وكأنما أبرقهم من حسنه \* ظبي على شرف أمام غباء  
 وقال ابن المعتز :

وكان أبرق المدام لديهم \* ظبي على شرف أناف مدلك

(١) الشاصيات : القرب إذا كانت مملوءة أو قنع فيها فارتفعت جوانبها .

(٢) المضروب : المقطوع . (٣) الصفاق : جلد البطن .

لما استسحتته السقاء جثي لها \* فبكي على قدح التنديم وقهقهها  
وقال إسحاق الموصلي :

كأن أباريق المدام لليسيم \* طباء بأعلى الرقنين قيام  
وقد شربوا حتى كأت رقابهم \* من اللين لم يُخَلِّقْ لهن عظام  
وكلهم نظروا الى قول طعنة بن عبدة :

كأت إبريقهم ظلي على شرف \* مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَثَّانِ مَلُوثُ  
وقال محمد بن هاني من أبيات :

والأباريق كالطبباء العواطي \* أوجست نبأة الحبول العناقي  
مُصْنِعاتٌ إِلَى الْفَنَاءِ مُطَلَّاتٌ \* تٌ عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الْإِطْرَاقِ  
وهي ثُمَّ الْأَنْوِفُ يَشْمَعْنَ كَبْرًا \* ثُمَّ يَرْعُفْنَ بِالْدَمِ الْمُهْرَاقِ  
وقال أبو نواس عفا الله عنه :

والكوب يضحك كالغزال مسبحًا \* عند الركوع بلثغة العافاء  
وكأت أقداح الرحيق إذا جرت \* وسط الظلام كواكب الجوزاء  
وقال بشار بن برد :

كأت إبريقنا والقَطْرُ من فمه \* طَيْرٌ تَأْوِلُ يَاقُوتًا بِمَقَارِ  
ومما وُصِفَتْ بِهِ الْكَاسَاتُ وَالْأَقْدَاحُ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :  
غدا بها صفراء كَرَّخِيَّةٌ \* تَخَالِفُ فِي كَأْسِهَا لَتِيْقِدَ  
وتحسب الماء زجاجة لها \* وتحسب الأقداح ماء جمد  
وقال ابن المعتز أيضا عفا الله عنه :

وكأيس تُحْجَبُ الْأَبْصَارُ عَنْهَا \* فَلَيْسَ لِنَاضِرٍ فِيهَا طَرِيقُ

(١) السب والسبية : النقة ، وحس يصعب به الثقة اليحاه . كذا في اللسان ، وقد استشهد بهذا البيت وعقب عليه قائلا : « إنما أراد بسبابي محف » .

كأن غمامة بيضاء بينى \* وبين الكأس تحرقها البروق  
وقال أبو الفرج البغاء :

من كل جسم كأنه عَرَّضَ \* يكاد لُطْفًا بالهظ يُنْتَهَبُ  
كأنما صاغه النفاق فـ \* يخلص منه صدق ولا كذب  
وقال الرقاء :

كأن الكؤوس بفضلاتها \* متوجَّعةً بأكاليل نور  
جيوبٌ من الوشى مزدودة \* يلوح عليها بياض النحور

وقال أنر :

وكانما الأقداحُ مترعة الحشا \* بين الشروب كواكب الجوزاء  
وكانها ياقوتة فضلاتها \* غروطة من دُرّة بيضاء

وقال المروج :

يعاطيك كأساً غير ملائى كأنها \* إذا مزجت أحداق درج مُرَدِّد  
كأن أعاليها بياض سواف \* يلوح على توريد خد مورِد

وقال أبو نواس :

وكانما الروض السماء ونهره \* فيه المجرة والكؤوس الأنجم

وقال العالبي :

يا واصل الكأس بتشبهها \* دونك وصفاً عالي القدر  
كأن من الشمس قد أُفْرِغَتْ \* في قالبٍ صبيغ من البدر

وقال أنر :

أقول للكأس إذ تبتلت \* بكفٍّ أحوى أغنّ أحوز  
أحريت بيني وبين غيري \* وأصلُ ذا كعبك المدور

## الباب الخامس

٥٦

## من القسم الثالث من القرن الثاني

## في الثمنان والسقاة

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك يتصرف بشهوته ويتقلب بإرادته ، لا يميل المعاشرة ، ولا يسام المساهرة ؛ إذا أنتشى يحفظ ، وإذا صحا يفظ ، ويكون كأنما لسره ، فاشرا لبره . قالوا :

فانحر كاتبٌ نديما ، فقال الكاتب : أنا حصونة ، وأنت مؤونة ؛ وأنا لجة ، وأنت للهل ؛ وأنا للشدة ، وأنت للرخاء ؛ وأنا للحرب ، وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ؛ وأنا للخطوة ، وأنت للهناء ؛ قوم وأنا قاعد ، وتحتم وأنا مؤانس ؛ تداب لراحتي ، وتشتي لما فيه سعادتي ؛ فانا شريك وأنت مُعين ، كما أنك تابع وأنا قرين . فلم يُحر الكاتبُ جوابا . والله أعلم .

وسئل إصحاق بن إبراهيم الموصلي رحمه الله عن الندماء ، فقال :  
واحدٌ فَمٌ ، واثنان هَمٌ ، وثلاثة قَوَامٌ ، وأربعة تَمَامٌ ، وخمسة مَجْلِسٌ ، وستة زحَامٌ ، وسبعة جَبِيشٌ ، وثمانية صَكَرٌ ، وتسعة أَضْرَبٌ طَبْلَك ، وعشرة أَلَقَى بِهِمْ مَنْ شَلَّتْ .

وقال الجواز : التيسد حرام على آثني عشر نفسا ، من غنى الخطأ ، واتكأ على اليمين ، وأكثر من أكل البقل ، وكسر الزجاج ، وسرق الريحان ، ويل ما بين يديه ، وطلب العشاء ، وقطع الهم <sup>(١)</sup> ، وحبس أول قديح ، وأكثر الحميت ، وأمتخط في منديل الشراب ، وبات في موضع لا يُحتمل الميت فيه .

(١) الهم : الوتر الغليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكري :

ما أعافَ النبيذُ خيفةَ إثمٍ \* إنما عَفَتْهُ لفقدِ النديمِ  
ليس في اللهو والمدامةِ حظٌ \* لكرمِ دونِ النديمِ الكريمِ  
فخَيْرٌ قَبْلَ النبيذِ نديمًا \* ذا خللٍ سَطَرَاتِ النسيمِ  
وجمالِ إذا نظرتَ بديعٍ \* وضميرِ إذا أَخْبَرْتَ سليمِ

وقال آخر :

أرى الكأسَ حقًا لا أراه \* لنفسي الكأسُ إلا للنديمِ  
هو الغبطُ الذي دارتُ عليه \* رعى اللذاتِ في الزمانِ القديمِ

وقال آخر :

وسنين أنى ثقية \* كأت حديثه جبره<sup>(١)</sup>  
يسرك حسنُ ظاهيره \* وتحمده منه مخبره  
ويستر عيبَ صاحبه \* ويسرُّ أنه ستره

وقال آخر :

ونديم حلو الحديث يجاري \* لك بما تشتهيهِ في مبدائك  
ألمى كأت قلبك في أض \* لعله أو كلامه في لسانك

وقال يحيى بن زياد :

ولستُ له في فضلة الكأسِ قائلًا \* لأصرفه عنها : تحسن وقد أباي  
ولكن أحييه وأكرم وجهه \* وأشربُ ما أتى وأسقيه ما أشتى  
ولستُ إذا مانم عندي بموقيظ \* ولا أسمع يقظانَ شبتا من الأذى

وقال آخر :

ليس من شأنه إذا دارتِ الكأ \* من فازرى إدمانها بالحلومِ

(١) الحبرة : ضرب من برد اليمن منور . (٢) هذه رواية الأصل وهي غير مستقيمة ويحتمل أن تكون محذرة عن « لأصرفها عنى » أو « لأصرفه سكرًا » أو نحو ذلك .



قَوْلُ مَا يُسْخَطُ النَّدِيمَ وَإِنْ أَسَ \* حُطَّ عَنْهُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّدِيمِ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أُخْطِبْتُ لِكَأْسِكَ نَدْمَانًا تُسْرِبُهُ \* أَوْ لَا فَتَدِينُ عَلَيَّ حِكْمَةَ الْكُتُبِ

أُخْطِبُهُ حَرًّا كَرِيمًا ذَا عَاقِلَةٍ \* تَرَى مَوْدَتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ

وَقَالَ أَبُو قُوَّاسٍ :

وَقَدَّمَانِ يَرَى عِيَا عَلَيْهِ \* إِنْ يَمْشِي وَلَيْسَ بِهِ آفَتَانِ

إِذَا نَهَيْتَهُ مِنْ نَوْمٍ مَكْرِيٍّ \* كَفَّاهُ مَرَّةً مِنْكَ التَّدَانِ

فَلَيْسَ بِقَاتِلٍ لَكَ : إِيَّاهُ دَعْنِي \* وَلَا مُسْتَعْبِرًا لَكَ مَا تَشَاءُ

وَلَكِنْ سَقْنِي وَيَقُولُ أَيْضًا \* عَلَيْكَ الصَّرْفُ إِنْ أَعْيَاكَ مَاءُ

إِذَا مَا أَدْرَكَتْهُ الظُّهْرُ صَلَّى \* وَلَا عَصْرٌ عَلَيْهِ وَلَا عِشَاءُ

يَصَلِّيُ هَذِهِ فِي وَقْتِ هَذِي \* وَكُلَّ صَلَاةٍ أَبَدًا قَضَاءُ

وَقَالَ آخَرُ :

نَهَيْتُ نَدْمَانِي فَهَيَّوْا \* بَعْدَ الْمَتَامِ لِمَا اسْتَحْبَوْا

هَذَا أَجَابَ وَذَا أَنَا \* بَ وَذَا يَسِيرُ وَذَاكَ يَحْبُو

أَنْشَلْتَهُمْ يَتَا يَسْلُمُ ذَا الصَّبَابَةِ كَيْفَ يَصْبُو

« مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُحِبَّ وَأَنْ يُحِبَّكَ مِنْ تَحِبَّ »

فَقَطَّرُوا وَالْأَرْيَحِيَّةُ شَانَهَا طَرَبُ وَشَرَبُ

وَقَالَ أَبُو عُبَادَةَ الْبَحْتَرِيُّ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

وَنَدِيمٍ نَهَيْتُهُ وَدَجَى اللَّيْلِ \* لَمْ يَضُوءُ الصَّبَاحُ يَسْتَلْجَانِ

فَمَنْ نَادَرَهَا الصِّيَامَ فَقَدْ أَقْدَمَ \* حُرْ ذَاكَ الْهَلَالَ مِنْ شَعْبَانِ

وقال أيضا :

بات نديماً لي حتى الصباح • أعيدُ مجدولُ مكانِ الوشاح  
كانما يميم عن لؤلؤ • متّصِّدٍ أو برِّدٍ أو أفاع  
يساقط الورد علينا وقد • تبلج الصبحُ، نسيمُ الرياح  
إن لآلٍ عطفاه قسا قلبه • أو تبت الخلل جال الوشاح<sup>(١)</sup>  
أضجُ كأسٍ يحنّ ريقه • وإنما أمرجُ راحاً براح

ومنها من كره التديم وأكر الأفراد . قال إبراهيم الموصلي عفا الله تعالى عنه

ورحمه :

دخلت يوماً على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب ، قلت له :  
١٠ ننادم كلباً ! قال : نعم ، بمعنى أذاه ، ويكف عني أذى سواه ، ويشكر قليل ،  
ويحفظ ميثقي ومقيل . وأشد :

واشرب وحدي من كراهتي الأذى • غداة شرّ أو سبابٍ لثمي  
يتهى وأستغفر الله الذنبي .

ومما قيل في السقا : فن ذك قول الصنوبري عفا الله عنه :

ومؤرد الخدين يح • يطرحن يخطر في مؤرد  
يسقيك من جفن ألبية • ن اذا سقاك دموع عصبه  
حتى نظرن • نجم ين • زلأ وتظن الأرض تصعد  
فإذا سقاك بعينه • وبفيه ثم سقاك باليد  
حيّاك باليقوت • ثم الدر من تحت الزرجد

(١) هذا البيت ساقط من أبيات هذه القصيدة في ديوان البصري .

وقال ديك الجن :

ومُرِّدٍ بالقضيب اذا تَنَّى \* ومنزاهة على القنصر التام  
سَقَانِي ثُمَّ قَبَلْتِي وَأَوَمَا \* بطرفٍ مُقَمَّمَةٍ بِشَمَى سَقَامِي  
فَبِتَ لَهُ عَلَى التَّمَانِ أَسَقَى \* مُدَامًا فِي مُدَامٍ فِي مُدَامِ

وقال ابن المعتز :

تَدُورُ عَلَيْنَا الرِّاحُ مِنْ كَفِّ شَادِنٍ \* لَهُ لِحْظٌ عَيْنٍ يَشْتَكِي السَّهْمَ مُدْتَفِّ  
كَأَنَّ سَلَافَ الْخَمْرِ مِنْ مَاءِ خَذِهِ \* وَعَقُودُهُا مِنْ شَعْرَةِ الْجَلِيدِ يُقَطِّفُ

وقال أيضا :

يَنْ أَقْدَاحَهُمْ حَلِيثٌ قَصِيرٌ \* هُوَ سَحَرٌ وَمَا سِوَاهُ الْكَلَامُ  
فَكَانَ السَّقَاةَ يَنْ النَّدَامَى \* أَلِفَاتٌ يَنْ السُّطُورَ قِيَامُ

وقال أحمد بن أبي قحط :

بَكَفٍ مُقَرَّطِي خَنِيثٍ \* تَطْلُبُ بِطَلْبِهِ الرَّيْبُ  
تَرَاهَا وَهِيَ فِي كَفِّهِ \* هِيَ مِنْ خَذِهِ تَلْتَهُبُ

وقال الصنوبري :

وَسَائِي إِذَا هُمْ تَدَمَّانَا \* بَانَ يُزْجِي الْكَأْسَ لِمُرْزِيهِ  
كَلِمَةً عَاجٍ عَلَى فَرْشِهِ \* وَلَيْتَ حَرِيرِي عَلَى مَرْجِيهِ  
لَطِيفِ الْمُنْطَقِ مَهْتَرُهُ \* تَهْيِيلِ الْمُؤَزَّرِ مَرْجُهُ  
سَقَانِي بَيْنَهُ أَضَاعَ مَا \* سَقَانِي بِكَفِّهِ مِنْ غُنْتِهِ

وقال آخر :

يَأْسَاقِي الْقَوْمَ إِنْ دَارَتْ إِلَيَّ فَلَا \* تَمْزُجُ قُلُوبِي بِدَمْعِي مَارِجٌ كَلَمِي  
وَيَأْتِي الْحَيَّ إِنْ غَشِيَتْ مِنْ طَرَبٍ \* فَضْنٌ : وَاحِرًا بِمِنْ قَلْبِهِ الْقَامِي

وقال ابن المعتز :

وعقد رنارٍ على عُصْنِ الآسِ • دقيق المعاني عُطُفَ الحَصِيرِ مَيَّاسِ  
سَقَانِي عَقَارًا صَبَّ فِيهَا مَزَاجُهَا • فَاصْحَكِ عَنْ ثَمَرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَاسِ  
وقال أبص :

قَدْ كَالْتَصَنَ فِي الثَّقَا • يَمْزُجُ الشَّمْسُ بِالْقَمَرِ  
وَسَقَانِي الْمِدَامَ وَاللَّيْلُ بِالصَّبْحِ مُؤْتَرِدِ  
وَالزُّبْيَا كَوْنِ غَضَنِ عَلَى الْغُرْبِ قَدْ نَزَرَ  
وقال البهترى :

وَيِ الْقَهْوَةِ أَشْكَلُ • مِنْ السَّاقِ وَالْوَأْنِ  
حَبَابٌ مِثْلُ مَا يَضَحُّ • لَكَ عَنْهُ وَهُوَ حَذْلَانُ  
وَيُسْكِرُ مِثْلَ مَا يُسْكِرُ • رَطْرُفٌ مِنْهُ وَسَدَنُ  
وَطَعْمُ الرِّيقِ إِنْ جَادَ • بِهِ وَالصَّبِّ هَيَّانُ  
لَنَا مِنْ كَفِّهِ رَاحٌ • وَمِنْ رِيَّهِ رِيحَانُ

وقال أبو القاسم الهبيري الكاتب رحمه الله تعالى عليه :

سَقَانَا الرِّاحَ سَائِيًا، كُلُّ رَاحٍ • سَوَى الْخَاطِظِ عَيْنِهِ سَرَابُ  
يَدِيرُ الْكَاسَ مَبْتَسِمًا عَلَيْنَا • مَا نَدْرِي أَتَقَرُّ أَمْ حَبَابُ ؟  
وَقَدْ سَقَرْنَا دَجَى عَنْ ثَوْبِ بَخْرٍ • مِنْ مِثْلِ مَا سَعَرَ الْقَابُ  
نَخَفْتُ الصَّبْحَ فِي أَثَرِ الزُّبْيَا • بِشِيرَاجٍ جَاءَ فِي يَسَدِهِ تَحَابُ  
وقال أبو الشَّيْخ :

يَطْلُوفُ عَلَيْنَا بِهِ أَحْوَرُ • يَدَاهُ مِنَ الْكَاسِ مَغْضُوبَتَانِ  
غُرْلُ تَمِيلُ بِأَعْطَانِهِ • قَسَاةٌ تَمُطُّ كَالْحَيَزُرَانِ

وقال أبو بكر محمد بن عمار :

وهويته يسقى المدام كأنه • لم يطوف بكوكب في حندين  
متأرجح الحركات تدى ريحه • كالنصن هنزه الصبا بتفيس  
يسعى بكأس في أامل سوسن • ويدير أخرى في محاجر ترجين  
وقال المعوج يصف ساقية :

لا جيش إلا من كف ساقية • ذات دلال في طرفها مرس  
كأنما الكأس حين تمزجها • نجوم ليل تملو وتخفض  
وقال آخر يصف امرأة ساقية :

وساقية كأن بفريقها • أكاليل على طبقات ورد  
لها طيب المنى وصفاء لون • وحمرة وجنة ومذاق شهد

وقال دبك الجنى يصف ساقيا وساقية :

أفديكا من حامل قدحين • قرين في غصين في ديصين  
رود متعة ومهضوم الحشا • للتاظرين منى وقوة عين  
قامت مؤتة وقلم مؤتة • فتناها الأحساظ بالنظرين  
صبا على الراح إن هلاتنا • قد صب نعمته على التملين  
والى كأسكا على ماخيت • بالسر معجونا بماء لجين

## الباب السادس

### من القسم الثالث من الفرق الثاني

في الغناء والسباح، وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة، وما استدل به من رأى ذلك؛ ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقواد والأكابر، وأخبار المفتين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية، ومن أخذ عنهم، ومن أشهر بالغناء وأخبار القيان .

### ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة

قد تكلم الناس في الغناء في التحريم والإباحة وأختلفت أقوالهم وتباعدت مذاهبهم وتباينت استدلالهم؛ فمنهم من رأى كراهته وأنكر استماعه، واستدل على تحريمه؛ ومنهم من رأى خلاف ذلك مطلقاً وإباحه وصمم على إباحته؛ ومنهم من فرق بين أن يكون الغناء مجزواً أو أضيف إليه آلة كالعود والطبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدقوف والمنازف والقصب، فأباحه على أنفراده وكرهه إذا أضاف إلى غيره وحرم سماع الآلات مطلقاً . ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة استدل بها . وقد رأينا أن ثبت في هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الاختصار وحذف النظائر المطولة فنقول وبالله التوفيق .



أما ما قيل في تحريم الغناء وما استدل به من رأى ذلك، فإنهم استدلوا على التحريم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ولأئمة من علماء

المسلمين . أما دليلهم من الكتاب العزيز قول الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا سُرُوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِضُرٍّ عَلَيْهِ وَيُخَيِّدَهَا هُزُؤًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَسْقَمَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ . وقوله : ﴿ أَقِنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَجِبُونَ وَتَضَعُكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ . قال ابن عباس : ( سَامِدُونَ ) هو الغناء بلسنة حمير ، وقال مجاهد : هو الغناء بقول أهل اليمن ، سمّد فلان إذا غنى . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) : إنه الغناء ، ومن طريق آخر : إنه الغناء وأشباهه . وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : هو — والذي لا إله إلا هو — الغناء . وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَسْقَمَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ قال : صوته الغناء والمزامير . وعنه في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قال : الغناء .



- وأما دليلهم من السنة ، لما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن الله عز وجل حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ، ثم قرأت ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ الآية . وروى أبو أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله عز وجل إليه شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يُمسك » . وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إبليس أول من ناع وأول من تغنى » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نُيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحَقِّينَ فَاجِرِينَ صَوْتٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ وَصَوْتٌ عِنْدَ مَصِيبَةٍ".

- وأما أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، فقد روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : ما تَغَيَّبْتُ قَطُّ . فِتْرًا مِنَ الْفَنَاءِ وَتَجَمُّعَ بَرَكَةٍ . وَرَوَى عَنْ
- أَبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : الْفَنَاءُ يُنْهَتْ التَّفَاقُ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَنْهَى الْمَاءُ الْبَقْلَ . وَرَوَى أَنَّ أَبْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّةً عَلَى قَوْمٍ مُحَرِّمِينَ وَمَعَهُمْ قَوْمٌ وَرَجُلٌ يَضَيُّ قَالَ : أَلَا لَا أَسْمِعُ وَأَلَّهُ لَكُمْ ، أَلَا لَا أَسْمِعُ وَأَلَّهُ لَكُمْ . وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
- ابْنِ دِينَارٍ قَالَ : مَرَّ أَبْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِجَارِيَةٍ صَغِيرَةٍ تَغْتَنِّي ، فَقَالَ : لَوْ تَرَكَ الشَّيْطَانُ أَحَدًا تَرَكَ هَذِهِ . وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى قَالَ : سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمَّا تَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْفَنَاءِ فَقَالَ : مَا يَفْعَلُهُ عِنْدَنَا إِلَّا الْفُسَّاقُ . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : لَيْنَ الْمَغْنَى وَالْمَغْنَى لَهُ . وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَتِيَّةٍ : حُبُّ السَّمَاعِ يَنْهَى التَّفَاقُ فِي الْقَلْبِ . وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْفَنَاءِ ، أَحْرَامٌ هُوَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ فِي الثَّلَاثَةِ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَأَتَى بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَيْنَ يَكُونُ الْفَنَاءُ ؟ قَالَ : مَعَ الْبَاطِلِ . قَالَ الْقَاسِمُ : فَأَفَتِ فَسَكَ . وَقَالَ الْقُضَيْلِيُّ بْنُ عِيَّاضٍ : الْفَنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّانَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْفَنَاءُ رَائِدٌ مِنَ رَوَادِ الْفُجُورِ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : الْفَنَاءُ مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ ، مَسْحَطَةٌ لِلرَّبِّ . وَقَالَ يَزِيدُ ابْنُ الْوَلِيدِ مَعَ أَشْتَهَارِهِ بِمَا أَشْتَهَرَتْ بِهِ : يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، إِيَّاكُمْ وَالْفَنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ الْحَيَاءَ وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ وَيُهْلِكُ الْمَرْوَعَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَنْوِبُ عَنِ الْخَمْرِ وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ السُّكْرُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا شَكَّ فَاعْلَمِينَ بِغَنَبِهِ النَّسَاءَ ؛ فَإِنَّ الْفَنَاءَ رُقِيَّةُ الزَّانَا . وَإِنِّي لِأَقُولُ ذَلِكَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ ، وَأَشْهَى إِلَيَّ قَهْمِي مِنَ الْمَاءِ إِلَى ذِي الثَّلَاةِ الصَّادِي ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُقَالَ .



- وأما أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتاب أدب القضاء : الفناء هو مكروه يشبه الباطل . وقال : من استكثر منه فهو سفیه تُردّ شهادته . قال القاضي حسين بن محمد : وأما سماعه من المرأة التي ليست بحُرْم ، فإن أصحاب الشافعي قالوا : لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب ومواء كانت حرة أو مملوكة . وقال الشافعي : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفیه تُردّ شهادته . ثم غلط القول فيه وقال : هو ديانته . قال : وإنما جعل صاحبها سفياً لأنه دعا الناس إلى الباطل ، ومن دعا إلى باطل كان سفياً فاسقاً ، وقال مالك بن أنس : إذا أشتري جارية فوجدتها سفية كان له ردها بالعبء ، قال : وهو من ذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وكره أبو حنيفة ذلك وجعل سماع الفناء من الذنوب . قال : وذلك من ذهب سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري ، وحماد بن سلمة ، وإبراهيم النخعي ، والشمسي وغيرهم لا خلاف بينهم في ذلك . قال : ولا يترفع أيضاً بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه . وقال بعض الزهاد : والفناء يورث العناد في قوم ، ويورث التكذيب في قوم ، ويورث القساوة في قوم .

وقال بعضهم عن حاله عد السماع :

- أندكر وقتاً وقد أجمعنا \* على طيب الفناء إلى الصباح  
ودارت بيننا كأس الأعاني \* فاسكرت النفوس بنير راج  
فلم ترفيهن إلا نشأوى : سروراً والسرور هناك صاحي  
إذا لمي أخو اللذات فيه \* مادي اللهو حتى على السباح  
ولم يملك سوى المهجات شيئاً \* أرقناها لأحباط ملاح



هذا ملخص ما ذكره في تحريم الغناء . وقد استدل من أباحه بما يتناقض  
ما تقدم على ما نذكر ذلك إن شاء الله في إباحة الغناء .

### ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة

وقد تكلم الناس في إباحة الغناء وسماع الأصوات والنفثات والآلات ، وهي الدف  
والرباع والقصب والأوتار على اختلافها من العود والطنبور وغيره ، وأباحوا ذلك  
وأستدلوا عليه وضيقوا الأحاديث الواردة في تحريمه ، وتكلموا على رجالها وجرحوهم  
وبسطوا في ذلك المنصفات ووسموا القول وشرحوه الأدلة . وطالمت من ذلك  
عدة تصانيف في هذا الفن مجردة له ومضافة إلى غيره من العلوم . وكان ممن تكلم  
في ذلك وجرّد له تصنيفا الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي  
للقسسي رحمه الله تعالى . فقال في ذلك ما نذكر مختصرا ومعناه :

أعلم أن الله تعالى سمى محمداً صلى الله عليه وسلم بالحليفة السمعة في الكفاة .  
قال الله تعالى : **إِنِّي أَعْلَمُ الْغَوَّاتِ وَمَنِ ابْنُ السُّعْيَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا** .  
في التوراة والإنجيل : **هُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَهْتَمُّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ طَعَامَاتٍ وَيُحَرِّمُ**  
**عَلَيْهِمُ الْحَالِثَاتِ وَيَفْعُحُ صَهْبَهُمْ وَالْأَفْطَانُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ**  
**وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَبْغَوْا خَوْفَ لَدِي تُزِيلُ اللَّهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** . فبلغ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وسنّ شرعاً ، وأمر  
ونهى ، كما أمر صلى الله عليه وسلم . هيس لأحد بعده وبعد الخلفاء الرشدين الذين  
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتناء بهم واتباع لستهم أن يحرموا ما أحل  
الله عز وجل ، ودرج الله عليه وسلم إلا بديل طلق من آية محكمة . أو سنة  
مخفية صحيحة . ع من الأمة على مقاتته .

وأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من رواية المكذِّبين والمجرحين الذين لا تقوم بروايتهم حجة ، وبأقوال مَنْ فسر القرآن على حسب مراده ورايه ، فلا يرجع إلى قولهم ولا يُسلك طريقهم ؛ إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد من الناس أول من قول غيره ، وإنما يُلزم بقول من أئد بالوسى والتزليل ، وعصم من التغير والتبديل . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحى من الله تعالى . وكذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن أمر لم يقل فيه وحى توقيف حتى يأتيه الوسى ، وليست هذه المغزلة لغيره فيلزم قبول قوله .

### ذكر ما استدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية

- ١٠ . قد استدلوا على إباحة الغناء بأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تتناولت به الأنصار يوم بُعث وليستا بمغنيات ؛ فقال أبو بكر : أمر مار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذلك يوم عيد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بكر إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا" . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعث ؛ فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فأتتهرني وقال : مِرْمَارَةُ الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ! فقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "دعهما" . فلما غفل نمرته . فخرحت ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدُرُق والحِرَاب ، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "تَشْتَبِهَن تَخْطِرِينَ" فقلت نعم .
- ٢٠ .

فأقامني وراءه، خدني على خده وهو يقول : "دونكم يا بني أَرْفِدَةً" حتى اذا ملكت قال . "حسبك؟" قلت نعم . قال : "فأذهبي" . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها : أن ابا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جارياتان في أيام منى تدفقان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متفش بثوبه ، فاتهرما أبو بكر ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : "دعهما يا ابا بكر فلنأيا عيدا" . وتلك الأيام أيام منى . وقالت عائشة : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترنى وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "دعهم أنسأ بنى أَرْفِدَةً" (يعنى من الأمن) . قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث : أين يقع إنكار من أنكر من إنكار سيدي هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم : أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ! وقد أنكر عليه الصلاة والسلام عليهما إكراههما ، فرجعا عن رأيهما الى قوله صلى الله عليه وسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت جارية من الأنصار في حجرى فزففتها ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء ، فقال : "يا عائشة ألا تعنين معي من يعنى فإن هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء" . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشة فهدىها بن قهاة بعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أهديت عروسك؟" قالت نعم . قال : "رسمت معها بفضاء فإن الأنصار يحبونه" . قالت لا . قال : "ودركيها بزئيب" (أية هنت تمر المدينة) رواه أبو الزبير محمد بن الزبير بن مسلم المكي عن جابر . وعندها قال : أنكحت عائشة رضى الله عنها ذات قرابة لها رجلا من الأنصار في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "أهديتم الفتاة؟"

قالوا نعم . قال : « أرسلتم معها » ؟ . — قال أبو طلحة راوى الحديث : ذهب منى — فقالت لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأنصار قوم فهم غزلكم قلوبهم معها من يقول :

أَيْنَاكُمْ أَيْنَاكُمْ \* خِيَانَا وَخِيَانَكُمْ »

- وروى عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « <sup>سَدْرُهُ</sup> أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَبِيْنَةِ إِلَى قَبِيْتِهِ » . قال أبو عبد الله الحاكم فى كتابه المستدرک : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم ، ولم يخرجاه ، وقد خرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى فى سننه . قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى رحمه الله تعالى : ووجه الاحتجاج من هذا الحديث هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت أن الله تعالى يستمع الى حسن الصوت بالقرآن كما يستمع صاحب القينة الى قبيلته ، فأثبت دليل السماع إذا لا يجوز أن يقاس على استماع محرم . قال : ولهذا الحديث أصل فى الصحيحين أخرجاه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِنَا أَنْ يَتَغَنَّىَ بِالْقُرْآنِ » . هذا ما ورد فى السماع .

١٥



وأما ما ورد فى الضرب بالآلة ، من ذلك ما ورد فى اللّف . روى عن محمد ابن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فصل ما بين الحلال والحرام

(١) الذى فى المقدّم الرید : « لغيرنا محيكم » و ترجمه القایة . و روى البیت الثانى :

ولولا الحبة السرا \* لم تحلل براءدكم

- ٢٠ (٢) فى الأصل هكذا : « الاستماع محرم » وهو إما محرف عن « استماع محرم » أو « الاستماع المحرم » بترجيها ما أو تكريها ما .

(٢) فى هبة اس الأمير : « ما أذن الله لنى . كآده لوى يثنى بالقرآن . أى ما أسمع الله لنى . كاستماع لى يثنى بالقرآن ، أى تلوه . يجهره » .

الثقف والصوت في التكلم . قال الحافظ أبو الفضل رحمه الله تعالى : هذا حديث صحيح ألزم أبو الحسن الدارقطني مسلماً لإخراجه في الصحيح ، وقال : قد روى عنه (يعني محمد بن حاطب) أبو مالك الأشجعي وبتيمالك بن حرب وأبن عون ويوسف بن سعد وغيرهم . قال : وأخرج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله ابن ماجه في سُننهما . وروى الحافظ أبو الفضل بسند رفته إلى جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت دف فقال : "ما هذا" ؟ فقيل : فإِنَّ تَرْج . فقال : "هذا فكاح ليس بالسفاح" . وقد ضعف أبو الفضل إسناده هذا الحديث ، وقال : إنما أخرجه على ضعف إسناده لأنه شاهد الحديث الصحيح المتقدم . وروى أبو الفضل أيضا بسنده إلى خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على صبيحة<sup>(١)</sup> فني على ، فجلس على فراشي كبجسك مني ، فجلست جواريات بصيرين بئف لمن ويندين من قيل من آبائي يوم بدر إلى أن قالت إحداهن : وفيما هي يعلم ما في غد ، فقال : "دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين قبله" . وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري قال : وقد رواه حماد بن سلمة عن خالد بن ذكوان أم من هذا ، قال : كنا بالمدينة يوم عاشوراء وكان الجوارى بصيرين بالثقف وينتين ، فدخلنا على الربيع بنت معوذ ، فذكرنا لها ذلك ، فقالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عُرسي وعندي جاريتان تُمَبَّان وتُدَبَّان آبائي الذين قُتلوا يوم بدر ، وهولان فيما قولان : وفيما نجي يعلم ما في غد . فقال : "أما هذا فلا تهولوه لا يعلم ما في غد إلا الله عز وجل" . وعص عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا ، فنذرت

(١) التي في لحدوى : «دخل حين خلى على» .

(٢) التي في البخاري : «دعي هذه وقولي ما كنت تقولين» .

- جارية من قریش لئن رزقه الله تعالى أن تضرب في بيت عائشة بَدْف . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة أبنة فلان نذرت لئن رزقك الله تعالى أن تضرب في بيتي بَدْف ؛ قال : " فلتضرب " . قال أبو الفضل : وهذا إسناد متعسل ورجاله ثقات ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تذر في معصية الله " . فلو كان ضربُ الدف معصيةً لأمر بالكف عن نذرهما أو مَنَعهما من فعله . وروى عن الشعبي قال : مرَّ عياض الأشعري في يوم عيد فقال : مالي لا أراهم يُقَلِّسون فإنه من السنة ! . والثعلبي : الضرب بالدف . قاله هشيم .



- وأما ماورد في البراءة ، فقد احتجَّ بعضهم بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو ما أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سنده قال : حدثنا أحمد بن عبد الله القُداني ، حدثنا مسلم ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع ، قال : سمع ابن عمر رضي الله عنهما من ماراً ، فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق ، وقال لي : يا نافع ، هل تسمع شيئاً ؟ قلت لا . قال : فرفع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . قال أبو عبد الله التواتر : سمعت أبا داود يقول : هذا الحديث منكر . وقال الحافظ محمد بن طاهر : هذا حديث نرجه أبو داود في سنده هكذا وقد أنكره . وقد ورد من غير هذا الطريق أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع راحياً وذكراً . وفساد هذا الحديث من وجهين : أحدهما فساد طريق الإسناد ؛ فإن سليمان هذا هو الأشدق الدمشقي تكلم فيه أهل النقل وتنفرد بهذا الحديث عن نافع ولم يرو عنه غيره . وقال البحاري : سليمان بن موسى عسء ، ما كبر . والثاني

قول عبد الله بن عمر لنا مع رضى الله عنهم : أسمع؟ ولو كان ذلك منياً عنه لم يأمره بالاستماع . وقوله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . ولو كان حراماً لنهاه عنه وصرح بتحريمه ؛ لأنه الشارع المأمور بالبيان . قالت عائشة رضى الله عنها : عَقْتُ عَلَى سَهْوَةٍ لِي سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَوْنَ وَجْهَهُ وَهَكَذَا . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحلف بأبائه فنهاه عن ذلك . ورأى يزيد بن طَخْفَةَ مضطجعا على بطنه فنهاه وقال : «هَذِهِ شَيْخَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» . وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يلحن ناقته ، فوقف فقال : «لَا يَتَّبِعُنَا مَلْعُونٌ» ؛ فَنَزَلَ عَنْهَا وَأَرْسَلَهَا . قال الحافظ المقدسى : وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال ، ثبت فساد هذا الحديث إسناداً ومثلاً .



وأما ما ورد في القصب والأوتار . ويقال له التغير ، ويقال له القطعلة أيضا . ولا فرق بينه وبين الأوتار ؛ إذ لم يوجد في إباحته وتحريمه أثر لا صحيح ولا سقيم . وإنما استباح المتقنمون آستماعه لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه ، وكان أصله الإباحة .

وأما الأوتار ، فالقول فيها القول في القصب ، لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها . وكل ما أوردوه في التحريم فغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يرد به أهل المدينة في إباحة سماعه . ومن الدليل على إباحته أن إبراهيم بن

(١) السهوة : سعة تكون قدام فاه البيت ربما أحاطت بالبيت شبه سور حول البيت . وقيل هوشية

(٢) نطق يوحى به الشيء . (من لسان العرعر) .

في الأصل : « لا صحيفا ولا سقيا »



- سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مع جلالة وقته وحقه كان يُفتي بحله ، وقد ضرب بالعود - وسنذكر خبره في ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى - ولم تسقط عدالة بفعله عند أهل العلم ، فكيف تسقط عدالة المستمع ! وكان يبالغ في هذا الأمر أتم مبالغة . وقد أجمعت الأئمة على عدالته وأحق البطلان ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح ؛ وقد طُلم من مذهبه إباحة سماع الأوثار . والأئمة الذين رَووا عنه أهل الحل والعقد في الآفاق إنما سمعوا منه ورووا عنه بعد استماعهم غناء وعليهم أنه يُدبِّعُه ، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ، سمع منه ببغداد بعد حلفه أنه لا يَحْتَك حديثاً إلا بعد أن يُفتي على عود ، وذلك أنه لا شك سمع غناءه ثم سمع حديثه . قال : وهذا أمر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا تحريمه نص يُرجع إليه ، فكان حكمه حكم الإباحة . وإنما تركه مَنْ تركه من المتكلمين تَوَرَّعاً كما تركوا لَيْسَ الْإِنِّ وأكل الطيب وشرب البارد والاجتماع بالنسوان الحسنان ؛ ومعلوم أن هذا كله حلال . وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الضَّب وسئل عنه أحرام هو ؟ قال : " لا ولكن لم يكن بأرضي قومي فأجذني أعاقه " وأكل كل ما مأكده صلى الله عليه وسلم . وقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : إذا رأيت أهل المدينة اجتمعوا على شيء فاعلم أنه سنة .
- وقد روى عن محمد بن سيرين رحمه الله أنه رجلا قديم المدينة بمجوار ، قُتِل على ابن عمر وفيه جارية تضرب ؛ فجاء رجل فساومه فلم يؤمنه شيئا . فقال : انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيما من هذا ؛ فأتى إلى عبد الله بن جعفر فصرَّه عليه ؛ فأمر جارية قال : خذي ، فأخذت العود حتى ظنَّ ابن عمر أنه قد نظر إلى ذلك ؛ فقال ابن عمر : حسبك سائر اليوم من مزموذ الشيطان ، قال : فبأيه . ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني عُفْتُ بسبعائة درهم . فأتى

أبن عمر إلى ابن جعفر فقال : إنه قد تُبِنَ بسبعمائة درهم ، فلما أن نُعطيها إياه وإتيا أن ترد عليه بيعه ؛ فقال : مل نعطيا إياه . وهذه الحكاية ذكرها أبو محمد بن حزم وأستدل بها على إباحته فقال : فهذا عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد سمعا الفناء بالعود ، وإن كان ابن عمر كره ما ليس من الحسد فلم يَنه عنه ، وقد سفر في بيع مَشْنِيَةٍ كما ترى ، ولو كان حراما ما آستجاز ذلك أصلا .



وأما ما ورد في المزامير والملاهي ، قال الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي : وأما القول في المزامير والملاهي ، فقد وردت الأحاديث الصحيحة يجرأ استماعها . فمن ذلك ما رواه بسند رفيع إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما هممتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين كل ذلك يحول الله عز وجل بيني وبين ما أريده من ذلك ثم ما هممتُ بعد ما بشيء حتى أكرمني الله برسائه فإني قلت لعلام من قريش ليلة وكان يرعى معي في أعلى مكة لو أنك أبصرت غنمي حتى أدخل مكة فاستمر بها كما يستمر الشباب قال أفعل . فخرجت أريد ذلك حتى جئت أول دار من ديار مكة سمعت عزفاً بالدخول والمزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان تزوج فلانة بنت فلان فقلت أنظر إليهم ففرض الله عز وجل على أذني فسمت ما أيقظني إلا مسّ الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال ماذا فعلت قلت ما صنعت شيئا ثم حبرته الخبر [ فقال ] ثم قلت له ليلة أخرى مثل

(١) سفر : سعى وتوسط ، ومنه السير وهو الرسول المصلح بين القوم . وفي باب البيع من كتاب

المحل لابن حزم : وسعى في بيع مَقِيَةٍ .

(٢) هذه الكلمة وردت هكذا بالأصل ، وسياق الكلام لا يقتضيا .

- ذلك فقال أفعل فخرجت حتى دخلت مكة فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت تلك الليلة فسالت عنه فقالوا فلان نكح فلانة فجلست أنظر فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مسّ الشمس فخرجت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسائه . قال الحافظ أبو الفضل :
- وكان هذا قبل النبوة والرسالة ونزول الأحكام والفرق بين الحلال والحرام؛ فإن الشرع لما ورد أمره الله تعالى بالإبلاغ والإنذار فأقره على ما كان عليه في الجاهلية ولم يحرّمه كما حرّم غيره . قال : والدليل على أنه باق على الإباحة قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفُوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . ثم بين الدليل على ذلك بما رواه بسنده إلى جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً، ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً، يخطب خطبتين . فكانت الجوارى إذا أنكحوهن يمتنون فيصرون بالدف والمزاير فيستلنّ الناس ويدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً، فعاتبهم الله عز وجل بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفُوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْكَ قَائِمًا ﴾ . وقال :
- هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في كتابه عن عبد الله بن حميد عن خالد بن محمد عن سليمان بن بلال . والله عز وجل عطف اللهو على التجارة وحكم المعطوف حكمه ١٥
- ما عطف عليه ، والإجماع على تحليل التجارة، فثبت أن هذا الحكم بما أقره الشرع على ما كان عليه في الجاهلية لأنه غير محتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّمه، ثم يتركه على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم خرج ينظر إليه ويستمع . ولم يزل في تحريره آية ولا سن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة، فعلمنا بذلك ما على حاله .
- ٢٠

قال: ويزيد ذلك بيانا ووضوحا حليت عائشة رضي الله عنها في المرأة التي زكها وقد تهنم ذكر الحديث . وروى أيضا بسند رفته عن زوج دُرّة بنت أبي لهب قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجت دُرّة فقال : "هل من لهو" .

ذكر ما ورد في توهين ما استدلوا به على تحريم الغناء والسماع

قد ذكر الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدلوا بها على تحريمه وفسروا بها الآيات والأحاديث التي استدلوا بها على تحريمه مما قلتمنا ذكر ذلك في مجملهم وما لم نذكره مما يستدل به على تحريمه وكرهه وضمف رجالها . وتكلم الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أيضا في ذلك ووهن احتجاجهم إذا ثبت الحديث على ما نذكر ذلك .

قال الحافظ أبو الفضل :

أما ما احتجوا به من الآيات في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يُضِرُّ عِلْمَ ۝ ﴾ الآية . وما أورده في ذلك من الأسانيد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فنظرت في جميعها فلم أر فيها طريقا يثبت ، لا واحدا منهم رواد يوسف بن موسى القطان عن جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : الغناء وأشباهه . وسائر ما لا يخلو من رواية ضعيف لا تقوم بروايته حجة .

قال . ورأيت في بعضها رواية عطية التوفي عن أن عباس من حديث غير ثابت أصلا ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : باطل الحديث وهو الغناء

ونحوه ؛ وهو أن رجلا من قريش اشترى جارية مغتبية فزلت فيه . قال : وهذا وإن لم يصحّ عندى الاحتجاج بسندهم فيلزمهم قبوله لأنهم احتجوا به فيكون في حقّ هذا الرجل بعينه .

- وقد ورد في الآية تفسير ثالث يلزمهم قبوله على أصلهم ، وذكر حديثا رفعه إلى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) "اللعب والباطل وتشتت نفسه أن يتصلّق بدهم" . قال : وهذا أيضا غير ثابت عندى وإنما أوردت هذين التفسيرين مناقضة لما أوردوه فيها تمسكوا به .

- قال : ولن أركن إلى هذا أبدا ولا أقنع به ولا أحتجّ عليه ولا ألزمهم إياه ، بل أقول صحّ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إجماع أهل السنة على أن السنة تقضى على الكتاب ، وأن الكتاب لا يقضى على السنة ، وقد جاءت السنة الصحيحة : أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع للفناء وأمر باستماعه ، وقد أوردنا في ذلك من الأحاديث ما تقدم إيراد . قال : وجواب ثانٍ يقال لهؤلاء القوم المحتجين بهذه التفاسير : هل علم هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم من هذه الآية ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمه ؟ فإن قالوا : لم يعلمه وعليه هؤلاء ، كان جهلا عظيما بل كفرا . وإن قالوا : علمه ، قلنا : نضلّ إليا عنه في تفسير هذه الآية مثل ما نُقل عن هؤلاء من الصعابة ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال . ومن المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) هو الفناء . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما كان معكّن لهو فإن الأنصار يعجبهم الله» .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ثلاثة ليس لها أصل : المغازی ، والملاحم ، والتفسير .

وقال أبو حاتم محمد بن حسان في كتاب الضعفاء : الله عز وجل يؤتي رسوله صلى الله عليه وسلم تفسير كلامه وتأويل ما أنزل عليه حيث قال : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

ومن الغلّ المحال أن يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين خلقه مراده حيث جعله موضع الإبانة عن كلامه ومفسراً لم يحم حتى يفهموا مراد الله عز وجل فلا يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل أبان مراد الله عز وجل من الآي وفسر لأئمة ، ما تهم الحاجة إليه ، وبين سنته صلى الله عليه وسلم . فن تتبع السنن وحفظها وأحكمها فقد عرف تفسير كتاب الله عز وجل وأعاناه الله تعالى عن الكلبي وفويه ، وما لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة في معاني الآي التي أنزلت عليه مع أمر الله عز وجل له بذلك وجاز ذلك كان لمن بعده من أئمة أجوز ، وترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرى .

قال : ومن أعظم الدلائل على أن الله تعالى لم يرد بقوله : ﴿ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ القرآن كله أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه من الكتاب متشابه من الآي . فالآيات التي ليس فيها أحكام لم يبين كيفيتها لأئمة . فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دل ذلك على أن المراد من قوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ كان بعض القرآن لا الكل .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في هذه الآية : وأما شراء هو الحديث بالدين أمتهدالا به ليضلل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم ، وليس التزاع فيه .

وليس كل غناء بدلا عن الدين المشتري به وميضاً عن سبيل الله وهو المراد في الآية، ولو قرأ القرآن : ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المواقين : أنه كان يؤتم الناس ولا يقرأ إلا سورة " عبس " لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله [ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال<sup>(١)</sup>] فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

وقال الثعلبي في أحد أقواله عن تفسير هذه الآية عن الكلبي ومقاتيل : نزلت في النضير بن الحارث بن عثمة بن كلفة بن عبد الوار بن قصى ، كان يقبر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيروها ويحلت بها قريشا ويقول : إن محمدا يحدنكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدنكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة يستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن .

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ قال ابن عباس : هو الغناء بلغة حمير ، يسمى - السود - قال الغزالي رحمه الله : فتقول ينبغي أن يحمره الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشتمل عليه ، فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى : ﴿ وَالْأَشْعَرَاءُ يَبْعُهُمْ آفَاوُونَ ﴾ وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه .

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ مَعْزُوتُونَ ﴾ . قال الثعلبي : قال الحسن ، عن المعاصي . وقال ابن عباس : الحلف الكاذب . وقال مقاتيل :

الشم والأذى . وقال غيرهم : مالا يحمل من القول والفعل . قال : وقيل اللغو الذى لا فائدة فيه .

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . قال الثعلبي : أى القبيح من القول . وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . قال مقاتل : إذا سمعوا من الكفار الشم والأذى أعرضوا وصفحوا ، وبقوله : ﴿ وَاسْتَفِزُّنَا مِنْ أَسْطَفَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : بدطائك إلى معصية الله تعالى . وكلّ داع إلى معصية الله تعالى فهو من جنود إبليس .

وأما ما أحتجوا به من الحديث فإنهم أحتجوا بحديث روى عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحمل بيع المغنيات ولا شراهن ولا تحمل التجارة فيهن وأثمانهن حرام والاستماع إليهن حرام » . قال الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله : هذا حديث رواه عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ، قال : والصحابة كلهم مدول . وأما عبيد الله بن زحر وعلي والقاسم فهم فى الرواية سواء لا يحتاج بحديث واحد منهم إذا انفرد الرواية عن ثقة فكيف إذا روى عن مثله . أما عبيد الله بن زحر فيقال : إيه من أهل مصر . قال أبو مسهر الفسافي : عبيد الله بن زحر صاحب كلّ معضلة ليس على حديثه اعتماد . وقال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معيين : عبيد الله ابن زحر كيف حديثه ؟ قال : كل حديثه ضعيف ، قلت : عن علي بن يزيد وغيره ؟ قال نعم . وقال عباس الدوري عن يحيى : عبيد الله بن زحر ليس بشيء . وقال أبو حاتم فى كتاب الصغفاء والمتروكين : عبيد الله بن زحر منكر الحديث جدًا ، روى الموضوعات عن الثقات وإذا روى عن علي بن يزيد آتى بالظلمات ، وإذا اجتمع



فى إسناده عبيد الله بن زحرو على بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لا يكون متناً ذلك الحديث إلا بما عملت أيديهم فلا يحل الاحتجاج بهذه الصحيحة .

قال المقدسى : وهذا الحديث قد اجتمعوا فى إسناده، قال : وأما على بن يزيد فهو من أهل دمشق يكنى بأبى عبد الملك روى عن القاسم قال النسائي فى كتاب الضعفاء : على بن يزيد متروك الحديث . وقال أبو عبد الرحمن بن حبان : على بن يزيد مطروح منكر الحديث جداً . وأما القاسم بن عبد الرحمن ويكنى بأبى عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : القاسم بن عبد الرحمن لا يسوى شيئا . وقال أحمد بن حنبل ، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية فقال : منكر الحديث . وقال أبو حاتم بن حسان : القاسم يروى عنه أهل الشام، كان يروى عن الصحابة المصطلات ويأتى عن الثقات بالأسانيد المقلوبات، حتى كان يسبق إلى القلب أنه المتمد لها .

قال المقدسى : فهذا شرح أحوال رواة الحديث الذى احتجوا به فى التحريم، هل تجوز روايته كما ذكره الأئمة حتى يستدل به فى التحليل والتحريم .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أمرنى ربى عز وجل بنفى الطنبور والمزمار» وهو حديث رواه إبراهيم بن اليسع بن الأشعث المكي وإسماعيل بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها . وإبراهيم هذا — قال البخارى — : منكر الحديث . وقال النسائي : المكي ضعيف .

وأحتجوا بما روى عن على رضى الله عنه أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدف ونعب الصنج وصوت الزمارة، وهو حديث رواه عبد الله بن ميمون عن مطر بن سالم عن على : قال : وعبد الله هو القنحاح ظاهر الحديث، ومطر هذا شبه المجهول .

وَأَحْتَجُّوا بِمَا رَوَى مِنْ حَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُنْيَاتِ وَالنَّوَاحَاتِ وَعَنْ شِرَائِمَ وَبَيْمَعٍ وَالتَّجَارَةِ فِيهِنَّ وَقَالَ : «كَسْبُ حَرَامٍ» . قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الصَّدَائِقِيُّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ نَبَّانٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّمِيِّ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ حَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَالْحَارِثُ بْنُ نَبَّانٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ قَالَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : الْحَارِثُ مِنْكَرُ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : الْحَارِثُ رَجُلٌ صَالِحٌ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْحَدِيثَ وَلَا يَحْفَظُهُ ، مِنْكَرُ الْحَدِيثِ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : الْحَارِثُ بْنُ نَبَّانٍ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّمِيِّ وَضِيْرُهُ وَلَا رَوَاهُ عَنْهُ غَيْرُ حَلَّى بْنِ يَزِيدَ الصَّدَائِقِيِّ . وَعَلَى هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَدِيِّ : أَحَادِيثُهُ لَا تُشَبَّهُ أَحَادِيثَ الثَّقَاتِ . وَالْحَارِثُ الَّذِي رَوَى عَنْ حَلَّى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زُهَيْرٍ الْحَارِثِيُّ الْأَعْمُورُ ، أَجْمَعَ أَهْلُ الثَّقَلِ عَلَى كَذِبِهِ ، وَالْجَمَلُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَلَّى الْحَارِثُ بْنُ نَبَّانٍ وَإِنْ كَانَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الضَّعْفَاءِ غَيْرُهُ .



وَأَحْتَجُّوا بِمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ صَوْتُ مِزْمَارٍ عِنْدَ نَعْمَةٍ وَصَوْتُ نُدْبَةٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ» <sup>(١)</sup> وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ هَذَا هُوَ الطَّحْطَانُ الْيَشْكُرِيُّ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْهُ فَقَالَ : أَعْمُورٌ كَذَّابٌ خِيَتْ يَضَعُ الْحَدِيثَ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ :

(١) كذا في أسباب السماع وتهديب التهذيب لأن همر السقلاقي . والحارثي بكسر الراء وبفتحها . نسبة إلى حارث بن مهران . وفي الأصل : «الحارثي» وهو خطأ .

(٢) في الجامع الصغير : «رقة» .

أجمع الناس على طريح هؤلاء النفر لا يمتد بهم ، منهم محمد بن زياد . وكان أبو يوسف الصِّدْلَانِي يقول : قدم محمد بن زياد الرِّقَّةَ بعد موت ميون بن مهران .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ ذَكَرَ خُسْفًا وَمُسْخَا وَقَدْ ظَنَّا بِكَوْنِهِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : ” نَمَّ إِذَا أَظْهَرُوا النَّرْدَ وَالْمَعَايِفَ وَشَرِبَ الْخُسُوفَ وَلَبَسَ الْحَرِيرَ “ قَالَ : ٥ وهذا حديث رواه عثمان بن مَطَرٍ عَنْ عَبْدِ الْغَفُورِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَعثمان هو الشَّيْبَانِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَكَانَ ضَرِيرًا . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مَتْرُوكٌ الْحَدِيثُ .

- وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” بَغْنَى رَبِّي ١٠ عَزَّ وَجَلَّ بِحَقِّ الْمَزَامِيرِ وَالْمَعَاظِفِ وَالْأَوْتَانِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْحَرِّ وَأَقْسَمَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِعِزَّتِهِ أَلَّا يُشْرِبَهَا عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا “ الْحَدِيثُ . قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقُرَاتِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّمِيِّ عَنْ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقُرَاتِ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : هَذَا شَيْخٌ كَذَّابٌ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ الدَّسَاتِيُّ : مَتْرُوكٌ . ١٥ وقد تقدّم ذكر السَّيِّمِيِّ وَالْحَارِثِ الْأَعْوَرِ ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ عَلَيْهِ .

- وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْتَدًّا : ” إِنْ الْفِتْنَاءُ يُنْبِئُ التَّفَاقُّ فِي الْقُلُوبِ “ وَهُوَ حَدِيثٌ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ أَبُو أُسَيْدٍ عَمِيدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : لَيْسَ يَسَوِي حَدِيثُهُ شَيْئًا ، ٢٠

سمعت منه ثم تركاه وكان وليّ قضاء المدينة ، أحاديثه منكروكان كذاباً . قال النسائي : وهو متروك الحديث .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مَنْ أَسْمَعَ إِلَى قِيَانٍ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْآثَمُ"<sup>(١)</sup> وهو حديث رواه أبو نعيم الحليّ عن عبد الله بن المنذر عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . وأبو نعيم اسمه عبيد بن هشام<sup>(٢)</sup> من أهل حلب ضعيف ولم يبلغ عن ابن المبارك . مرسل .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لَعَنَ اللَّهُ النَّاسَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ وَالْمَغْنَى وَالْمَغْنَى لَهُ" وهو حديث رواه عمرو بن يزيد المدائنيّ عن الحسن البصريّ عن أبي هريرة ، وعمرو هذا قال أبو أحمد بن عديّ : منكر الحديث ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئا . وقال ابن عديّ : هذا الحديث غير محفوظ .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "النَّظَرُ إِلَى الْمَغْنَةِ حَرَامٌ وَغِنَاؤُهَا حَرَامٌ وَثَمْنُهَا حَرَامٌ" وهو حديث يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل<sup>(٣)</sup> النوفليّ المدني عن يزيد بن خُصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي

(١) الآثَمُ : الرصاص ، ولم يحج من أفضل مفردا غير هذا .

(٢) كذا في تهذيب التهذيب وقريب التهذيب وتذويب التهذيب . وفي الأصل : «عبد بن محمد» .

(٣) في تهذيب التهذيب : أن أبا نعيم حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها ثم قال بعد أن أورد الحديث المروي به بالأصل : قال الدارقطنيّ : تفرد به أبو نعيم ولا يثبت هذا عن مالك ولا عن ابن المنكدر .

(٤) هو أبو أحمد عبد الله بن عديّ بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عديّ الجرجانيّ الحافظ المتوفى سنة ٣٦٥ هـ مؤلف كتاب «الكامل في معرفة ضعفاء المحققين وطلّ الحديث» في ستين جزءا وهو أكبر كتب الجرح والتعديل وعلية اعتماد الأئمة . ويوجد منه أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية .

(٥) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر . وفي الأصل : «المدنيّ» .

الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويزيد الأول قال النسائي : متروك الحديث . وقال أحمد بن حنبل : عنده منكر . وقال يحيى بن معين : يزيد بن عبد الملك ليس بذلك .

وأحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ فيها البلاء " وذكرها وقال في جملتها : " وأتخذت القيان والمعازف " ، وهو حديث رواه فرج بن فضالة الشيباني من أهل يمن عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال عبد الرحمن بن مهدي : أحاديث الفرج عن يحيى بن سعيد متكرة . وقال يحيى بن معين : فرج ضعيف . وقال أبو حاتم بن حسان : فرج بن فضالة كان يقبل الأحاديث الصحيحة ويلصق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لا يحل الاحتجاج به .

وأحتجوا بحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الرحمن فذكر حديثاً قال فيه : " نُهِيتُ عن صوتين أحمرين فأجرين صوت عند مصيبة وصوت عند نعمة لب ولبو ومزامير الشيطان " وهذا حديث رواه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء عن جابر ، وأنكر عليه هذا الحديث وضعف لأجله . قال أبو حاتم بن حسان : كان ردى الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ يروى الشيء على وجه الوهم ويستحق الترك . وتركه أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين .

(١) هو أبو حاتم محمد بن حسان مؤلف كتاب الضعفاء والمتروكين وقد مرّ ذكره في ص ١٧٦

و ١٧٨ من هذا الجزء .

وَأَحْتَجَّجُوا بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «انْظُرُوا مَنْ هَذَا» فَانْظَرُوا  
فَإِذَا مَعَاوِيَةُ وَعُمَرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطَّابِ . الْحَدِيثُ ، وَفِيهِ : «اللَّهُمَّ أَرِكُنْهُمَا فِي النَّفْتَةِ رَكْنًا»  
وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ يُزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ  
الْأَسْلَمِيِّ . وَيُزِيدُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ الْكَذْبَةُ يَلْقُونَهُ عَلَى وَفْقِ اعْتِقَادِهِمْ  
فَيَتَلَقَّاهَا وَيُحَدِّثُ بِهَا ضَعْفَةَ أَهْلِ الْقُلِّ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقِ آخَرٍ  
لَيْسَ فِيهِ مَعَاوِيَةُ هَذَا ، وَأَنَّهُ ابْنُ التَّائِبِوتِ<sup>(١)</sup> .

قَالَ الْمُقَلِّسِيُّ : وَلَمْ يَصِحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ  
إِلَّا تَقْبِيرَ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَ الْحَدِيثَ ، أَنَّ  
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَلْبٌ  
فِي مُتَخَذِي الْقِيَابِ» وَشَارِبِي الْخَمْرِ وَالْبَاسِ الْحَرِيرِ . وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ زِيَادُ بْنُ  
أَبِي زِيَادٍ الْجَحْصَاصُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَزِيَادُ  
هَذَا مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثٍ رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ مَاتَ وَلَهُ قَيْنَةٌ فَلَا تَصَلُّوا عَلَيْهِ» وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَى  
بِإِسْنَادٍ مَجْهُولٍ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مَصْعَبٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلِيٍّ .  
وَخَارِجَةُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ مَرْخَسَ .

(١) فِي الْأَمَلِ : «زِيَاد» . وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ .

(٢) كَذَا بِالْأَمَلِ وَلَمْ نَقْرَظْ فِيهِ أَيْدِيًا مِنْ كُتُبِ التَّرَاوِجِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَنْدِيِّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَسْرٍ صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بْنَ الْجَنْدِيِّ ، قُلْتَ : لَيْكَ يَا أَبَا صَفْوَانَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَيْسَ خَشَنٌ قَوْمٌ وَلَهُمْ لَقِي شَرِبَ الْخَمْرُ وَضُرِبَ الْمَعَاذِفَ حَتَّى يَكُونُوا قِرْدَةً أَوْ خَنَازِيرَ . وَالْحَدِيثُ مُوقُوفٌ وَأَبْنُ الْجَنْدِيِّ بِمَجْهُولٍ . وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ أَلَّا يَعْذِّبَ أُمَّتَهُ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَهَا فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُهُ ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ أُخْرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغْنِيَّاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا الْجُلُوسُ إِلَيْهِنَّ » ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا رَفَعَ رَجُلٌ عَقِيرَتَهُ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ شَيْطَانٌ <sup>(٢١)</sup> عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا وَشَيْطَانٌ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا حَتَّى يَسْكَتَ » وَهَذَا حَدِيثٌ قَدْ تَقَدَّمَ أَقْلُهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ رِوَايَةِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَلِيٍّ الدِّمَشْقِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ . وَمَسْلَمَةُ هَذَا ، قَالَ أَبُو مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مُتَكَرِّرٌ الْحَدِيثُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثِ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ رِوَايَةِ سَلَامٍ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ سَمِعَ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْإِنْسَاءُ يُبْهِتُ التَّفَاقُقَ فِي الْقَلْبِ » هَكَذَا رَوَاهُ سَلَامٌ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولٍ لَا يُعْرَفُ . وَرَوَاهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَقَوْلُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَذَا فِي أَسَدِ النَّافَةِ فِي سَرِقَةِ الصَّحَابَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « بَشَرٌ » وَهُوَ خُصْمٌ لِأَنَّ لَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ عَدَدِ اللَّهِ بْنِ بَشَرٍ بِالثَّانِيَةِ . كَذَا فِي تَرْجُومَةِ الْإِحْيَاءِ لِلْسَّيِّدِ مَرْتَضَى . وَفِي الْأَصُولِ : « إِلَّا أَرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ جُلُوسُ شَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ » . كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَلَيْلِ الْأَصْلِ : « مِنْ قَوْلِهِ » .

الله عليه وسلم . ورواه الثقات عن شعبة بن الحجاج عن مغيرة عن إبراهيم ، قوله ،  
ولم يذكر أحدا تقدمه فيه وهذا أصح الأقاويل فيه من قول إبراهيم . قال الغزالي  
رحمه الله تعالى : قول ابن مسعود : يُنْبِتُ النِّفَاقَ أَرَادَ بِهِ فِي حَقِّ الْمُنَى فَنَهَ  
فِي حَقِّهِ يَنْبِتُ النِّفَاقَ إِذْ غَرَضُهُ كُلُّهُ أَنْ يَعْضُ نَفْسَهُ عَلَى غَيْرِهِ وَيَرْجِعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ ،  
وَلَا يَزَالُ يَنْفِقُ وَيَتَوَقَّدُ إِلَى النَّاسِ لِيَرْضَوْا بِغَنَائِهِ ، وَذَلِكَ أَيْضًا لَا يُوْجِبُ تَحْرِيمًا ،  
فَإِنْ لَيْسَ الثِّيَابُ الْجَمِيلَةُ وَرُكُوبُ الْخَيْلِ الْمُهْمَلَجَةِ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ وَالْتِفَاحُ بِالْحَرِثِ  
وَالْأَنْصَامِ وَالزَّرْعُ يُنْبِتُ الرِّيَاءَ وَالنِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ وَلَا يُطْنَقُ الْقَوْلُ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ كُلِّهِ .  
فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط ، بل المباحات التي هي مواقع  
نظر الخلق أكثر تأيرا . ولذلك نزل ابن عمر رضي الله عنهما عن فرس مهلج نخسه  
وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا النفاق من المباحات .

وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثِ رُوِيَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ قُلُ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ عُمَرُو بْنُ قُرَّةَ فَقَالَ : يَا نَجِيَّ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ  
عَلَى الشَّقَوَةِ وَلَا أَرَانِي أُرْزَقُ إِلَّا مِنْ دَقِّ بَكْنَى أَفْتَاذَنْ لِي فِي الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ فَاحْشَةُ ؟  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا إِذَنْ وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَةً » وَذَكَرَ حَدِيثًا  
طَوِيلًا ، وَهُوَ حَدِيثُ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَرَمٍ الْقُصَيْمَانِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْعَلَاءِ  
عَنْ بَشْرِ بْنِ تُمَيْرٍ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ .  
وَيَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ هَذَا مَدَنِي الْأَصْلُ رَازِي . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : يَكْنَى أَبَا عَمْرٍو  
لَيْسَ بِثَقَّةٍ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الصَّبْرِيُّ : يَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) كذا في الأصول . ولعل الأصل : « من قوله » . (٢) في نسخة : « الأسانيد » .  
(٣) كذا بالأصول والمعروف أن عمر رضي الله عنه عند ما ذهب إلى الشام ركب برفدا مهلج به  
فزل عنه وضرب وجهه وقال له : لمن الله من طلك ذلك .  
(٤) في الأصل : « إلا دق » بدون من . والتصويب عن شرح الإحياء للسيد مرتضى .



وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ  
وَكَسْبِ الزَّقَاةِ ، وَهُوَ حَدِيثُ قَهْلَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّوْدِيِّ الْبَصْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ  
ابْنِ بَشْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَسُلَيْمَانَ هَذَا مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ غَيْرُ ثَقَّةٍ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِقَوْلِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَقَنَّنْتُ وَلَا تَمَنَّنْتُ <sup>(١)</sup> وَلَا مَسَسْتُ  
ذَكَرَى يَمْنَى مِنْذُ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ صَقْرُ بْنُ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَالِكِ بْنِ يَقُولٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ قُفْلٍ  
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي حَلِيتِ الثَّقَفِ وَالْمَبِيدِ .

❧

قال المقدسي : هَذَا حَدِيثٌ لَمْ أَرِ فِيهِ تَحْمِيلاً ، وَرَأَيْتُهُ ذَكَرَ مِنْ هَذَا أَشْبَاهَهُ لَمْ  
يَأْتِ بِهَا غَيْرُهُ تُوجِبُ تَرْكَ حَدِيثِهِ وَافَهُ أَهْلُ . وَقَالَ الْفَزَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَذَكَرَ  
هَذَا الْحَدِيثَ : قُلْنَا فَلَيْكِنِ التَّنْيَ وَمَسَّ الذِّكْرِ بِالْيَمِينِ حَرَامًا إِنْ كَانَ هَذَا دَلِيلَ تَحْرِيمِ  
الْفَتَاءِ ، فَمِنْ أَيْنَ ثَبِتَ أَنَّ عُمَانَ كَانَ لَا يَتْرُكُ إِلَّا الْحَرَامَ .

قال الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى : فهذه الأحاديث وأمثالها  
أَحْتَجَّجَ بِهَا مَنْ أَنْكَرَ السَّمَاعَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِصَنَاعَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَعْرِفَتِهِ ، فَقَرَأَ الْوَاحِدَ  
مِنْهُمْ إِذَا رَأَى حَدِيثًا مَكْتُوبًا فِي كِتَابٍ جَعَلَهُ لِنَفْسِهِ مَذْهَبًا وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى غُلَاظِهِ ،  
وَهَذَا ظُلْمٌ عَظِيمٌ بَلْ جَهْلٌ جَسِيمٌ . هَذَا مُلَخَّصُ مَا أوردته رحمه الله تعالى وفيه من  
الزِّيَادَاتِ مَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الثُّعْلَانِيِّ وَالْفَزَائِيِّ عَلَى مَا يَتَبَيَّنُ فِي مَوَاضِعِهِ .

وقد تكلم الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الْفَزَائِيُّ الطُّوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
عَلَى السَّمَاعِ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ بِـ "إَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ" وَيَبِينُ دَلِيلَ الْإِبَاحَةِ وَذَكَرَ بَعْدَ  
ذَلِكَ آدَابَ السَّمَاعِ وَأَثَرَهُ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ فَقَالَ :

٢٠ (١) أَيْ مَا كَلَبْتُ . وَالصَّحِيحُ : الْكَلْبُ مَنْ مَنَى يَنْ إِذَا قَدَّرَ لِأَنَّ الْكَاذِبَ يَسْتَعْرِفُ فِي قَهْلِهِ الْحَدِيثَ  
ثُمَّ يَقُولُهُ (انظر السان مادة منى) .

اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويُجر السماع حالاً في القلب تسمى الوجد  
ويُجر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما  
موزونة فتسمى التصفيق والرقص. ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر  
ما تمسك به القائلون بتحريمه وأجاب عن ذلك بما نذكره أو غنصره إن شاء الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى : قل أبو طالب المكيّ إباحة السماع عن جماعة وقال :  
سميع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وأبن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية  
وغيرهم . وقد فصل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي . قال : ولم يزل المجازيون  
عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام للملحودات التي أمر الله  
عز وجلّ عباده فيها بذكره كأيام التشريق . ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على  
السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يُسمعون [الناس] <sup>(١)</sup> التسميع  
قد أعدت للصوفية . قال : وكان لمطاء جاريّتان تُلحّتان وكان إخوانه يستمعون  
إليهما . قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم : كيف تُكر السماع وقد كان الجُنيد  
وميرى السَّقِطِيّ وذو النون يسمعون ! فقال : كيف أنكر السماع وأجازه وسمعه من  
هو خير مني . وقد كان عبد الله بن جعفر الطيّار يسمع . وإنما أنكر اللهو واللعب  
في السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : قدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها تزداد  
إلا قلة : حسن الوجه مع الصيابة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء  
مع الوفاء .

قال الغزاليّ : ورأيت في بعض الكتب هذا بيته محكما عن الحاسبيّ وفيه  
ما يدلّ على تجويزه السماع مع زهده وتصابونه وجده في الدين وتسميره .

(١) الزيادة عن الإجماع .

وحكى عن مِشَادِ الدِّينَوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ قَعَلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ تَتَكْرَمُنْ هَذَا السَّمَاعَ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : «مَا أَفْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَكِنْ قُلْ لَمْ يَفْتَحُوا قَبْلَهُ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَمُونَ بِهِ بِالْقُرْآنِ» . قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَعَنْ أَبِي جُرَيْجٍ أَنَّهُ كَانَ يَرْخُصُ فِي السَّمَاعِ قَبِيلَ لَهُ : تَهْدِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ حَسَنَاتِكَ أَوْ سَيِّئَاتِكَ ؟ فَقَالَ : لَا فِي الْحَسَنَاتِ وَلَا فِي السَّيِّئَاتِ لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِالْفُتُو ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِتْنَةِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ ، ثُمَّ يَسَّ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الدَّلِيلَ عَلَى إِباحَةِ السَّمَاعِ فَقَالَ : اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : السَّمَاعُ حَرَامٌ ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَاقِبُ عَلَيْهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُعْرَفُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ بَلْ بِالسَّمْعِ ، وَمَعْرِفَةِ الشَّرْعِيَّاتِ مَحْصُورَةٌ فِي النَّصِّ أَوْ الْقِيَاسِ عَلَى الْمَنْصُوصِ . قَالَ : وَأَعْنَى بِالنَّصِّ مَا أَظْهَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، وَبِالْقِيَاسِ الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ مِنْ أَفْظَاظِهِ وَأَصَالِهِ ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَصٌّ وَلَمْ يَسْتَمِمْ فِيهِ قِيَاسٌ عَلَى مَنْصُوصٍ بِطَلِّ الْقَوْلِ بِتَحْرِيمِهِ وَيَبْقَى فَصْلًا لَا حَرْجَ فِيهِ كَسَائِرِ الْمُبَاحَاتِ ، وَلَا يَنْدَلُّ عَلَى تَحْرِيمِ السَّمَاعِ نَصٌّ وَلَا قِيَاسٌ . قَالَ : وَقَدْ دَلَّ الْقِيَاسُ وَالنَّصُّ جَمِيعًا عَلَى إِباحَةِ السَّمَاعِ .

أما القياس فهو أن الغناء أجمع فيه معانٍ ينبغي أن يُبَيَّنَّ عَنْ أَفْرَادِهَا ثُمَّ عَنْ جَمْعِهَا فَإِنَّ فِيهِ سَمَاعَ صَوْتِ طَيْبٍ موزون مفهوم المعنى محمَّكٌ للقلب . فالوصف ١٥ الأعم أنه صوتٌ طيبٌ ، ثُمَّ الطيبُ يَقُصَّمُ إِلَى الْموزونِ وَخِيزِهِ . وَالْموزونُ يَقُصَّمُ إِلَى الْمَفْهُومِ كَالْأَشْعَارِ ، وَإِلَى غَيْرِ الْمَفْهُومِ كَأَصْوَاتِ الْجَمَادَاتِ وَأَصْوَاتِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ . أما سَمَاعُ الصَّوْتِ الطَّيِّبِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ طَيْبٌ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَرَّمَ بَلْ هُوَ حَلَالٌ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ .

أما القياس فإنه يَرْجِعُ إِلَى تَلَذُّذِ حَاسَةِ السَّمْعِ بِإِدْرَاكِ مَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِ . ٢٠ وَلِلْإِنْسَانِ عَقْلٌ وَنَمَسٌ حَوَاسٍ وَلِكُلِّ حَاسَةٍ إِدْرَاكٌ . وَفِي مُدْرَكَاتِ تِلْكَ الْحَاسَةِ

ما يُستَلَذَّ . فَلَئِنَّ البَصَرَ في المَبْصَرَاتِ الجَمِيلَةِ كَالْمُخَضَّرَةِ والمَاءِ الجَارِي والوَجْهَ الحَسَنَ  
وسائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يُكْرَهُ من الألوان الكدرَةِ القبيحة . ولتَمَّ الرِّبَاطُ  
الطَّيِّبَةُ وهي في مقابلة الأتَانِ المستَكْرَهَةِ . ولِلذُّوقِ الطَّعُومَ اللَّذِيذَةَ كَالنُّسُومَةِ والحَلَاوَةِ  
والمُخَوِّضَةِ وهي في مقابلة المَرَارَةِ والمُرَّازَةِ المُسْتَشْعَةِ . وَلِللِّسَانِ لَذَّةَ اللَّيْنِ والعُومَةَ والمَلَّاسَةَ  
وهي في مقابلة الخَشُونَةِ والضَّرَاسَةَ . وَلِلْعَقْلِ لَذَّةَ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ وهي في مقابلة الجَهْلِ  
والبَلَادَةِ . فَكَذَلِكَ الأصْوَاتُ المدْرَكَةُ بِالسَّمْعِ تنقسم إلى مُسْتَلَذَّةٍ كَصَوْتِ المُنْتَهِلِ  
والمُزَامِيرِ ، وَمُسْتَكْرَهَةٍ كَنَهْيِ الحُرِّ وغيرِهَا ، فَمَا أَظْهَرَ قِيَاسَ هَذِهِ الحَاسَةِ وَلَدَّتْهَا عَلَى سَائِرِ  
الْحَوَاسِ وَلَدَاتِهَا .

وأما النَّصُّ فَبَدَّلَ عَلَى إِبَاحَةِ سَمَاعِ الصَّوْتِ الحَسَنِ أَمْتَانِ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ بِهِ إِذْ قَالَ  
تَعَالَى : ( يَزِيدُ فِي آخِلَاتِي مَا يَشَاءُ ) قَبِيلٌ : هُوَ حَسَنُ الصَّوْتِ . وَفِي الْحَدِيثِ :  
” مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا أَحْسَنَ الصَّوْتِ ” . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” تَقِيَّةُ  
أَشَدُّ أَذًا لِلرَّجُلِ الحَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقِيَّةِ إِلَى قِيَّتِهِ ” وَفِي الْحَدِيثِ  
فِي مَعْرِضِ المَدْحِ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ فِي النِّيَاحَةِ عَلَى نَفْسِهِ  
وَفِي تِلَاوَةِ الزُّبُورِ حَتَّى كَانَ يَجْتَمِعُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرِ لِسَمَاعِ صَوْتِهِ ، وَكَانَ  
يُحْمَلُ مِنْ مَجْلِسِهِ أَرْبَعَةُ جَنَازَةٍ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْأَوْقَاتِ ” . وَقَالَ رَسُولُ  
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَدْحِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ : ” لَقَدْ أُعْطِيَ مِنْ مَرَامًا مِنْ  
مَرَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ” وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِنَّ أَكْرَأَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْجَبْرِ ) يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ  
عَلَى مَدْحِ الصَّوْتِ الحَسَنِ . وَلَوْ جَازَ أَنْ يَقَالَ : إِنَّمَا أُبَيِّحُ ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ  
فِي الْقُرْآنِ لَلزَمَهُ أَنْ يُحَرِّمَ سَمَاعَ صَوْتِ التَّنْبِيلِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِقُرْآنٍ . وَإِذَا جَازَ سَمَاعُ  
صَوْتِ خُفْلٍ لَا مَعْنَى لَهُ ، فَلَمْ لَا يَحْجُزْ سَمَاعُ صَوْتِ بَعْضِهِمْ مِنْهُ الْحِكْمَةُ وَالْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ !  
وَإِنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ . قَالَ : فَهَذَا نَظَرٌ فِي الصَّوْتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ طَيِّبٌ حَسَنٌ .

- الدرجة الثانية : النظر في الصوت الطَّيِّب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ،  
فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب .  
والأصوات الموزونة بأخبار خارجها ثلاثة ، فإنها إما أن تكون من جماد كصوت  
المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره . وإما أن تخرج من حنجرة حيوان  
وذلك الحيوان إما إنسان وإما غيره . فصوتُ التَّادِل والتَّامَّارِ وذوات السَّجْع من  
الطيور مع طيها موزونة متاسبة المطالع والمقاطع فذلك يُستلذَّ سَمَاعُهَا . والأصل  
في الأصوات حناجر الحيوانات . وإِذَا وُضعت المزامير على صورة الحناجر وهي  
تشبه الصَّنعة بالخَلقة . وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره  
إلا وله مثال في الخلقة التي آتتْها تعالى بأحترافها ، منه تعلمُ الصَّنَاع وبه قصدوا  
الاقتداء . فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب  
إلى تحريم صوت التندليب وسائر الطيور . ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين  
جماد وحيوان . فينبغي أن يُقاس على صوت التندليب الأصوات الخارجة من سائر  
الأجسام بأختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والنفث  
وغيره . ولا يستثنى من هذا إلا الملامى والأوتار والمزامير ، إذ ورد الشرع بالمنع  
منها لا لأنها إذ لو كان للثة تقبض عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكن حُرِّمت الخمر  
وأقضت ضرأوة الناس بها المبالغة في القطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى  
كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط . وكان  
تحريمه من قبيل الإبتاع كما حُرِّمت الخلوة لأنها مقسمة الجماع . وحرم النظر إلى الفخذ

(١) في نسخة من كتاب الإحياء : « على صوت » .

(٢) الضراوة : الاحتياط لها والاجترأ طيها .

(٣) كذا بالأصل . وفي الإحياء للفرال : « الخلوة بالأجنية » .

لا اتصاله بالسواكين . وحرم قليل الخمر وإن كان لا يُسْكِرُ لأنه يدعو إلى المسكر .  
وما من حرام إلا وله حرم يُطَيَّفُ به . وحكم الخمرية ينسحب على حريمه ليكون  
حِمَىً للحرام ووقاية له وحِظًّا<sup>(١)</sup> مانعاً حوله كما قال صلى الله عليه وسلم : «إِنْ لِكُلِّ  
مَلِكٍ حِمَىً وَإِنْ حِمَى اللَّهِ حِمَايُمُهُ» فهي محزمة تبعاً لتحريم الخمر .

الدرجة الثالثة : الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة  
الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً . والكلام المفهوم غير  
حرام . والصوت الطيب الموزون غير حرام . فإذا لم يحرم الآحاد فن أين يحرم  
المجموع ؟ نعم يُنظر فيما يُفهم منه ، وإن كان فيه أمر محظور جرم ثمرة ونظمه وحرم  
التصويت به سواء كان بالحن أو لم يكن .

والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال : الشعر كلامٌ حسنٌ وقيمه  
قيج . وهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت والحن جاز مع الأحن . فإن أورد  
المباحات إذا اجتمعت كان مباحاً ، ومهما انضم مباحٌ إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن  
المجموع محظوراً لا تضمنته الآحاد ، ولا محظوراهنا . وكيف يُنكر إنشاد الشعر  
وقد أُنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ

مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ» وساق رحمه الله في هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التي تضمنت  
إنشاد الشعر والحناء به وهي أشهر من أن يحتاج إلى سردها . ثم قال بعد سياق  
الأحاديث : ولم يزل الحناء وراء الجمال من عادة العرب في زمان سيدنا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وزمان الصحابة ، وما هو إلا أشعار تُؤدَّى بأصوات طيبة وألحان  
موزونة . ولم يُنقل عن أحد من الصحابة إنكاره . بل ربما كانوا يهتمون ذلك

(١) الخطار : الحائط وكل ما حال بينك وبين شيء . . . ٢٠

(٢) كذا بالأصل . وفي إحياء النوازل : «الحق به» .

تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يُحرّم من حيث إنه كلام مفهوم مؤدّى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

الدرجة الرابعة: النظر فيه من حيث إنه يحرك القلب ومُهَيِّج لما هو الغالب عليه، قال أبو حامد : فأقول : قد سبحناه وتعالى سرٌّ في مناسبة الغيات الموزونة للأرواح حتى إنها تتأثر فيها تأثيراً عجباً . فن الأصوات ما يُفْرِحُ ومنها ما يُحْزِنُ ومنها ما يُتَوَكَّمُ ومنها ما يُضَيِّكُ ويُطَرِّبُ ومنها ما يُسَخِّرُ من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس . ولا ينبغي أن يُظنَّ أن ذلك لهم معاني الشعر بل هذا جارٍ في الأوتار حتى قيل : من لم يُحرِّكه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج . وكيف يكون ذلك فهم المعنى، وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فإنه يُسَكِّنُهُ الصوت الطيب عن بكائه، وتصرف نفسه عما يُبْكِيهِ إلى الإصغاء إليه .  
والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثيراً يستخفُّ معه الأحمال الثقيلة ويستقصِّرُ لعوّة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط ما يُسَكِّرُهُ ويُولِّهُ، قراها إذا طالت عليها البوادي وأعترها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت مُلَادِي الحداء تمدّ أعضائها وتُصْنِي إلى الحادي ناصبة آذانها وتُسْرِعُ في سيرها حتى تتعرّج عليها أحاملاً ومعاملها، وربما تُتَلِفُ أنفسها في شدة السير وتقل الجمل وهي لا تُسْعِرُهُ لنشاطها

فقد حكى أبو بكر محمد بن داود البُيُوتِيُّ المعروف بالرُّقِّي، قال :

كنت في البادية هوايتُ قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباء فرأيت في الخلاء عبداً أسوداً مقيداً قيد، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي

اليت وقد بقي منها جمل وهو ناعل دابل كأنه يَرْعُ رُوحَهُ . فقال لي الفلام :<sup>(١)</sup>

(١) في الرسالة الفخرية : «ها. اليت» .

أنت ضيفٌ ولك حقٌ قشَقٌ في حقِّي إلى مولاي فإنه مُكرِّمٌ لضيفه فلا يردُّ شفاعتك  
ففساه يحلُّ القيدَ عني . فلما أحضروا الطعام أمتعت وقلت : لا تأكل ما لم أُشَقِّعْ  
في هذا العبد ، فقال : إن هذا العبدَ قد أفقرني وأهلك جميع مالي ، قلت : ماذا  
فعل ؟ فقال : إن له صوتاً طيباً ، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال لحملها  
أحمالاً ثقلاً وكان يحملوها حتى قطعتُ مسيرة ثلاثِ ليالٍ في ليلةٍ من طيبِ نغمته  
فلما حطَّتْ أحمالها مَوَّتَتْ كُلُّهَا إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفي فلكرامتك  
قد وهبته لك قال : فأجبت أن اسمعَ صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل  
يَسْتَقِي المَاءَ من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجملُ وقطع حباله ووقعتُ أنا  
على وجهي ، ها أظنُّ أني قط سمعتُ صوتاً أطيَّبَ منه .

قال : وإذا تأثيرُ السماعِ في القلبِ محسوسٌ . ومن لم يحركه السماعُ فهو ناقص  
ماثل عن الاعتدال بعيد عن الروحية ، زائد في غِلَظِ الطبعِ وكثافته على الجمال  
والطُيور بل على سائر البهائم فإن جميعها تتأثرُ بالنفثاتِ الموزونة . ومهما كان النظر  
في السماعِ باعتماد تأثيره في القلوب لم يحز أن يُحكَّم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم ، بل  
يختلف ذلك بالأحوال والاشخاص وأختلاف طرق النفثات ، حكاه حكم ما في القلب .  
قال أبو سليمان : السماع لا يعمل في القلب ما ليس فيه ، ولكن يُحرك ما هو فيه .

### ذكر أقسام السماع وبواعثه

وأقسام السماع تختلف باختلاف الأحوال : فإن منه ما هو مستحبٌ وما هو  
مباح وما هو مكروه وما هو حرام . أما المستحبُ فهو لمن غلب عليه حبُّ الله تعالى  
ولم يُحرك السماعُ منه إلا الصفاتِ المحمودَةِ . وأما المباحُ فهو لمن لاحظَ له من  
السماع إلا التلذذ بالصوت الحسن ، وأما المكروهُ فهو لمن لا يقره على صورة المخلوقين



ولكن يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو . وأما الحرام فهو لاكثر الناس من الشباب ومن ظلت عليه شهوة الدنيا فلا يُحْزَنُ السَّاعُ منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . وقد تكلم على هذه الأقسام الإمام أبو حامد الغزالي فقال رحمه الله ما مختصره ومعناه :

﴿١﴾

- الكلمات المسجعة الموزونة تُتَادُ في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع :

الأول : غناء الجميع فإنهم يدورون أولا في البلاد بالطليل والغناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء الفريضة وشهود المشاعر .

الثاني : ما يعتاده الفُزَاءُ لتحريض الناس على الفزو وهو مباح أيضا لما فيه من

- استثارة النفس وتحريكها على الفزو وإثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقييح الفرار .

الثالث : ما يرتجزه الشُّجْعَانُ عند اللقاء في الحرب وهو مباح ومندوب لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمدح بالشجاعة والنجدة وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

١٥

الرابع : أصوات اللِّبَاةِ ونغماتها وتأثيرها في تيسير البكاء وملازمة الحزن والكتابة وهذا قسمان : محمود ومذموم .

فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لِكَلَّا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ . والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه يُغْضِبُ اللهَ جَلَّ جلاله وتأسف على ما لا تدارك فيه .

٢٠

(١) في الإحياء : « فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف الخ » .

وأما المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياهم .  
وبكاء والتباكى والحزن والتمازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك .  
ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة ، فقد كان يَحْزَنُ وَيَحْزَنُ وَيَبْكِي وَيَبْكِي  
حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه ، وذلك  
محمود لأن المقضى إلى المحمود محمود . وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت  
أن يُشَدَّ على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى  
ليَتَوَصَّلَ به إلى بكاء غيره وإثارة حزنه .

الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتيسيراً له إن كان ذلك  
السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت  
الوليمة والعقيقة وعند الولادة والختان وعند حفظ القرآن ، وكل ذلك معتاد لأجل  
إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أت من الألحان ما يُثير الفرح والسرور والطرب  
وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا إنشادهم بالنفث  
والألحان عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم يقولون :

طلع البدر علينا • من ثِيَابِ الدِّعَاقِ

وجب الشكر علينا • ما دعا لله داعي

فإظهار هذا السرور بالغناء والشعر والرقص والحركات محمود . فقد قل عن  
جماعة من الصحابة أنهم تَجَلَّوْا في سرور أصابهم كما سيأتى في أحكام الرقص وهو  
جائز في قدوم كل غائب وكل ما يحوز الفرح به شرعاً . ويموز الفرح بزيادة  
الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام .

السادس : سماع العشاق تمهيداً للشوق وتيسيراً للعشق وتسلياً للنفس ؛ فإن  
كان في حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض

تبيح الشوق . والشوق وإن كان مؤلماً ففيه نوعٌ لذَّةٌ إذا أنضاف إليه رجاء الوصال ؛ فإن الرجاء لذيق والياس مؤلم ، وقوة لذَّة الرجاء بحسب قوة الشوق والحُب للشيء المرجو ، ففي هذا السماع تبيح للعشق وتحريك للشوق وتحصيل للذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطنا ب في وصف حسن الم محبوب . قال :

- وهذا حلال إن كان المشتاق إليه من يُباح وصاله كن يمشق زوجته أو سرّيته  
فَيُصْنِي إلى غنائها لتضاعف لذّته في لقائها ، فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع  
الأذن ويَهْمُ لطائف معاني الوصال والفرق القلب ، فتترادف أسباب اللذة .  
فهذا نوعٌ تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو  
وهذا منه . وكذلك إن خُصِبَتْ منه جاريةٌ أو حَبْلُ بنته وبينها بسبب من الأسباب  
فله أن يُحرِّك بالسماع شوقه وأن يَسْتَبْرِهَ به لذَّة رجاء الوصال . فإن باعها أو طلقها  
حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء .  
وأما من يَتَمَثَّل في نفسه صورةً صبيّ أو امرأة لا يجوز له النظر إليها وكان يُتَزَل  
ما يسمع على ما يمتثل في نفسه فهو حرام لأنه محرّك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيّج  
للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض  
الحكماء عن العشق فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويبيحه السماع .  
الساج : سماع من أحبّ الله سبحانه وتعالى وعشقه وأشتاق إلى لقائه فلا ينظر  
إلى شيء إلا رآه فيه ، ولا يقرعُ سمعه قارعٌ إلا سمعه منه أو فيه ؛ فالسماع في حقه  
مهيّج لشوقه ، ومؤكّد لعشقه وحبه ، ومؤرّزاً لقلبه ، ومُسَخَّرٌ منه أحواله من  
المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها مَنْ ذاقها ويُنْكِرُها مَنْ كَلَّ  
حِسّه عن ذوّاقها ؛ وتسمّى تلك الأحوال بلسان الصوفية وَجْداً — مأخوذ من  
الوجود — وللصوفية على هذا كلامٌ يطول شرحه ليس هذا موضع إيرادهِ . والله أعلم .

### ذكر العوارض التي يحرم معها السماع

قال أبو حامد رحمه الله تعالى: والسماعُ يحرمُ بخمسة عوارض: عارض في المُسمِعِ  
وعارض في آلة السماع، وعارض في نظم الصوت، وعارض في نفس المُستَمِعِ  
أو في موطنه، لأن أركان السماع هي المُسمِعُ والمُستَمِعُ وآلة السماع.

٥ العارض الأول: أن يكون المُسمِعُ امرأة لا يَحِلُّ النظر إليها وتُغْنِي الفتنة  
من سماعها، وفي معناها الصبي الذي تُغْنِي فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف  
الفتنة، وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث تَقْنُّ بصوتها في المحاورة  
في غير ألحان فلا يجوز معاورتها ومعاذتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا، وكذلك  
الصبي الذي تُخَافُ فتنته. فإن قلت: فهل تقول: إن ذلك حرام بكل حال حسبا  
للباب، أو لا يحرم إلا حيث تُخَافُ الفتنة. فأقول: هذه مسألة محتملة من حيث  
١٠ الفقه يتخالفها أصلا:

أحدها: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت منها  
الفتنة أو لم تُخَفْ لأنها مَظَنَّةُ الفتنة على الجملة. فقضى الشرع بحسم الباب من غير  
الفتنات إلى الصورة.

١٥ والثاني: أن النظر إلى الله بيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان  
بالنساء في عموم الحَدِّمْ بل يَنْبَغِي أَنْ يُفَصَّلَ فِيهِ الْحَالُ. وصوتُ المرأة دائريّين  
هذب الأصلين، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب،  
ولكن بينهما فرق: إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أوّل هيئتها ولا تدعو إلى سماع  
الصوت. وإيسر تحريك النظر لشهوة المماسّة كتحرّيك الله اع بل هو أشدّ.  
٢٠ صوتُ المرأة في سرّ مناء ليس بعورة ولكن الغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة،

- فقياسُ هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساءُ بسُرِّ الأصوات، فينبى أن يَبَّحَ مَنَّا الفتن ويُقَصِّرَ التحريمُ عليه، هذا هو الأقبح عندى . قال : ويتأيد بحديث البخاريين المختينين في بيت عائشة رضى الله عنها إذ يُعلم أن النبی صلى الله عليه وسلم كان يسمعُ صوتَهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنةُ مخوفةً عليه فلذلك لم يحترز . وإذا اختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال .
- فإننا نقول : للشيخ أن يُقبلَ زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك . والقُبلةُ تدعو إلى الوقوع في الصوم وهو محذور . والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام، فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص .

١٠. العارض الثاني في الآلة — إن تكون من شعائر أهل الشرب أو الخميين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة، فهذه ثلاثة أنواع وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالذئف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

- العارض الثالث في نظم الصوت — وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجاء أو هو كذبٌ على الله عز وجل أو على رسوله أو على الصحابة كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم ، فسماع ذلك حرام بالحن وغير الحان ، والمستمعُ شريكُ القائل وكذلك ما فيه وصف امرأةٍ بيننا فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال . وإنما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز .

- فقد كان حسان بن ثابت يُنافحُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُبأجى الكفارَ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .
- ٢٠.

فاما النسب وهو التشبيب بوصف الخلود والأصداغ وحسن القَدِّ والقامة  
وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر . والصحيح أنه لا يحرم نظمُه وإنشاده بطن  
وغيره<sup>(١)</sup>، وعلى المستمع ألا يُقرَّه على امرأة معينة إلا على من محل له من زوجة  
أو جارية ، فإن نزلَه على أجنبية فهو العاصي بالتزويج وإجالة الفكر فيه . ومن هنا  
وصَّه فيبني أن يحتجب السماع رأسا فإن من ظب عليه عشق نزل كل ما يسمعه  
عليه سواء كان اللفظ مناسباً أو لم يكن ، إذ ما من لفظ إلا ويمكن نزله على معانٍ  
بطريق الاستمارة فالذي ظب عليه عشق مخلوق يبني أن يتميز من السماع بـى  
لفظ كان ، والذي ظب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم  
المعاني اللطيفة المتعلقة بجاري همة الشرفة .

(٧٤)

١٠ العارض الرابع في المستمع — وهو أن تكون الشهوة غالباً عليه وكان في غمرة  
الشباب وكانت هذه الصفة أغلب من غيرها عليه ، فالسماع حرامٌ عليه سواء ظب  
على قلبه حب شخص معين أو لم يظب . فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ  
وانخذ والوصال والفراق إلا ويُحرَّك ذلك شهوة ويُقرَّه على صورة معينة ينفع  
الشیطان بها في قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة وتحتج بواضع الشر . وذلك هو النصرة  
لحرب الشيطان والتخذيْل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى . والقتال  
١٥ في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات ، وبين حزب الله وهو نور العقل  
إلا في قلب قد فتحه أحد الجُنْدَيْنِ وأسولى عليه بالكلية . وقالِبُ القلوب قد  
فتحها جندُ الشيطان وظب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال  
لإزعاجه فكيف يجوز تكثير أسلحته وتسليحه مسيوقة وأستته ، والسماع مُشْعَدٌ

(١) كذا في الإحياء . وفي الأصل : « صوت وغير صوت » .

لأسلمة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص . فليخرج مثل هذا عن جميع السماع فإنه يَسْتَفْرِيه والله أعلم .

**المعارض الخامس** — أن يكون الشخص من حوام الخلق ولم يظلب عليه حبه الله فيكون السماع له محبوباً ولا ظلت عليه الشهوة فيكون في حقه محظوراً ، فحكمه أبيع في حقه كمائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه اتخذ ديدنه وهجيراً وقصر عليه أكثر أوقاته ، فهذا هو السفيه الذي تُردّ شهادته فإن المواظبة على اللهو جناية . فكأن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة ، فبعض للمباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى نعيم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل اللَّيْبُ بالشَّطْرُجِ فإنه مباح ، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ، إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه . هذا ملخص ما أورده في أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته ، ثم ذكر بعد ذلك آثار السماع وآدابه .

### ذكر آثار السماع وآدابه

قال أبو حامد رحمه الله : أعلم أن أقل درجة السماع فهم المسموع وتزيله على معنى يقع للاستيع ثم يُغَيَّرُ الفهم الوجد . ويُغَيَّرُ الوجد الحركة بالجوارح . فليُنظر إلى هذه المقامات الثلاثة :

**المقام الأول** — في الفهم ، وهو مخلف بآثار أحوال المستمع . والمستمع أربعة أحوال :

إحداها — أن يكون سماعه يعزود الطبع أى لاحظ له في السماع إلا استلزام  
الألحان والنفات فهذا مباح وهو أحسن رُتِب السماع؛ إذ الإبل شريكة له فيه وكذا  
سائر البهائم . ولكل حيوان نوع تلتذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية — أن يسمع بفهم ولكن يُترّك على صورة إما معينة أو غير معينة  
وهو سماع الشباب وأرباب الشهوة ويكون تزييلهم المسموع على حسب شهواتهم  
ومقتضى أحوالهم . وهذه الحالة أحسن من أن يُتكلّم فيها إلا بيان خستها والنهي  
عنها .

الحالة الثالثة — أن يُترّك ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملة الله تعالى  
وتقلب أحواله في التمكن منه مرة وبُعده منه أخرى، وهذا سماع المريدين لا سيما  
المتبتلين . فإن المرید لا محالة مراداً هو مقصده، ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه  
والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسّر وكشف الغطاء؛ وله في مقصده طريق هو  
سالكه، ومعاملات هو متابع عليها، وحالات تستقبله في معاملاته . فإذا سمع ذكر  
عقاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصال أو هجر أو قرب أو بُعد أو تلهيف على فائت  
أو تعطيل إلى مُتظّر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو  
وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب  
ومداعاة الزّبيب أو همول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عِدّة  
الوصول أو غير ذلك مما يستل على وصفه الأشعار؛ فلا بد أن يوافق بعضها حال  
المرید في طلبه، فيجرى ذلك مجرى القداح الذي يورى زناد قلبه، فتشتعل به  
نيرانه، ويقوى به أنبات الشوق وهيجانه، وتهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لمعادته،

(١) في الإحياء: « وتنفذه أخرى » .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل: « عزّة الوصال » .



ويكون له مجالٌ رَحْبٌ في تَقْرِيلِ الألفاظ على أحواله . وليس على المستمع مراعاةُ  
مراد الشاعر من كلامه ؛ بل لِكُلِّ كلام وجوهٌ ولكلّ ذى فهم في اقتباس المعنى  
منه حَقٌّ . وضرب الإمام الغزاليّ لتلك أمثلة يطول شرحها .

الحالة الرابعة — سماعٌ من جاوز الأحوال والمقامات فَعَزَبَ عن فهم  
ما سوى الله تعالى حتى عَزَبَ عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالدهوش  
للخاص في عين الشهود الذي يُضاهي حاله حال النَّسوة اللاتي قَطَنَ أَيْدِيَهُنَّ  
في مشاهدة جمالِ يُوسُفَ حتى بُيِّنَ وسقط إحساسُهُنَّ . وعن مثل هذه الحالة تُعَبَّرُ  
الصوفية بأنه قبي عن نفسه . ومهما قَبِيَ عن نفسه فهو عن غيره أقبَى ؛ فكأنه قَبِيَ  
عن كلِّ شيء إلا عن الواحد المشهود ، وقَبِيَ أيضاً عن الشهود فإن القلب إن أكتفت  
إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مُشَاهِدٌ فقد عَقَلَ من المشهود . فالمستعثر بالمروءة  
لا أكتفت له في حال استغراقه إلى رؤيته و [لا] إلى عيه التي بها رؤيته ولا إلى  
قلبه الذي به لذته . فالسكران لا خُبْرَ له في سكره ، والمتلذذ لا خُبْرَ له في التلذذه ،  
إنما خُبْرُهُ من المتلذذ به فقط ، ولكن هذا في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي  
لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تُطْلَقْ القوة البشرية فربما يضطرب تحت أعبائه  
أضطراباً تهلك فيه نفسه كما رَوَى عن أبي الحسن النوري أنه سمع هذا البيت :

ما زِلْتُ أَزِلُّ من ودادك متراً • تُعَيِّرُ الألباب دونَ نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه ووقع في أجمة قَصَبٍ قد قُطِعَتْ وبقيت أصولها  
مثل السيوف فصار يملو فيها ويبعد البيت إلى النداء والدم يجري من رجله حتى  
ورمت قدماه وساقاه ومات بعد أيام رحمه الله .

(١) الزيادة من كتاب الإحياء . (٢) في الإحياء « من » في الموضعين بدل « في » .

(٣) عبارة الإحياء : « مكان يندرمها ويروح » .

قال أبو حامد : وهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات ، لأن السماع على الأحوال وهي ممتزة بصفات البشرية نوع قصور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله . أعني أنه ينساها فلا يبقى له ألتفاتٌ إليها كما لم يكن للنسوة ألتفاتٌ إلى اليد والسكين . فيسمع بالله ، وفيه ، وفي الله ، ومن الله ؛ وهذه رتبة من خاض بلجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال وأتمد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا ، بل تحمدت بالكلية بتبصيره وتفتي ألتفاتاته إلى صفات البشرية رأسا . قال : ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ، ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية ورامعا سر الروح الذي هو من أمر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر . ومثاله المرأة المجلوة ، إذ ليس لها لَوْنٌ في نفسها بل لونها لَوْنُ الحاضر فيها . وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لَوْنُ قرارها ولونها لَوْنُ الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان . قال : وهذه مقاصد من مقاصد علوم المكاشفة منها نشأ خيال من أدعى الحلول والاتحاد . هذا ملخص ما أورده في مقام الفهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

### المقام الثاني — بعد الفهم والتبصير الوجد .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

ولناس كلام طويل في حقيقة الوجد أعني الصوفية والحكاه الناظرين في وجه متاسبة السماع للأرواح فلتنقل من أقوالهم ألفاظا ثم لتكشف عن الحقيقة فيه .

أما الصوفية، فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع : إنه واردٌ حقٌّ جاء يُرِيعُ القلوبَ إلى الحقِّ ، فمن أصبى إليه بحقٍّ تحقَّق ، ومن أصبى إليه بنفسٍ تَزَنَّق . فكانه عبَّر عن الوجد بأزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يحده عند ورود وارد السماع ، إذ سَمِيَ السماعَ واردَ حقٍّ . وقال أبو الحسين النّزاج مُخبراً عما وَجَّده في السماع :

(٧١)

والوجدُ عبارةٌ عما يُوجدُ عند السماع ، وقال : جالٍ في السماع في ميادين البهاء ، فأوجدني وجود الحقِّ عند السَّماء ، فسقاني بكأس الصفاء ، فأدركت به منازل الرِّضاء ، وأخرجني إلى رياض التَّرهة والفضاء .

وقال الشَّيْخُ : السماع ظاهره فِتنَةٌ وباطنه عِبْرَةٌ ، فمن عَرَفَ الإشارةَ حلَّ له استماع العِبْرَةِ وإلا فقد استدعى الفتنَةَ وتعرَّضَ للبلية . وأقوال الصوفية في هذا النوع كثيرة .

وأما الحكماء ، فقال بعضهم :

في القلب فِضِيلَةٌ شريفةٌ لم تُعِدِ قُوَّةُ التعلُّقِ على إخراجها باللفظ فانخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سُرَّتْ وطُيِّرَتْ إليها ، فَاسْتَمِعُوا من النفس وناجوها ودَعَوْا مُنَاجَاةَ الظواهر . وقال بعضهم :

تَنَاجَى السماعُ استهْواً من الرأى واستجلابُ المازب من الفكر ويحْدَثُ الكَالُ من الأفهام والآراء حتى يثوبَ ما عَزَبَ ويَنْهَضَ ما تَجَزَّوْا وَيَصْفَوُما كَدُّوْا وَيَمْرَحُ في كُلِّ رَأْيٍ وَنَيْةٍ فيصِيبُ ولا يخطئُ ويأتي ولا يخطئُ . ثم ذكر المعنى الذي الوجد عبارة عنه فقال : هو عبارةٌ من حالة يُثَمِّرُها السماع وهو واردٌ [حقٌّ] جديدٌ حَقِيبُ السماع

(١) في بعض نسخ الإحياء : « ويمرح من » . (٢) الزيادة من تحجب الإحياء ، ومصره الريدي شارح الإحياء بقوله : « أي وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قوي لا يشوبه الباطل » .

يحمده المستمع من نفسه . وتلك الحالة لا تغلو من قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى  
مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات ؛ وإما أن ترجع إلى تغيرات  
وأحوال ليست من العلوم والتنبيهات بل هي كالشوق والحلوف والحزن والقلق  
والسرور والأسف والندم والبسط والقبض . وهذه الأحوال يربطها السماع ويقويها  
فإن ضعف بحيث لم تؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على  
خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يُسمَّ  
وجدا . وإن ظهر على الظاهر شيء وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره  
وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة  
الواجد وقدرته على حفظ جوارحه ، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر  
لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك .  
وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد : إنه مشاهدة  
الرقب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع منشأ لكشف  
ما لم يكن مكشوفاً قبله ؛ فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه ، والسماع منه .  
ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها ، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور  
لم تكن معلومة قبل ورود .

ومنها صفاء القلب ، والسماع مؤثر في تصفية القلوب ، والصفاء سبب المكاشفة .  
ومنها أنبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى على مشاهدة ما كان تقصر عنه  
[قبل ذلك] قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله ، وهذا  
الاستكشاف من ملاحظه أسرار الملكوت . وكما أن حمل الجمل يكون بواسطة ،  
فبواسطة هذه الأسباب يكون سبب الكشف ؛ بل القلب إذا صفا تمثل له الحق

في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يَقْرَعُ سَمْعَهُ بِبَرْعِهِ بصوت الماتف إذا كان في اليَقْظَةِ والرُّيَا إذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة؛ وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة . وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال : نرجعت يوما في أيام جهلي وأنا نشوان وكنت أَعْنَى هذا البيت :

بَطْنِي نَابِذٌ كَرَمٌ مَامَرْتُ بِهِ • لَا تَجِبْتُ مِمَّنْ يَشْرِبُ الْمَاءَ  
فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجزعه • خَلَقْتُ فَأَبْقَى لَهُ فِي الْجُوفِ أَمْعَاءَ  
فقال : وكان ذلك سبب توبتي وأشتغالي بالعلم .

- قال أبو حامد : فانظر كيف أثر النناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم وفي لفظ منظوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وكما يسمع صوت الماتف عند صفاء القلب . ويشاهد أيضا بالبصر صورة انخِصْرَ عليه السلام فإنه يَخِيلُ لأرباب القلوب بصور غشقية ، وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« إِتَّخَوْا قِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى »** . قال : لحاصل الوجد يرجع إلى مكاشفات وإلى حالات ينقسم كل واحد منهما إلى ما لا يمكن التصير عنه عدم الإفاقة منه وإلى ما لا يمكن العبادة عنه أصلا . وضرب لذلك أمثلة ، منها أن الفقيه قد تعرض عليه مسائلان متشابھتان في الصورة ويُدْرِكُ بذوقه أن بينهما فرقا في الحكم ، فإذا كَلَّفَ ذِكْرَ وجه الفرق لم يساعده اللسان على التمييز عنه وإن كان من أفصح الناس ، فَيُدْرِكُ بذوقه

(١) في معجم ياقوت : « محمد بن عبد الله الكاتب » .

- (٢) طبرناياد : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج وبينها وبين القادسية ميل ، كانت إقطاعا للأشعث بن قيس من عمر بن الخطاب وكانت من أئمة المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحامات والمامر وكانت أحد المواضع المقصود منها والبطالة « عن معجم البلدان لياقوت » .

المرق ولا يمكنه التعبير عنه . وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالنوق . ولا شك أن لوقوعه في قلبه سببا ، وله عند الله تعالى حقيقة ، ولا يمكنه الإخبار عنه لقصور في لسانه بل لبقة المعنى أن تتأله العبارة .

وأما الحال فكمن إنسان يدرك في قلبه في الوقت [الذي يصبح فيه] قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به . وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبتت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور ؛ أو حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر حقيقه . وقد تكون تلك الحال حالة غريبة لا يُعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مُفصَّحة عن المقصود ؛ بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهي حالة يدركها صاحب النوق بحيث لا يشك فيها (أعني التفرقة بين الموزون والمتحرف) ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له . وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تمحصل في السماع عن غناء مفهوم . فأما الأوتار وسائر النفث التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار ، وقد يبرر عنها بالشوق ، ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه ، فهذا عجيب . والذي اضطربت نفسه بسماع الأوتار والشاهدين وما أشبه ليس يدري إلى ماذا يشاق ، ويحد في نفسه حالة كأنها تتفاضل أمرا ليس يدري ما هو ، حتى يقع ذلك لا عوالم ومن لا يطلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى . وهذا له سر ، وهو أن كل شوق لله ركنان : أحدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة

- الوصول إليه . فإن وُجدت الصفة التي بها الشوق وُجد العلم بالمشاقق وُوجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة وأشتعلت نارها ، أوردت ذلك دهشة وحيرة لا محالة . ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يُحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري أنه يشاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء؛ فكذلك في نفس آدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذات التي وُعد بها في سيرة المنتهى والفراديس العلأ ، إلا أنه لم يتقبل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي يسمع [لفظ] الوقاع و[أسم] النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة يعرف بالمقايسة . فالساع يحرك منه الشوق؛ والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حبيبه وأشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمراً ليس يدري ما هو فيدهش ويضطرب ويتحير ويكون كالخنق الذي لا يعرف طريق الخلاص . فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصيف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر أقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . قال :

- وأعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف يسمى التواجد . وهذا التواجد المتكلف ، فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإطهار الأحوال الشريفة مع الإنفلاس منها ؛ ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى الاستدعاء للأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة ؛ فإن للكسب مدخلا في حلب الأحوال الشريفة ؛ ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يعضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويحازن .

(١) الزيادة في كلامه عن الإحياء .

(٢) في الأصل : « كالتحقيق » والتصويب من الإحياء .

فإن هذه الأحوال قد تُتَكَلَّف مبادئها ثم تُتَحَقَّق أواخرها . وكيف لا يكون التَّكَلُّف سببا في أن يصير التَّكَلُّف بالآخرة طبعاً ، وكل من يتعلَّم القرآن أولاً يحفظه تكلُّفاً ويقرؤه تكلُّفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدناً للسان مُطَرِّداً حتى يجرى به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته . وذكروا أبو حامد أمثلة نحو ذلك ثم قال : وكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدانها ، بل ينبغي أن يتكَلَّف اجتلابها بالسماع وغيره ؛ فلقد سُويِد في العادات مَنْ أَشْتَهَى أَنْ يَسْتَقِ شخصاً ولم يكن يشتقه فلم يزل يرتد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة إليه والأخلاق المحمودة فيه حتى عَشِقَه ورجح ذلك في قلبه رسوخاً نخرج من حدِّ اختياره ، وأشْتَهَى بعد ذلك الخلاص منه فلم يَتَخَلَّص ، فكذلك حُبُّ الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من محضه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدتها الإنسان فيلغى أن يتكَلَّف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ، ومشاهدة أحوالهم ، وتحسين صفاتهم في النفس ، وبالجلوس معهم في السماع ، والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن يُسرِّله أسبابها ؛ ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين ، فمن جالس شخصاً سَرَّت إليه صفاته من حيث لا يدري . ويدل على إمكان محصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : "اللهم أرزقني حُبَّك وحبَّ من أحبَّك وحبَّ مَنْ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ" . فقد فزع إلى الدعاء في طلب الحب . قال : فهذا بيان أنقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال ، وأنقسامه إلى ما يمكن الإيضاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وأنقسامه إلى التَّكَلُّف وإلى المطبوع .



المقام الثالث — في آداب السماع ظاهراً وباطناً ، وما يُحمد من آثار الوجد ويُذم .

قال الإمام أبو حامد رحمه الله تعالى : فأما الآداب فهي خمس جملي :

الأول — مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة

- أشياء وإلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . قال الغزالي : ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صاريق من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان ، فبراعى فراغ القلب . والمكان قد يكون شارحاً مطروقاً أو موضعاً كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيُتجنب ذلك .

وأما الإخوان فسميه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع مترعد الظاهر مفلس

- من لطائف القلوب كان مستقلاً في المجلس وأشتغل القلب به ، وكذا إذا حضر متكبر من أهل الدنيا فيحتاج إلى مراقبته ومراحته ، أو متكلف متواجد من أهل التصوف يراى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى .

الثاني — وهو نظر للحاضرين ، أن الشيخ إذا كان حوله مُريدون يضرم السماع

- فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم ؛ فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر . والمريد الذي لا يستفيد بالسماع أحد ثلاثة : أقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع ؛ فأشغاله بالسماع أشغال بما لا يعنيه ؛ فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ، ولا من أهل التوق فينتم بذوق السماع ؛ فليشتغل بذلك أو خدمة وإلا فهو مضيع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق ولكن فيه بقية من الحفظ والكتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد أنكساراً تَوْمنُ غوائله ، فربما يُبجّع السماع منه داعية الله والشهوة فيقطع طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد آنكرت شهوته وأمنت غائلته وأفتتحت بصيرته وأستولى على قلبه حب الله تعالى ، ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل ، وإذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز ، فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم عليه من نفع السماع . قال سهل : كلُّ وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والتناء ، ولا من يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع ، فيصير ذلك عادة له ويشغله عن عبادته ومراعاة قلبه وتنقطع عليه طريقة الأدب ، فالسماع مَرَّةً قدم يجب حفظ الضمضاء عنه .

١٠ الأدب الثالث — أن يكون مُصغياً إلى ما يقوله القائل ، حاضراً القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرراً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد ، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمة في سره ، متحفظاً عن حركة تُشوش على أصحابه قلوبهم ؛ بل يكون ساكناً الظاهر ، هادئ الأطراف متحرراً عن التمنع والتأذب ، يجلس مُطَرِّقاً رأسه بكلوسه في فكرٍ مستغرق لقلبه ، متماسكاً عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراعاة ، ساكناً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه يد . فإن ظله الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور وغير ملوم ؛ ومهما رجع إليه اختياره فليُسد إلى هدوه وسكونه . ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال : انقطع وجده على القرب ، ولا أن يتواجد خوفاً من أن يقال : هو قاصي القلب عديم الصفاء والرقّة . قال : وقوة الوجد تحرك ، وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر . وقد يغلب أحدهما الآخر

٢٠ إما لشدة قوته ، وإما لضعف ما يقابله ، ويكون التقصان والكمال بحسب ذلك . فلا

تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن بأضطرابه، بل رب ساكني أتم وجدا من المضطرب؛ فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فبيل له في ذلك فقال : ( وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ ) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت، والجوارح متآدبة في الظاهر ساكنة .

الأدب الرابع — ألا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ؛ ولكن إن رقص أو تابكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراماة ؛ لأن التباكى استجلاب للحنن ، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ، وكل سرور مباح فيجوز تحريكه ؛ ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون . وقد روي عن جماعة من الصحابة أنهم حملوا لما ورد عليهم سرود أوجب ذلك [ وذلك ] في قصة أبنه حمزة بن عبدالمطلب لما اختتم فيها على بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فقتلوا في تربيتها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : " أَنْتَ مَيِّ وَأَنَا مَكَّ " فجعل علي . وقال بلعسر : " أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي " فجعل . وقال زيد : " أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا " فجعل . الحديث . قال : والمجمل : الرقص ، ويكون لفرج أو شوقي ، حكمه حكم مهيج إن كان فرحه محمودا ، والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود ، فإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم . نعم لا يليق ذلك بمصاب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن ملو ولعب ، وما له صورة اللعب في أعين الناس

(١) يزفون : يقصون . (٢) الزيادة عن الإحياء .

(٣) في النهاية لابن الأثير : الخيل أن يرفع رجلها ويقفر على الأخرى من المرح وقد يكون بالرجلين .  
ولا آله قهر .

فينبغي أن يحتسب المقتدى به لئلا يصغر في عين الخلق فيترك الاقتداء به . وأما  
تخريق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار . ولا يعد أن  
يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه أو يدري ولكن  
يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكروه ،  
إذ يكون له في الحركة أو التخريق متعسف فيضطر إليه اضطراب المريض إلى الأيمن ؛  
ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري ؛ فليس كل فعل حصوله  
بالإرادة يقدر الإنسان على تركه ، فالتعسف فعل يحصل بالإرادة ، ولو كلف الإنسان  
نفسه أن يمسك النفس ساعة أضطر من باطنه إلى أن يختار النفس ، فكذلك الزعقة  
وتخريق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم .

- ١٠ الأدب الخامس — موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد  
صادق من غير رياء وتكلف ، وأقام بأختيار من غير إظهار وجد وقام له الجماعة  
فلا بد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة . وكذلك إن جرت عادة طائفة بتسحية  
العامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه  
ثوبه بالتخريق . فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والمشيورة ، إذ المخالفة  
موحشة . ولكل قوم رسم ، ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لاسيما  
إذا كانت أخلاقا فيها حسن المعاشرة والمجاملة وتطبيب القلب بالمساعدة . وقول  
القالل : إن ذلك بدعة لم تكن في الصحابة ، فليس كل ما يحكم بإباحته متفولا عن  
الصحابة ولم ينقل النبي عن شيء من هذا . والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من  
عادة العرب ، بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض  
الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه ، وإن كان لم يثبت فيه نهى طم ، فلا نرى

به بأساً في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام؛ فإنَّ القصد منه الاحترام والإكرام وتطيب القلب به؛ كذلك سائر أنواع المساعدة إذا قُصِدَ بها طيبة القلب وأُصْلِحَ عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها؛ بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهيٌ لا يقبل التأويل . ومن الأدب ألا يقوم للرقص مع القوم إن كان يُستعمل رقصه ويشوش عليهم أحوالهم؛ إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف؛ ومن يقوم عن صدق لا تستقبله الطباع؛ فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب عكَّ للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال: محنته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد . هذا ملخص ما أورده الفزالي رحمه الله تعالى في معنى السماع وقسمه الى هذه الأقسام التي ذكرناها .

١٠

ولما أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فقد ذكر مسألة السماع وبين إباحته، فبدأ بذكر الأحاديث التي احتجوا بها وضعف روايتها نحو ما تقدم وذكر الآية: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّعِزَّ عِلْمٌ) وأنه قيل: إنه الشراء، فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ثبت عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، فإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة؛ وما كان هكذا فلا يجوز القول به . ثم لو صح لما كان فيه متعلق؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: (لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وكل شيء أقنيت ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن . فإذا لم يصح في هذا شيء فقد قال الله عز وجل: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) . وقال تعالى: (خَلَقَ

١٥

٢٠

(١) كما في الإحياء . وجارة الأمل : « ومن الأدب ألا يقوم المرقص مع القوم للرقص

إذا كان ... الخ » .

لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعظم الناس جرماً في الإسلام مَنْ سأل عن شيءٍ لم يحرمَ حَقُّم من أجل مسأله"، فصَحَّ أن كل شيءٍ حرَّمه الله عزَّ وجلَّ علينا فقد فصله لنا، وكل ما لم يُفصل تحريمه لنا فهو حلال .

وأستدلَّ رحمه الله على إباحته بالأحاديث التي ذكرناها، حيث حاشته عن خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في غناء الجاريتين، وأستدلَّ أيضاً بحديث نافع أن ابن عمر سمع زمماراً فوضع إصبعيه في أذنيه ونأى عن الطريق وقال : يا نافع، هل تسمع شيئاً؟ قلت لا، فرفع إصبعيه عن أذنيه وقال : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمِع مثل هذا وصنع مثل هذا . قال : فلو كان حراماً ما أباح عليه الصلاة والسلام لابن عمر سماعه ولا أباح ابن عمر لنافع سماعه؛ ولكنه عليه الصلاة والسلام

كرِه لنفسه كلَّ شيءٍ ليس من التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، كما كَرِه الأكل مُتَكَبِّراً، ١٠

والتنشُّف بعد النسل في ثوبٍ بعدَ ذلك، والستر الموشى على سَهْوَة حائِشَة وعلى باب فاطمة رضي الله عنهما، وكما كَرِه صلى الله عليه وسلم أشدَّ الكراهة أن يبيت عنده دينار أو درهم . وإنما بُيِّت عليه الصلاة والسلام مُنْكَراً للتَّكْر، أمراً بالمعروف .



فلو كان ذلك حراماً لما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسدَّ أذنيه عنه دون أن يأمر بتركه وينهى عنه، ولم يفعل عليه الصلاة والسلام شيئاً من ذلك بل أقره وتقرَّه عنه، فصَحَّ أنه مباح وأن التَّرك له أفضل كاسترضول الدنيا بالمباحة .

قال : فإن قال قائل : قال الله تبارك وتعالى : (فَسَاءَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)

فهي أي ذلك يقع الفناء؟ قيل له : حيث يقع التَّروُّح في الهاتين وصباغ ألوان الثياب، ولكُلِّ أمرٍيَّ ما نَوَى فإذا نَوَى للمرء ترويح نفسه وإجماعاً لتقوى على طاعة الله فما أتى ضلالاً . قال : ولا يحلَّ تحريم شيءٍ ولا إباحته إلا بنص من الله عزَّ

وجلَّ أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه إخبار عن الله عزَّ وجلَّ، ولا يجوز

عنه تعالى إلا بالنص الذي لا شك فيه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» . وقد تكلم على إباحة السماع  
 جماعة من العلماء . وفيما أوردناه من هذا الفصل كفاية . فلنذكر من سَمِعَ الغناء  
 من الصحابة رضى الله عنهم .

- ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم
- قد روى أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم سمعوا الغناء .

- منهم النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي رضى الله عنه . روى أبو الفرج  
 الأصفهاني في كتابه المترجم : «بالأغاني» بسند رفيع إلى أبي السائب المخزومي وغيره ،  
 قال : دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وأبن الزبير فقال : والله لقد  
 أخفقت أذنائي [من] الغناء فاسمعوني . فقيل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء . فإنها من  
 ١٠ قد عرفت ؛ فقال : إني ورب هذه الليلة ! إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل تحمضا ،  
 إبعثوا إليها عن رسالتى ، فإن أبت صرْتُ إليها . فقال له بعض القوم : إن الثقلة تشتد  
 عليها لتقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النعمان : وأين التجائب عليها الموادج ؟  
 فوجه إليها بخيصة فذكرت علة ؛ فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه : أنت  
 كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هومع خواص أصحابه حتى طرعوها ، فأذنت  
 ١٥ وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان عندها وقال لها : غُني ، فننت :  
 (١) الزيادة عن الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١ طبع بولاق )  
 (٢) في الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١) : «ورب الكعبة» .  
 (٣) في الأصل : «لن» والصواب عن الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١) .  
 (٤) كذا بالأصل . وفي الأغاني : «إليها» .

أَجَدَ بِسْمَةِ غُنْيَانِهَا \* قَبَجَرَأَمَ شَانِهَا شَانِهَا<sup>(١)</sup>

وَعَمْرُهُ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا \* تَتَفَعَّ بِالمَسْكِ أَرْدَانِهَا<sup>(٢)</sup>

قال : وهذا الشعر هو لقيس بن الخلعيل في أم النعمان بن بشير، وهي عمرة بنت رَاحَةَ أخت جده بن رَاحَةَ ؛ قال : فَأَشِيرُ إِلَى عَزَّةِ أَنهَا أُمُّهُ فَأَمْسَكَتْ ؛ فقال : غَنِي فَوَاقِهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا كَرَمًا وَعِلْيَا وَلَا تَقْنَى سَائِرَ الْيَوْمِ غَيْرَهُ ؛ فلم تزل تغنيه هذا المثنى حتى أنصرف .

ومنه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه . روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى حمزة بن جعفر قال : خَتَنَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ وَأَوَّلُهُمْ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَاقِلَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَحَضَرَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ وَقَدْ كُفَّ بِعَمْرِهِ يَوْمَئِذٍ وَثَقُلَ مَعَهُ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُحْوَانٌ<sup>(٣)</sup> لَيْسَ عَلَيْهِ ضِرْبٌ إِلَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ كَلْبًا وَضُمَّتْ مَحْفَةُ<sup>(٤)</sup> أَطْعَامٍ يَدِ أُمِّ يَدَيْنِ ؟ فلم يزل يأكل حتى جِئَ بِشِوَاءٍ ، فقال : أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ يَدَيْنِ ؟ فقال : بَلْ طَعَامُ يَدَيْنِ ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ ؛ حَتَّى إِذَا فُرِغَ مِنَ الطَّعَامِ ثَنَيْتِ رِيسَادَةً وَأَقْبَلَتْ عَزَّةَ الْمَيْلَاءِ وَهِيَ إِذَا شَابَةٌ ، فَوُضِعَ فِي حَجْرِهَا مِنْهُرٌ<sup>(٥)</sup> فَضْرِبَتْ بِهِ وَتَغَنَّتْ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا أَبْتَدَأَتْ بِهِ شِعْرَ حَسَانَ :

فَلَا زَالَ قَصْرٌ بَيْنَ بَصْرَى وَجَلْقَى<sup>(٦)</sup> \* عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ جَوْدٌ وَوَابِلٌ

فَطَرِبَ حَسَانَ وَجَمَلَتْ حَيَاتُهُ تَضْحَانُ عَلَى حَدِيثِهِ وَهُوَ مُضْغٍ لَهَا .

(١) غِيَانُهَا : أى استغناها . وفي الأصل : « عِيَانُهَا » والتصويب عن الأعاني والسان وديوان لقيس بن الخلعيل المطبوع في ليبسك سنة ١٩١٤ م . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وفي الأعاني والسان والديوان : « أُمُّ شَانَا شَانَا » وكلاهما ذو معنى ، والأول أوجه .

(٣) جمع رَدَنٍ مَكُونٌ وَهُوَ مَقْدَمٌ كَمِ الْقَمِيصِ أَوِ الْقَمِيصِ كُلِّهِ وَهُوَ أَيْضًا ضَرْبٌ مِنَ الْخَزْرِ الْأَحْمَرِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ : أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ يَدَيْنِ » وَظَاهِرٌ أَنَّ « قَالَ » لَا مَعْنَى لَهَا .

(٥) جَلْقَى هِيَ دَسْتَقٌ أَوْ غُرْمَلَةٌ وَزُتْنُهَا كَحْمَصٍ وَتَنْب .



وروى أيضا بسنده إلى خارجة بن زيد أنه قال : دُعيتا إلى مأدبة في آل مُطِيط،  
فحضرتا وحضر حسان بن ثابت، فجلسنا جميعا على مائدة واحدة وهو يومئذ قد ذهب  
بصره ومعه أبنته عبد الرحمن ، وكان إذا أتى بطعام سأل أبنته عبد الرحمن أطعام يد  
أم طعام يدين؟ (يعني بطعام اليد التريد، وطعام الدين الشواء لأنه ينشأ عنها) فإذا قال : طعام يد  
أكل، وإذا قال : طعام يدين أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أتوا بجارتين  
مفتيتين إحداهما " راقية " والأخرى " حرّة " فجلسنا وأخذتا من هرهريهما وضربتا  
ضربا عجيبا وغتا بقول حسان بن ثابت :

أنظر خليلي بيابٍ جَلَّقَ هل \* تَقْنِسُ دون البلقاءِ من أحدٍ

قال : فاسمعُ حسانَ يقول : قد أراي هناك سَمِيعًا بَصِيرًا، وعيناه تدمعان، فإذا  
سكتا سكن عنه البكاء وإذا غتا بيكي . قال : وكنت أرى عبد الرحمن أبنته إذا  
سكتا يشير إليهما أن غتا، فيبكي أبوه، فيقال : ما حاجته إلى بكاء أبيه !

(٨)

وروى أيضا بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال :  
إني وفتية من قريش عند قينة ومعا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذا أسأذن  
حسان، فكبرنا دخوله وشق علينا؛ فقال لنا عبد الرحمن أبنته : أيسركم ألا يحلس ؟  
قلنا نعم . قال : فمروا هذه إذا نظرت إليه أن تُنقى :

أولادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ \* قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يُشْشُونَ حَتَّى مَاتَ هُرْكَلاهُمْ \* لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

قال : ففتته، فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسه . ثم قال : أنيكم  
الفاسق؟ لعمري لقد كرهتم جلوسي اليوم . وقام فأنصرف . وهذا الشعر لحسان بن  
كداية (١)

ثابت وهو مما أمتح به جَلَّةُ بن الأَئيم، وهو من قصيدة طويلة منها قوله في مدح آل جفنة :

يَبِضُّ الوجوه كريمةَ أحسابهم \* ثمُ الأَنوفِ من الطَّرَازِ الأوَّلِ

وروى أبو الفضل محمد بن طاهر القنصى رحمه الله تعالى بسند رصده إلى الحارث بن عبد الله بن السكس : أنه بينما هو يسير مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بطريق مكة في خلافته ومعه من معه من المهاجرين والأنصار، ترجم عمر بن عبد الله فقال له رجل من أهل العراق - ليس به عراقى غيره - : غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين ! قال : فاستجاب عمر وضرب رأسه حتى أقطعت من الرُكْب . قال القنصى : ويزيد ذلك وضوحا - وماذا حديثا بسند رصده إلى يحيى بن عبد الرحمن - قال :

خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الحج الأكبر، حتى إذا كان عمر بطروحاء<sup>(١)</sup> كلم الناس رباح بن المعرف، وكان حسن الصوت ببناء الأعراب، فقالوا : أئيمنا وقصر عنا الطريق ؟ فقال : لاى أفرق من عمر . قال : فكلم القوم عمر . إذا كلمنا رباحا أن يُسمِعنا ويُخَصِّرنا طريق المسير فإي إلا أن نأذن له . فقال له : يارباح، أئيمهم وقصر عنهم المسير، فإذا أئيمت فأرفع وأحلهم بشعر ضرار بن الخطاب ؟ فرفع عقيرته يتنقى وهم محرمون .

وروى أيضا بسنده إلى يزيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر رضى الله عنه مر برجل يتنقى فقال : إن الفناء زاد المسافر .

وروى سُفيان الثوري وشعبة كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي عن طاهر بن سعد البجلي : أن أبا مسعود البديي، وقرظة بن كعب، وثابت بن يزيد، وهم في عمر بن

(١) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) في الأصل : « المحرف » . والتصويب عن أحمد الفايه .

وعندهم غناء ، فقلت : هذا وأتم أصحاب عهد صلى الله عليه وسلم ! فقالوا : إنه رُخص لنا في الغناء في العرس والبكاء على الميت في غير نوح . إلا أن شعبة قال : ثابت بن ودبة مكان ثابت بن يزيد ، ولم يذكر أبا مسعود .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى عن أبي طالب المكي : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمخيرة بن شعبة ، ومعاوية وضيهر ، وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي بإحسان .

وروى الحافظ أبو الفضل المقدسي بسند وضعه إلى عمر بن أبي زائدة قال : حدثني امرأة عمر بن الأصم<sup>(١)</sup> قالت : مررتنا ونحن جوارٍ بمجلس سعيد بن جبيرة ومعا جارية فتني ومعا دف وهي تقول :

١٠. لئن قنتني فهي بالأمس أقتنت \* سعيداً فأمسى قد قلى كل مسلم  
والتي مفاتيح القراءة وأشتري \* وصال التواني بالكتاب المنعم  
فقال سعيد : تكذرين تكذرين .

### ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعباد والزهاد

قالوا : وقد سمع الغناء من الأئمة الإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، وغيرهما من أصحابهما . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي<sup>١٥</sup> المقدسي رحمه الله تعالى بسند وضعه إلى الميرسي ، قال : مررتنا مع الشافعي وإبراهيم ابن إسمايل على دار قوم وجارية تغنيهم :

خليل ما بال المطايا كأنها \* نراها على الأعقاب بالقوم تنكس<sup>(٢)</sup>

(١) الذي في شرح الإحياء (ج ٦ ص ٤٦١) : « عمرو » .

٢٠ (٢) تنكس : ترجع . وقد ورد هذا البيت في الأمان (ح ٤ ص ١٦٤) هكذا :  
خليل ما بال المطايا كأنها \* راحا على الأدبار بالقوم تنكس

فقال الشافعي: ميلوا بنا نسمع . فلما قرغت قال الشافعي لإبراهيم : أبطرك  
هذا ؟ قال لا . قال : فإليك حسن !

وروى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: كنت أحب السماع  
وكان أبي يكره ذلك ، فواعدت ليلة آبن الخبازة ، فكت عندى إلى أن عاتت أبا  
قد نام ، فأخذ يغنى ، فسمعت خشفة فوق السطح ، فصعدت ، فرأيت أبي فوق  
السطح يسمع ما يغنى وذيله تحت إبطه وهو يتختر كأنه يرقص . قال : وقد رويت  
هذه الحكاية أيضا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل — وساق سندا إليه — قال: كنت  
أدعو آبن الخبازة وكان أبى ينهانا عن الغناء ، وكنت إذا كان عدى كتمته من أبى  
لثلا يسمع . فكان ذات ليلة عندى وهو يقول ، فعرصت لأى عندنا حاجة — وكانوا  
في زقاق — فجاء وتيمم يقول ، فوقع في تيممه شيء من قوله ، فخرجت لأنظر فلذا بابى  
يترجح ذاهبا وجائيا ، فرددت الباب ودخلت . فلما كان من الغد قال أبى : يابنى ، إذا

كان مثل هذا مع الكلام ، أرساء . قال أبو الفضل : وآبن الخبازة هذا هو أبو بكر  
محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الشاعر ، وكان طاصر أحد ورثاء حين مات .

وروى أبو الفضل أيضا بسند رفعه إلى [أبى] مصعب الزهرى أنه قال: حضرت  
مجلس مالك بن أنس فسأله أبو مصعب عن السماع ، فقال مالك : ما أدرى ، أهل العلم  
بيلدنا لا يتكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا يسكروه إلا غي<sup>٢١</sup> جاهل أو ناسك عراقى فليظ  
الطبع . وقال أيضا : أخبرنا أبو محمد التميمي ببغداد قال : سألت الشريف أبا على  
محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال : ما أدرى ما أقول فيه ، غير  
أنى حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة

(١) يترجح : يتأيل .

(٢) أبو مصعب : كنية أحمد بن أبي بكر الزهرى الملقب أحد رواة الموطأ عن الإمام مالك .

في دعوة عملها لأصحابه، حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية، وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعية، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسن ابن سمعون شيخ الوفاط والزهاد، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين، وصاحبه أبو بكر الباقلافي في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة، فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة يشبه واحدا منهم، ومعهم أبو عبد الله غلام تام، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن، وربما قال شيئا. فقل له: قل لنا شيئا، فقال لم وهم يسمعون:

خَطَلْتُ أَنَامِلَهَا فِي بطنِ قُرْطاسٍ • وَسَالَتْ بِمَسِيرٍ لَا بِأَقْيَاسٍ<sup>(١)</sup>

أَنْ زُرْدَيْتِكَ لِي مِنْ فِرْعَاقٍ عَشِيمٍ • نَفَقَتْ حَبْلُكَ لِي قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ<sup>(٢)</sup>

فَكَانَ قَوْلِي لَمْ آدِ رَسَالَتَهَا • قَفَلْتُ لِأَمْسِي عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

قال أبو علي: فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا بإباحة.

ومن أحب السماع والنساء وسمعه من الزهاد والعباد والعلماء أبو السائب المخزومي. روى أبو العرج الأصماني بسنده إلى صفية بنت الزبير بن هشام

قالت: كان أبو السائب المخزومي رجلا صالحا راحدا متقللا بصوم الدهر. وكان

أرق خلق الله قلبا وأشدهم غزلا. فوجه غلامه يوما يأتيه بما يطير عليه، فبضا<sup>(٣)</sup>

الغلام إلى التئمة. فلما جاء قال له: يا عدو نصيبه. ما أتركك إلى هذا الوقت؟

قال: اجتزت بياب فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته. فقال: هاته

يا بُني، فوالله إن كنت أحسنت لأجوك، وإن كنت أسأت لأصرتك.

فَأَنْدَفَعَ يَفْنَى بِشَعْرٍ كَثِيرٍ:

(١) بأقاس: جمع قاس وهو المداد. (٢) انمى وشرح الإحيرة. سبب من

• أَنْ زُرْدَيْتِكَ قَفَلْتُ لِي فِرْعَاقٍ عَشِيمٍ •

(٣) في الأغاني (ج ٧ ص ٣٠ طبع بولاق): «أبده».

وَلَمَّا طَلَوْا شَقَبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ \* تَقَطَّعُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عَلَانِي

فَلَا زِلْنَ حَسْرَى ظُلُمًا لَمْ حَتَّهَا \* إِلَى بَلَدٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

فلم يزل يفتنه ويستعيده الى نصف الليل . فقالت له زوجته : يا هذا ، قد أنتصف  
الليل وما أفطرت . فقال لها : أنتِ الطلاقُ إن أفطرتنا على غيره . فلم يزل يفتنه  
ويستعيده حتى أصر . فقالت له : هذا السحر وما أفطرتنا . فقال لها : أنتِ  
الطلاق إن كان محسورنا غيره . ثم قال لابنه : يا بُنَيَّ ، خذُ جُتِي هذه وأعطني خَلَقَكَ  
ليكون الجباءُ فضل ما بينهما . فقال له : يا أَيْتُ ، أنت شيخ وأنا شابٌ وأنا أقوى  
على البرد منك ، فقال له : يا بُنَيَّ ، ما ترك هذا الصوتُ للبرد على سَيْلَا ما حَيْثُ .

ويؤيد هذه الحكاية ماحكاه أبو طالب المكي في كتابه ، قال : كانت بعض  
السامعين يقات بالسماح ليقوى به على زيادة طيِّه ، كان يطوى اليوم واليومين  
والثلاثة ، فإذا تأقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماح ، فأثار تواجده ، فاستغنى  
بذلك عن الطعام .

وروى أبو الفرج بسنده الى عبد الله بن أبي مُليكة عن أبيه عن جده قال :  
كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والعفة ، وكان يشقى عبد الله بن جعفر ، فسمع  
جاريةً مُنْتَبِيةً لبعض الغنميين تُقَيِّ : ١٥

بِأَنْتِ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَقْطَعًا \* وَأَحْتَلَّتِ النَّوْرُ فَاِلْجَيْنِ فَالْقَرَوَا

وَأُنْكُرْتِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتِ \* مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا التَّيْبُ وَالْمَلَمَا

فهام الناسك وترك ما كان عليه ، حتى مشى إليه عطاء وطاؤس ولا ماء ؛ فكان جوابه  
لها أن تمتل : ٢٠

يَلُونِي فِيكَ أَقْوَامٌ أَجَالُ السَّهْمِ \* فَمَا أَبَالِي أَطَارَ الْقَلَمُ أَمْ وَقَعَ

(١) شغب : متل بين طريق مصر والشام . ( من معجم ما استعجم للبكري ) .

فبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إلى النخاس، فأعرض الجارية وسمع غنامها بهذا الصوت وقال: ممن أخذتیه؟ قالت: من عزة الميلاء؛ فأبتاعها بأربعين ألف درهم. ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبرها فأعلمه إياه؛ فقال: أحب أن تسمع هذا الصوت من أخذته عنه تلك الجارية؟ قال نعم. فدعا عزة الميلاء فقال: غني إياه. فغنته، فصعق الرجل [ونزع] مَشْيًا عليه. فقال ابن جعفر: أئتمنا فيه، الماء الماء! فتضع على وجهه. فلما أفاق قال له: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ قال: وما خفي عليك أكثر. قال: أتعجب أن تسمعه منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكتها! فأخرجها إليه وقال: خذها فهي لك؛ ووافقه ما نظرت إليها إلا عن عُرْض. فقبل الرجل يديه ورجليه وقال: أئمت عني، وأحييت قضي، وتركنتي أميش بين قومي، ورددت إلى عقلي، ودعا له دعاء كثيرا. فقال عبد الله: ما أَرْضَى أَنْ أُعْطِيَكُمَا هَكَذَا، يا غلام، أحمل معه مثل ثمنها، ففعل.

قال الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين»: كان ابن مجاهد لا يُجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع. قال: وكانت أبو الخير المسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع، وصنف فيه كتابا ورد فيه على مُتَكْرِيه. وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام، فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ قال: هو الصَّفَا الزَّلَال الذي لا تَبُت عليه إلا أقدام العلماء.

(١) الزيادة من الألف (ج ١٦ ص ١٩ طبع بولاق).

(٢) الصفا: المريض من الجارة الأملس.

وروى الأصفهاني بسند رضعه إلى ابن مَكَّاس قال : اصطحب شيخ مع شاب في سفينة في القُرَات ومعه مَغْنِيَّة . فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ وهى تَفْتِي ، فأجبنا أن نَسْمَعَ غناءها فهِينَاكَ ، فإن أَذِنَتْ فَعَلْنَا . فقال : أنا أصعدُ على أطلال السفينة ، فأصنعوا أتم ما شئتم ، فصعد وأخذت المَغْنِيَّةُ عودها وغنّت :

حتى إذا الصبح بدا ضوؤه \* وظابت الجوزاء والمِرْزَمُ  
أقبلت والوطء خَفِيٌّ كما \* ينسبُ من مَكَّته الأَرَمُ<sup>(١)</sup>

فطرب الشيخ وصاح ، ثم رمى بنفسه وبنيائه في القُرَات وجعل يقوص ويطفو ويقول : أنا الأرقم أنا الأرقم ! فالتقوا أنفسهم خلفه ، فبعد لأيٍ ما أَسْتخرجوه ، وقالوا : يا شيخ ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إليكم عَنِّي ، فإني أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون . فقالوا له : ما أصابك ؟ قال : دب من قديم شيء إلى رأسي كدبيب النمل ونزل من رأسي مثله ، فلما اجتمعنا على قلبي عَمِلْتُ ما عَمِلْتُ .

وقال أحمد بن أبي ثَواد : كنتُ أعيبُ الغناء وأطعنُ على أهله ، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّامِيَّة في حُرَافَةٍ ، ووجه في طلي فِصْرَتُ إليه . فلما قُرِبْتُ منه سمعتُ غناء حيرتني وشغلني عن كل شيء ، فسقط سَوْطِي عن يدي ، فالتفت إلى ظلامي أطلب منه سوطاً ، فقال لي : قد وافته سقط مني سوطي . فقلت له : أى شيء كان سببَ سقوطه ؟ قال : صوت سمعته لحيرتني ، فما علمتُ كيف سقط ، فإذا قِصَّتُهُ قِصَّتِي . قال : وكنتُ أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستغفر الناس منه

(١) في الأصل : « في خلال السمية » والصواب عن الأغاني (ج ٤ ص ٤١٨ طبع دار الكتب المصرية) والأطلال : جمع طلال ، وطلال السمية : شرايعها .

(٢) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ١٧١ طبع يولات) وفي الأصل : « في » .



فيطلب على عقولهم، وأنظر المعتصم عليه . فلما دخلت عليه يومئذ أعلمته بالخبر، فضحك وقال : هذا عني كان ينتهي :

إن هذا الطويل من آل خُص \* أنشَر المجد بعد ما كان مانا  
فإن ثُبِتَ مما كنت تناظر عليه من ذم الغناء سألته أن يعيده ، ففعلت وفعل ،  
فبلغ بي الطرب أكثر مما يبلغه من ضيى ، ورجعت عن رأي منذ ذلك اليوم .  
وعنه الذى أشار إليه هو إبراهيم بن المهدي .

ذكر من غنى من الخلفاء وأبنائهم ونُسبت له أصوات  
من الغناء نُقِلَتْ عنه

كان من غنى من الخلفاء — على ما أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتابه المترجم  
«بالأطاني» — ونُسبت له أصوات جماعة ، منهم عمر بن عبد العزيز قد نُسبت له  
أصوات ، ومنهم من أنكر ذلك . ولعل ما نقل عنه كان منه قبل الخلافة . وكان  
رحمه الله من أحسن الناس صوتا . فكان مما نسب إليه من الغناء :

علق القلبُ سُمادا \* عادت القلبَ فسادا  
كلُّ حُوبٍ فيها \* أو بُي عنها تهادى  
وهو مشغوفٌ بسعدى \* وعصى فيها وزادا

ومما نُسب إليه من الغناء ما قيل إنه غناه من شعر جرير :

(١) قفا يا صاحبي نَزُرْ سُمادَا \* لَوْشَكَ فِرَاقُهَا ودَعَا البِعادَا

(١) ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش هكذا :  
أما صاحبي نَزُرْ سُمادَا \* لقريب مزارعا وذرا البِعادَا

٢٠ ورد هكذا أيضا في الأغانى (ج ٨ ص ١٥٠) هذا النظم الثاني فانه هكذا :  
\* لَوْشَكَ فِرَاقُهَا وذرا البِعادَا \*

لَمَمَرَكْ لَمَ نَع سَمَد عَنِي • لَمَصْرُوفَ وَفَعِي عَنْ سَمَادَا  
إِلَى الْقَارُوقِ يَنْتَسِبُ أَبْنُ لَيْلَى <sup>(١)</sup> • وَمَرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْهَلْدَا  
وَمِنْ ذَلِكَ مَا قِيلَ لَهُ غَنَمٌ مِنْ شَعْرِ الْأَشْهَبِ بْنِ رَمِيلَةَ <sup>(٢)</sup> :

أَلَا يَا دِينَ قَبْلَكَ مِنْ سُلَيْمَى • كَمَا قَدْ دِينَ قَبْلَكَ مِنْ سَمَادَا  
هِيَ سَهَاتُ الْقَوَادِ وَهَاضَتَاهُ <sup>(٣)</sup> • وَلَمْ يُدْرِكْ بِذَلِكَ مَا أَرَادَا  
قِفَا تَعْرِيفٍ مَكْزَلٌ مِنْ سُلَيْمَى • دَوَارِيسَ بَيْنَ حَوَمَلٍ أَوْ عُرَادَا  
ذَكَرْتُ لَهَا الشَّيْبَ وَقَالَ لَيْلَى • ظَمَ يَزِدُ الشَّيْبُ بِهَا مَرَادَا  
فَإِنْ تَشَبَّ الْقَوَاتِبُ أَمْ عَمْرُو • فَهَدَّ لَاقِيتُ أَيَّامًا شَدَادَا

وَمَنْ غَفَى مِنْ خَلْقِهِ الدُّوَلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ، عَنِ دُوتٍ لَهُ صِنْمَةٌ، الْوَائِقُ بِاللَّهِ  
أَبُو جَمْفَرٍ هَارُونَ بْنُ الْمُتَعَصِّمِ بِاللَّهِ بْنِ الرَّشِيدِ، حَتَّى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدٍ رَفِيعٍ  
إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا دَارَ الْوَائِقِ بِاللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِلَى مَوْضِعٍ  
أَمَرَ أَنْ أَدْخُلَهُ لِإِنَّا كُنَّا جَالِسًا، فَصَمْتُ صَوْتِ عَوْدٍ مِنْ بَيْتٍ وَتَرْتُمًا لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ  
مِنْهُ . فَأَطْلَعَ خَادِمٌ رَأْسَهُ ثُمَّ رَفَعَهُ وَصَاحَ بِي، فَدَخَلْتُ وَإِنَّا أَنَا بِالْوَائِقِ بِاللَّهِ . فَقَالَ :  
أَيُّ شَيْءٍ سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ : الطَّلَاقُ كُلُّهُ لَازِمٌ لَهُ وَكُلُّ عَمَلُوكَ لَهُ حَرٌّ، لَقَدْ سَمِعْتُ  
مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ حُسْنًا ! فَضَحِكَ وَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ إِنَّمَا هَذِهِ فَضْلَةُ أَدَبٍ وَمِنْ  
مَعْنَاهِ الْأَوَائِلُ وَأَشْتَهَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعُونَ بَعْدَهُمْ وَكَثُرُوا  
فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ ؟  
قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ الَّذِي شَرَفَنِي بِمُطَابَكٍ وَبِجَمِيلِ رَأْيِكَ . فَقَالَ : يَا غُلَامُ، هَاتِ الْعَوْدَ وَأَعْطِ

(١) في الأصل : "لَمَرَكْ" . والتصويب عن الأغاني والديوان .

(٢) في الأصل : "سَمَد" . والتصويب عن الأغاني (ج ٨ ص ١٥٩) .

(٣) في الأغاني (ن ١٠ ص ١٥٨) : «وَأَمْبِتَاهُ» .

إسحاق رطلا؛ فدفن الرجل إلى وضرب وغنى في شر لأبي العتاهية بلعن صنعه فيه :  
 أضحى قبورهم من بعد عزتهم \* تنفى عليها الصبا والحرجف الشيل  
 لا يدغمون هواماً عن وجوههم \* كأنهم خشب بالقاع مُجْدِل  
 فشرى الرجل ثم قت . فدعوت له ، فأحتسنى وقال : أتستنى أن تسمعه  
 بالله ؟ قلت : إى والله ، فتنايه ثانية وثالثة ، وصاح ببعض خدمه وقال : إحمل  
 إلى إسحاق السامة ثلاثمائة ألف درهم . قال : يا إسحاق ، قد سمعت ثلاثة أصوات  
 وشربت ثلاثة أرتال وأخذت ثلاثمائة ألف درهم ، فأنصرف إلى أهلك مسروراً  
 لئسروا معك ، فأنصرفت بالمال . وقال أبو الفرج بسنده إلى عريب المامونية  
 قالت : صبح الواثق بالله مائة صوت ما فيها صوت ساقط . ولقد صنع في هذا  
 الشعر :

١٠

هل تعلمين وراء الحب مقالة \* تُدني إليك فإن الحب أقصاني  
 هذا كتاب قى طالت بيته \* يسول بأمتى بى وأحزاني

قال : وكان الواثق بالله إذا أراد أن يعرض صنعه على إسحاق نسبها إلى غيره  
 فقال : وقع إلينا صوت قديم من بعض العباثر فأسمعه ، وأمر من يغنيه إياه . وكان  
 إسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في ذلك أشد أخذ ، فإن كان جيداً رغبه وأستحسنه  
 وإن كان فاسداً أو مُطَرَّساً أو متوسطاً ذكر ما فيه . فإن كان للواثق فيه هوى سأل  
 تقويمه وإصلاح فاسده وإلا أطرحه . وقال إسحاق بن إبراهيم : كان الواثق أعلم  
 الناس بالنساء ، وبلغت صنمته مائة صوت ، وكان أحقق من غنى بضرب العود ، ثم  
 ذكر أغانيه . وذكر أبو الفرج الأصفهاني منها أصواتاً منها :

٢٠

ولم آر ليل غير موقف ليلية \* بخيف منى تربي حمار الخصب  
 ويئدى الحصى منها إذا خدفت به \* من البريد أطراف البنان المنصب

ألا إنما غادرت يا أُم مالك \* صدَى أَيْمًا تَلَهَّبَ به الرِّيحُ يَدَّهِي  
وأصبحتُ من لَيْلِ الغَدَاةِ كَنَظِيرِ \* مع الصَّيْحِ في أعْجَازِ نَجْمِ مُغْرِبِ  
وذكر أصواتا كثيرة غير هذا تركنا ذكرها اختصارا .

- قال : ولما خرج المتصم إلى عمورية استخلف الوائقي . فوجه الوائقي إلى  
الجلساء والمفتين أن يُكرِّوا إليه يوما حته لهم ، ووجه إلى إصحاق ، فحضر الجميع .  
فقال لهم الوائقي : إني عزمْتُ على الصُّبُوح ، ولستُ أجلس على سريرٍ حتى أخلط  
بكم ويكون كانشي الواحد ، فأجلسوا معي حلقة ، وليكن إلى جانب كل جليس  
مُتَقْنٌ ، فجلسوا كذلك . فقال الوائقي : أنا أبدأ ، فأخذ المود ففنى وشربوا وغنى من  
عده . حتى نهى إني إصحاق وأعطى السود فلم يأخذه ، فقال : دعوه . ثم فُتُوا  
دورا آخر ، فلما بلغ الفناء إلى إصحاق لم يبقَ ومض ذلك ثلاث مرَّات . فوثب  
الوائقي فجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا ، فلما قال لأحد منهم : اجلس . ثم  
قال : على بإصحاق . فلما رآه قال : يا خُوْزِي<sup>(١)</sup> يا كَلْبُ ، أَتَبَدَّلُ لك وأُغْنِي فتترفع  
علي ! أتراني لو قتلتك كان المتصم يُبَيِّدُنِي بك ! إِبْطَحُوهُ ، فبُطِحَ وضُرب ثلاثين  
مِفرقة صرَبًا خفيفا وحلف لا يُفَتِّي سائر يومه سواه ، فأخذت وتكلمت الجماعة فيه ؛  
فأخذ السود ، وما زال يغنى حتى أقضى مجلسه . وللوائقي باقية في الفناء أخبار  
وحكايات يطول بذكرها الشرح .

٨٥

ومنهج المتصم بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر .  
قال يزيد المهدي : كان المتصم حسنَ العلم بالفناء ، وكان إذا قال الشعر صنع فيه

(١) الخوزي : نسبة إلى الخوز ، وهي بلاد خوزستان ، وأهلها الآم الناس وأسقطهم مسا ، كما

وأمر المقتنين بإظهاره . فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تختم منه ؛ فلذلك لم تظهر أغانيه .

ومنهم المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل . ذكر أيضا أنه كان يفتي أصواتا . فلما غنى به في شعر صدي بن الرقاع :

لعمري لقد أحمرت<sup>(١)</sup> خيلنا \* بأكافٍ دجلة للصب  
فمن يك متاوت أمنا \* ومن يك من غيرنا يحرب

وهذه الأبيات من قصيدة لمدى بن الرقاع قالها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومُصعب بن الزبير وقيل فيها مصعب بن الزبير ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار عبد الله بن الزبير .

ومنهم المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله . هو بمن له يد في الغناء وصنعة حسنة . ومما قيل من أغانيه أنه غنى في شعر الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثرا \* مثل الشفيع الذي يأتيك عريا

وقال حيد الله بن عبد الله بن طاهر : إن المعتضد جمع النعم العشر في صوت صنعه في شعر دريد بن الصمة وهو :

يا ليتني فيها جذع \* أخب فيها وأضع

قال : وأستعلمني هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ، فتردده صحته ودلته على ذلك حتى تيقنه فسربه . قال حيد الله : وهو لعمري من جيد الصنعة ونادرها . قال : وقد صنع الخاتم في عدة أشعار قد صنع فيها النحول من القدماء والمحدثين

(١) أحمرت : برزت إلى الصمراء .

(٢) من هنا ابتداء المؤلف في الحديث عن المعتضد الذي هو ابن المعتز ولم يترجم له كما فعل في سابقه

(٣) كذا في كتاب الأغاني (ج ٩ ص ٢٠) وفي الأصل : « في هذه الأشعار صنع » الخ .

وعارضهم بصنعتيه فأحسن وشاكل وضاعى فلم يجز ولا قصر، ولا أتى بشيء يُستغنى عنه . قال : فمن ذلك أنه صنع في قول الشاعر :

أما القطاة فإني سوف أنصتها • فتأ يوافق نتي بعض ما فيها

بغاء في نهاية الجملة وهو أحسن ما صنيع في هذا الشعر على كثرة الصنعة فيه .  
وأشترك القدماء والمحدثين في صنعة مثل متبذ ونشيط ومالك وآبن مخزوم وسنن وعمر الوادي وآبن جلع وإبراهيم وآبنه إسحاق وطوبه .

قال : وصنع في :

تَشَكَّى الْكَيْتُ الْجُرَى لَمَّا جَعَلَهُ • وَيَنْ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

لما قصر في صنعة ولا عجز عن بلوغ الناية فيها مع أصوات له صنعها تُظهر مقلقة صوت ما فيها ساقط ولا مردول . فهؤلاء الذين لم صنعة في الفناء من الخلفاء .



وأما أبناء الخلفاء الذين لم صنعة بد في هذا الفن .

فمنهم إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة بنت المهدي رحمهما الله تعالى،  
وإبراهيم يكنى أبا إسحاق أمه شكلة أمة مولدة كان أبوها من أصحاب المازيار  
يقال له : شاه أفزند قتل مع المازيار وُسِّيت شكلة عُحِلت إلى المنصور فوهبها  
لحياة أم ولده فربتها وبعث بها إلى العائف فنشأت هناك، فلما كبرت رُكبت إليها .  
فراها المهدي فأعجبته فطلبها من حمية فأعطته إياها فولدت له إبراهيم .

(١) كما بالأصل والأمان ( - ص ٤٩ ) وقوله : شكلة أمة إبراهيم بن المهدي وهي بنت  
نورسان مهران المصطفاني ؛ ركنت مصححه جرد - « مصر » . لأول من هذا الكتاب القيم

قال أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم قال :

كان إبراهيم بن المهدي أشد خلق الله إعظاماً للفناء وأحرصهم عليه وأشدّهم منافسة فيه . قال : وكانت صنعة لبنة فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى غيره لئلا يقع عليه طعن أو تفرّج فقلتُ صنعة في أيدي الناس مع كثرتها . وكان إذا قيل له فيها شيء يقول : إنما أصنع تطريزاً لا تكسباً وأغنى لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتئى .  
قال : وكان حسنُ صوته يستر عوّار ذلك . وكان الناس يقولون : لم يرفق جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته طيبة . وكان إبراهيم يجلب إسماعيل ويأخذ عليه في مواطن كثيرة إلا أنه كان لا يقوم له ويظهر إسماعيل<sup>(١)</sup> خطاه . ووقع بينهما في ذلك بين يدي الرشيد وفي مجلسه كلام كثير أفضى إلى أمور نذركها إن شاء الله تعالى في أخبار إسماعيل بن إبراهيم .

١٠

وكان إبراهيم بن المهدي في أوّل أمره ينسّتر في الفناء بعض التستر إلا أنه يذكره في مجلس الرشيد أخيه . فلما كان من أمره في القلوب على الخلافة ما نذركه إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة العباسية عند ذكرنا خلافة المأمون بن الرشيد ، ثم [لمّا]<sup>(٢)</sup> أتمته المأمون بسد هربه منه تهتّك بالفناء ومشي مع المفتين ليلاً إذا خرجوا من عند المأمون ، وإنما أراد المأمون بذلك ليظهر للناس أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه وأنه تهتّك فلا يصلح للخلافة . وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطعمهم في الفناء وأحسنهم صوتاً . وكان مع طبعه وطبعه ومعرفة يقصّر عن الفناء القديم وعن أن يتجوّه في صنعة . فكان يحذف ثم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً

١٥

(١) كما في الأصل . وفي الأصل : « لا يقوم به » وهو تصحيف .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

وَيَحْقِّقُهَا عَلَى قَدْرِ مَا يَصْلَحُ لَهُ وَيُجِى بِأَدَائِهِ فَلَمَّا عَیِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ : أَنَا مَلِكٌ وَأَبْنُ  
مَلِكٍ وَإِنَّمَا أَغْنَى عَلَى مَا أَشْتَبِيهِ وَكَأَنَّكَ . فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَ الْفَنَاءَ الْقَدِيمَ .

وَرَوَى عَنْ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي : لَوْلَا أَنِّي أَبْغَضْتُ  
نَفْسِي عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَأُظْهِرْتُ مِنْهَا مَا يَعْلَمُ النَّاسُ مَعَهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا قَبْلِي مِثْلَ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ  
أَبْنُ الْمُهْدِي قَالَ :

دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الرَّشِيدِ وَبِي قَضِيَّةٌ تُحَارِوِينِ يَدِيهِ ابْنُ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ  
فَقَالَ : بِحَيَاتِي يَا إِبْرَاهِيمُ غَرَّ ، فَأَخَذْتُ الْعُودَ وَلَمْ أَتَفَتَّ إِلَيْهِمَا لَمَّا فِي رَأْسِي مِنَ  
الْقَضِيَّةِ فَتَنَيْتُ :

أَسْرَى بِخَالِدَةَ الْخَيْلِ وَلَا أَرَى • شَيْئًا أَلَدَّ مِنَ الْخَيْلِ الطَّارِقِ ١٠  
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مِنْ تَمَلُّ حَدِيثِهِ • فَأَقْعَمَ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَاقِعِ  
أَهْوَاكَ فَوْقَ هَوَى النَّفْسِ وَلَمْ يَزَلْ • مَذُونَتِ قَلْبِي كَالْجَنَاحِ الْخَافِقِ  
شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تَجَازِ مَوَدَّتِي • لَيْسَ الْمَكْتَبُ كَالْحَبِيبِ الصَّادِقِ

فَسَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ لِابْنِ جَامِعٍ : لَوْ طَلَبَ هَذَا بِهَذَا الْفَنَاءَ مَا طَلَبَ لِمَا  
أَكَلْنَا جِزًا أَبَدًا فَقَالَ ابْنُ جَامِعٍ : صَدَقْتَ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ غِنَائِي وَضَعْتُ الْعُودَ  
ثُمَّ قُلْتُ : خُذَا فِي حَقِّكَ وَدَعَا بِاطْلَانَا .

وَرَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :

كَانَ الرَّشِيدُ يَحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ نَحْلًا بِى مَرَاتٍ إِلَى أَنْ يَمِيعَ ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً

(١) كَمَا فِي الْأَعَانِي (ج ٩ ص ٥٠) وَفِي الْأَمَلِ : « طَرْدَةُ نَحَارِ » .

(٢) كَمَا فِي الْأَعَانِي - وَفِي الْأَصُولِ : « خَالِدَةُ » بِاللَّامِ . ٢٠



وعنده سليمان بن أبي جعفر فقال لي : عمك وسيد ولد المصور بعد أبيك وقد أحب  
أن يسمعك ، فلم يتركني حتى غثت بين يديه :

سَقِيَا لِرَمِيكَ مِنْ رَجِيحِ بَدِي سَلَمٍ • وَلَازِمًا بِهِ إِذْ فَلاكَ مِنْ زَمَنِ  
إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمْ يَنْهَكَ حَبِيبَةٌ • وَإِذْ أُجْرُ إِلَيْكُمْ سَلِيدًا رَسَنِي<sup>(١)</sup>

ظمروا بالف ألف درهم ، ثم قال لي ليلة ولم تبق في المجلس عنده إلا جعفر  
أبن يحيى : أنا أحب أن تُسَرِّفَ جعفرًا بأن تُنْقِيه صوتًا ففقتُه لنا صنته في شعر  
القلوب :

كَانَ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصِيفِ إِذْ وُصِفَتْ • دِينَكَو حَيْنَ مِنَ الْمَضْرُوبَةِ السُّتِّي  
ظمروا الرشيد بالف ألف درهم .

١٠ وحكي عن إسحاق بن إبراهيم قال : لما صنت صوتي الذي هو :

قُلْ لِمَنْ صَدَقِيًا • وَثَأَى عَنْكَ جَانِيًا  
قَدْ بَلَّغْتَ الَّذِي أُرِدَ • تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا  
وَأَعْرِفْنَا بِمَا أَتَمِمَ • تَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبَا  
فَأَفْصَلِ الْآنَ مَا أُرِدَ • تَ قَدْ جَهْتُ تَائِبَا

١٥ اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب إلى يسألني عنه ، فكتبت إليه الشعر  
ولطافته وبسيطه وبجراه وإحصيه ونجيزته وأصلمه ومخارج قومه ومواضع مقاطعه  
ومقادير أدواره وأوزانه فنتاه ثم لقيني فنتانيه ، ففضلني فيه بحسن صوته .  
وقال أبن أبي طيبة : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحج فاطرب .

(١) السادر : الحميم ، والرزن : الخيل .

(٢) كذا في الأصل . وفي الأصل : « وساطة » وهو تحريف .

ومن محمد بن خير عن عبد الله بن العباس الرّبيعي قال :

كنا عند إبراهيم بن المهدي فأت يوم وقد دعا كلّ محسن من المؤمنين يومئذ وهو جالس يلعب أحدهم بالشطرنج فترتم إبراهيم بصوت فريدة في شعر أبي العتاهية :

قال لي أحدٌ ولم يدركني • أتحبُّ الفسادة حُبَّه حَقًّا

فَنَضَّيْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حَبَّاجِي فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فِرْقًا

وهو متكئ<sup>(١)</sup>، فلما فرغ ترتم به غارق فاحسن فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فغناه

إبراهيم وزاد في صوته على غناء غارق . فلما فرغ رده غارق وغناه بصوته كله

وتحفّظ فيه وكذا نظير سرورًا . فاستوى إبراهيم جالما وكان متكئا وغناه بصوته كله

ورقاه تنم وشذوره ونظرت إلى كتفيه تهتان وبدنه أجمع يقهرك إلى أن فرغ منه

وحنائق شاخص نحوه يرمد وقد اتسّع لونه وأصابه تخرج لجل إلى أن الإيوان

يسير بناء فلما فرغ منه تهدم إليه غارق فقبل يده وقال : جعلني الله فداك ابن أنا

ملك ! ثم لم يتضع غارق بنفسه بقية يومه في شيء من غناؤه، والله لكأنما كان يتخلّث .

وروي عن منصور بن المهدي قال :

كنت عند أبي إبراهيم في يوم كانت عليه فيه قوبة لمحمد الأمين . فتشاكل بالشرب

في بيته ولم يبيض، وأرسل إليه الأمين عتة رسل فتأخر . قال منصور : فلما كان

من قِد قال لي : ينبغي أن نعمل على الرواح إلى أمير المؤمنين فترضاه ، فما أشك

في غضبه طينا . ففضينا فسالنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير الوحش وهو

مخمر ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه النحر . فدخلنا ، وكان طريقنا على

(١) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « يكر » وهو تحريف .

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « ما طربه » .

(٣) كذا في الأغانى . والمير : شه الحسية . وفي الأصل : « حاشر الوحش » وهو تحريف .

تُصنع فيها الملاهي ، فقال لى : انهب فاحترق منها عودا نرضاه وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا يحتاج إلى إصلاحه وتغييره عند الضرب به ؛ ففعلت وجعلته فى كفى . ودخلنا على الأمين وظهروه إلينا . فلما بصرنا به من بعيد قال : أخرج عودك فأخرجته ، فاندفع يفتى :

وكأين شربت على لذة \* وأخرى تداويت منها بها  
لكي يعلم الناس أنى أمرؤ \* أيت الفتوة من بابها  
وشاهدنا الورد والياسمين \* ن والمُسِمِعات بفضائها  
وبربطنا دائم مفضل \* فأتى الثلاثة أزرى بها

(٤٧)

فأستوى الأمين جالسا وطرب طربا شديدا وقال : أحسنت والله يا عم وأحييت لى طربا . ودعا برطل فشربه على التزيق وابتدأ شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يُقْنَاهُ إليها فى العود ، وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط . ولقد رأيت منه شيئا عجيبا لو حدثت به ما صدقت : كان إذا ابتداء يفتى صغرت الوحوش إليه ومدت أعناقها ، ولم تزل تدنو حتى تكاد تضع رءوسها على الدكان الذى تحا عليه ، فلذا سكّت ففرت وبعثت عنا حتى تقمى إلى أبعد غاية يمكنها التباعد عنا فيها ، وجعل الأمين يسجب من ذلك ، وأنصرفنا من الجوائز بما لم يتصرف بمثله قط .

ومن الحسن بن إبراهيم بن رباح قال :

كنت أسأل محارفا : أى الناس أحسن ضياء ؟ فكان يجيبني جوابا مجلا ، حتى

(١) فى الأغاني واللبان : « وشاهدنا الجبل » . وقال صاحب اللسان : والجبل الذى ؟ شر

الأشهى هو الورد ، قارىء « حرب » . (٢) القصاب : الأوتار التى سويت من الأصابع . وقيل :

جمع قاصب وهو الزامر . (٣) الربط : العود .

(٤) فى الأغاني (ج ٩ ص ٦ طبع بولاق) : « وامتد فى شربه » .

حققت طيه يوما فقال : كان إبراهيم الموصلي أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناء مني بعشر طبقات . ثم قال لي : أحسن الناس غناء أحسنهم صوتا . وإبراهيم بن المهدي أحسن الإنس والجن والوحش والطير صوتا ، وحسبك هذا ! .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال :

غنى إبراهيم بن المهدي ليلة محمد الأمين صوتا لم أرضه في شر لأبي نواس ،

وهو :

يا كبر النوح في الدني \* لا طبا بل على السكني  
سنة العشاق واحدة \* فإذا أحببت فاستني  
ظنني من قد كلفت به \* فهو يغفوني على الظن  
رشا لولا ملاحظه \* خلت الدنيا من الفتن

١٠

فأمر له بثلاثمائة ألف دينار . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين . أجزتني إلى هذه الغاية بمشرين ألف ألف درهم ! فقال : وهل هي إلا خراج بعض الكور . هكذا رواه إسحاق ، وقد حكيت هذه الحكاية عن محمد بن الحارث ، وفيها أن إبراهيم لما أراد الانصراف قال : أوقروا زورق عمي دنائير فاقروه ، فأنصرف بمال جليل . قال : وكان محمد بن موسى المتعم يقول : حكى أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناء يرهان ، وذلك أني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمتعم يتنن المغنون ويغني ، فإذا ابتدأ بالصوت لم يبق من الغلمان أحد إلا ترك ما في يديه وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مضطجعا إليه لاهيا عما

١٥

(١) في الأغاني : " فاستكن " .

٢٠

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « بعض الكورة » وهو تحريف .

كان فيه ما دام يفتي ، حتى إذا أمسك وتفتي غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم ينبعثوا إلى شيء . فلا برهان أقوى من هذا [ في مثل هذا من ] شهادة القطن به وأتفاق الطابع مع اختلافها وتشعب طرقها على الميل إليه والافتقار نحوه .

ولإبراهيم بن المهدي أصوات معروفة . منها ما غناه بشعر مروان بن أبي حفصة :  
 هل تطيمسون من السماء نجومها \* بأكفكم أو تسترون هلالها  
 أو تدفعون مقالة من ربكم \* جبريل بلغها النبي فقالها  
 طرقتك زائرة غي خيالها \* زهراء تخلط بالدلال جمالها

وأما عليّة بنت المهدي . فقد قيل : ما أجمع في جاهلية ولا إسلام  
 أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة . وروى عن أبي أحمد  
 ابن الرشيد قال : كنت يوما بمحضرة المأمون وهو يشرب ، ثم قام وقال لي : قم ،  
 فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء أذهل عقلي ولم أقدر أن أقدم  
 ولا أأتخر ، وقطن المأمون لما بي فضحك وقال : هذه عميتك عليّة تطارح عمك  
 إبراهيم .

قال أبو الفرج : وأم عليّة أم ولد مغنية يقال لها مكنونة ، كانت من جوارى  
 المروانية المغنية . والمروانية هذه ليست من آل مروان بن الحكم ، وإنما هي زوجة  
 الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس . وكانت مكنونة من أحسن جوارى  
 المدينة وجهاً ، وكانت رصحاء ، وكانت حسنة البطن والصدر . فاشترت للمهدي  
 في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فظلت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما ملك

(١) الزيادة من الأغاني (ج ٩ ص ٧٢ طبع بولاق) .

(٢) رصحاء : قليلة لحم الصبية .

أمةً أظَلَّ على منها . ولما أَشْرَيْتَ للهدى سَرَّ أَمْرَها عن أبيه المنصور حتى مات ،  
وولدت للهدى طية هذه .

وكانت طية بنت المهدي من أجل الناس وأظرفهم ، يقول الشعر الجيد  
وتصوغ فيه الألفاظ الحسنة . وكان في جبينها فضل سعة ، فاتخذت المصائب  
المكحلة بالجواهر لتستر بها جبينها ، فهي أول من أحدث ذلك .

قال : وكانت طية حسنة الدين ، وكانت لا تقبى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت  
مُعْتَرِلة الصلاة ؛ فإذا طهرت أقبلت على الصلاة وقراءة القرآن وقراءة الكتب . ولم تله  
بشيء غير قول الشعر في الأحيان ، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على  
خلافه . وكانت رحمها الله تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيا حلل منه  
عوضاً ، فأبى شيء يحتاج عاصيه والمتكبر لحُرْمَته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي  
فاحشةً ارتكبتها قط ، وما أقول في شعري إلا عبثاً .

وعن سعيد بن هرم قال : كانت طية بنت المهدي تحب أن ترسل بالشعر  
من تختصه ، فأختصت خادماً يقال له طلل من خدم الرشيد ، تُراسله بالشعر . فلم تره  
أبداً ، فشت على ميزاب وحدثته ثم قالت في ذلك :

قد كان ما كُفِّتُه زمناً \* ياطل من وحيدي بكم يكفى

حتى أتيتك زائراً عجلاً \* أُميتي على حَنَفٍ إلى حَنَفٍ<sup>(١)</sup>

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تُسميه باسمه ، فضمنت له ذلك . واستمع  
عليها يوماً وهي تقرأ آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عر وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَنْصِبْهَا  
وَأَيْلٍ ﴾ فأرادت أن تقول : ( فَطَلَّ ) فقالت : فالذي نهى عنه أمير المؤمنين . فدخل

(١) في الأصل : "أشئ على حنفى إلى حنفى" .

الرشيد تقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلاً ولا أمتعِك بعدها من شيءٍ تُريدينه .  
ولها في طَلِّ هذا عدةٌ أشعار صنعت فيها الحانا ، وكانت في بعضها تصحفتُ اسمه وتكنى  
عنه بغيره . وكانت أيضاً تقول الشعر في حادم لما يقال له : رَشَا وتكنى عنه بزَيْنَب .  
فمن شعرها فيه :

وَجَدَ الْفَوَازُ زَيْنَبَا • وَجَدَا شَدِيدًا مُتَعِبَا  
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِهَا • أَدْعَى شَقِيًّا مُتَعَبَا  
وَلَقَدْ كَتَبْتُ عَنْ أَسْمَا • عَمَدًا لَكِي لَا تَقْضِيهَا  
وَجِلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ • وَكُنْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا  
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا • لِي وَلَمْ أَجِدْ لِي مَلْعَبَا  
وَإِنَّ لَا تِلْكَ الْمَوَدَّةَ أَوْ تَنَالِ الْكُوكَبَا

فصحفتُ اسمه في قولها : " زينا " ، وهذا من الجناس الخلقى . قال : وكانت لأُمِّ  
جعفر جارية يقال لها طُفَيان ، فوشتُ بعليةً إلى رَشَا وحكت عنها ما لم تهل .  
فقالت علية :

لِطُفَيَانَ خُفُّ مَذْلَمَيْنِ حِجَّةَ • جَدِيدُ فَلَا يَسِيلَ وَلَا يَخْفَرُ قِيَّ  
وَكَيْفَ بَلَى خُفُّهُوَ الدَّمْعُ كُلُّهُ • عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّمَاءِ مَعْلَقُ<sup>(١)</sup>  
فَمَا تَحَرَّقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُثَلِّبْ جَوْرَبَا • وَأَمَّا سَرَاوِيلُهَا فَتُمَزَّقُ  
وَرَوَى عَنْ أَبِي هَفَّانَ قَالَ :

أُهِدِيتُ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ؛ نَفَلَ مَعَهَا يَوْمًا وَأَنْعَجَ كُلَّ قَيْتَةٍ فِي دَارِهِ  
وَأَصْطَبَحَ . وَكَانَ مَنْ حَضَرَ مِنْ جَوَارِيهِ الْعَنَاءَ وَالْحَدَمَةَ فِي الشَّرَابِ زَهَاءً أَنَّى جَارِيَةٍ  
فِي أَحْسَنِ زِيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْجٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ بِالْخَبْرِ بِأُمِّ جَعْفَرِ

(١) رواية الأمامي (ج ٩ ص ٨٥ طبع بولاق) : " في السَّهْوِ " .

فظم عليها ذلك؛ فأرسلت إلى طيبة تشكو إليها . فأرسلت إليها علية : لا يهولنك هذا، والله لأردنّه إليك . قد عزمتُ أن أضع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارى، فلا تُثني عليك جارية إلا بعثت بها إلى واليسين أنواع الثياب ليأخذن الصوت مع جوارى؛ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وطيّة وأم جعفر قد خرجتا إليه من مخبرتهما معهما زهاء ألفي جارية من جوازيهما وسائر جوارى القصر علمن غرائب الألباس وكلهن في لحن واحد هنّج صنعه طيبة وهو :

مُفَصِّلٌ عَنِّي وما \* قلبي عنه مُفَصِّلٌ  
يا هاجري اليوم لمن \* نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ يَصِلَ

فطُرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل أم جعفر وطيّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أراك اليوم قط . يا مسرور، لا تُبقي في بيت المال درهمًا إلا قرره . فكان ما تُرى يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما يُسمع بمثل ذلك اليوم .

وروى عن عريب أنها قالت : أحسن يوم رأيته في الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته طيبة وعندها أخوها يعقوب بن المهدي، وكان أحسن الناس بالزمر . فبدأت طيبة ففتت من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

تَحَبَّبْ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ \* وَكَمْ مِنْ بَيْدِ الْبَايُوسُوجِبِ الْغَرَبِ  
تَبَصَّرْ فَإِنْ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَا هَوَى \* نَجَا سَالِمًا فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ يُخْطِ وَلَا رِضَا \* فَإِنْ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكُتُبِ

وغنى إبراهيم في صنعتها وزمر طيبة يعقوب :

لَمْ يُلَيْسِيكَ سرورٌ وَلَا حَزَنٌ \* وَكَيْفَ لَا، كَيْفَ يُسَيِّ وَجْهُكَ الْحَسَنُ  
وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي \* كُلِّي بِكُلِّكَ مَشْفُولٌ وَمُرْتَهَنُ



يا فردة الحسنى مالى منك مذكت \* قيسى بجيك <sup>(١)</sup> إلا الم والحزن

نور تولد من شمس ومن قير \* حتى تكامل فيك الروح والبذر

قالت عريب : فما سمعت مثل ما سمعت منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

وروى من خشف الواحية قالت : تماريت أنا وعريب فى غناء طلبة بمضرة

⑤

المتوكل أو غيره من الخفاء . قلت أنا : هى ثلاثة وسبعون صوتا ، وقالت عريب :

هى أثنان وسبعون صوتا . فقال المتوكل : غنيا غلما ؛ فلم أزل ألقى غلما حتى

مضى أثنان وسبعون صوتا ، ولم أدر الثالث والسبعين . قالت : فقطع بى

وأستطعت عريب ، وأنكرت . قالت خشف : فلما كان الليل رأيت طلبة فيما يرى

النائم ، قالت : يا خشف خافتك عريب فى غنائى . قلت : نعم يا سيدى .

قالت : الصواب عليك ، أفتدين ما الصوت الذى أليجيه ؟ قلت : لا والله ،

ولوددت أنى قديت ما جرى يجمع ما أملك . قالت : هو :

بني الحب على الجور فلو \* أنصف المشوق فيه لسمع

ليس يستحسن فى وصف الموى \* عاشق يعرف تأليف الجميع

وقبل الحب صرقا خالصا \* لك خير من كثير قد مزيج

وكانها قد أندمت قفى به ، فما سمعت أحسن مما غتته ، وقد زادت فى فيه

أشياء فى نوى لم أكن أعرفها ، فأنتبهت وأنا لا أعقل فرحا به . باكرت الخليفة

وذكرت له القصة . فقالت عريب : هذا شئ صنعته أنت لما جرى أمس ،

وأما الصوت فصحيح . فحفظت الخليفة بما رضى به أن القصة كما حكيت . فقال :

رؤياك والله أعجب ، رحم الله طلبة ! فارتكت طرهاحية ولامته . وأجلزنى جائزه سيئة .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده إلى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال ~~شهدت~~ شهدت أبي جعفرًا وأنا صغير وهو يحدث جدتي يحيى بن خالد في بعض ما كان يُحبره به من خلوته مع هارون الرشيد، قال: يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين وأقبل في شجره يخرقها حتى انتهى إلى شجرة مُغلقة، ففتحها بيده ودخلها ودخلت وأخاطب بها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رواق ففتحه، وفي صدره مجلس مُتقى فقمنا على باب المجلس، وقرأ الباب بيده قرات فسمعنا حسًا، ثم أعاد القُرْ ثانية فسمعنا صوت هود، ثم أعاد القُرْ ثالثة ففنت جارية ما خلنْتُ والله إن الله جل وعز خلق مثلها في حسن الفناء وجودة الضرب . فقال [ها] أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غنى صوتي ؛ ففنت صوته ، وهو :

وَعَنَّتْ شَيْدَ الزَّفَافِ وَقَبْلَهُ \* غَنَّى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُسْتَبَا  
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقُرُ دَفْعَهُ \* قَرَأَ أَقْرَبَهُ الْعِيسُونَ وَأَطْرَبَا  
إِنِّ النِّسَاءَ رَأَيْتُهُ فَشَقَقْتُهُ \* فَشَكَّوْنَ ثَلَاثَةَ مَاهِنٍ فَكَذَّبَا

قال : فَطَرِبْتُ والله طَرِبًا هَمَمْتُ مِمَّ أَنْ أَطْلُعَ بِرَأْسِي الْحَاطِطَ . ثم قال : غَنَّى :

\* طَالُ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي \*

فَفَنَّتْ :

طَالُ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي \* لَمْ أَجِدْ هَهُنَا لِمَظْلُوقِ  
إِنِّ نَاسًا فِي الْهَوَى قَدَّرُوا \* حَسَبُوا قَضَى الْمَوَائِيقِ  
لَا تَرَانِي بِمِلْهِمْ أَبَدًا \* أَشْتَكِي شَقًّا لِحَشْوِقِ

قال : فَرَقَصَ الرَّشِيدُ وَرَقَصْتُ مَعَهُ ؛ ثم قال : آمِضْ بَنَا ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو مِنَّا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَضَيَّنَا . فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الْبَهْلِيزِ قَالَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِي :

عرفت هذه المرأة؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك وأنا أخبرك بها ، هذه طيبة بنت المهدي . ووالله لئن لفظت به بين يدي أحد وبلغني لأقتلك . قال : فسمعت جدتي يقول لأبي : فقد والله لفظت به ، ووالله ليقتلك ، فأصنع ما أنت صانع .

وأخبار طيبة وأغانها كثيرة ، وقد ذكرنا منها ما يكفي به .

قال أبو الفرج : وكان مولد طيبة سنة ستين ومائة ، وتوفيت سنة عشرة ومائتين ، وقيل : سنة تسع ومائتين ، ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمه اليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى ، فشربت من ذلك وسعلت ثم حُت بقب هذا أياماً يسيرة ومات . رحمه الله .

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد . هو أبو عيسى أحمد ، وقيل : بل اسمه صالح بن هارون الرشيد . وأمه أُم ولد بربرية . كان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرة وأجتهنهم وأحلهم نادرة وأشدهم عبثاً . وكان أبو عيسى جميل الوجه جداً ، فكان إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما كانوا يجلسون للخلق . وكانت عيرب المأمونية تقول : ما سمعتُ غناءً أحسنَ من غناء أبي عيسى بن الرشيد ، ولا رأيتُ وجهاً أحسنَ من وجهه .

وروي أن الرشيد قال يوماً لأبي عيسى وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله ! (بمعنى المأمون) فقال له : يا أمير المؤمنين ، على أن حفظه منك لي . فحجب الرشيد من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .

(١) الرشيد علة أولاد منهم أبو عيسى وصالح وعيرها . (اطرح الخ المأثور لأبي عيسى)

قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جَيِّدَ الصَّنْعة ، وله أَقَانٌ منسوبةٌ إليه ومروءةٌ

به . منها :

رَقَدْتُ عَنْكَ سَلَوَتِي \* وَالْمَسْوَى لَيْسَ يَرْقُدُ  
وَأَطَارُ الْمَهَادُنُو \* يَحْيَى فَنَسَوِي مُشَرَّدُ  
أَنْتَ بِالْحُسَيْنِ مِنْكَ يَا \* حَسَنَ الْوَجْهِ يُشْهَدُ  
وَقُؤَادِي بِحُسْنِي وَجْهِكَ يَنْسَقِي وَيَكْدُ

وله غير هذا من الأصوات . قال : وكانت كثير البَسِيطِ والمُجَوِّنِ والبَثِّ .  
وكان المأمون أشدَّ الناس حبا له ، وكان يُعِدُّه للأمر بعده ويدكر ذلك كثيرا .  
حتى لقد حُكي عنه أنه قال يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وقد المُلك ، ولا يسهل  
شيء منها على أحد ؛ وذلك لحبِّي أن علي أبو عيسى الأمر بعدي لِشدة حبي إياه .  
وكانت وفاة أبي عيسى في سنة سبع ومائتين .

رَوَى عن جدِّه بن طاهر قال : حدثني من شهيد المأمون ليلة وهم يترامون  
هِلالَ شهر رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه ، فأراه وجعلوا  
يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر عليه ؛ كأنه يستخط لورود الشهر ، فما صام  
بعده . ويُقَالُ عنه أنه قال :

دِهَانِي شَهْرُ الْمَسُومِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ \* وَلَا صَحْتُ شَهْرًا بِهَدَى آخِرِ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup>  
فَلَوْ كَانَتْ يُسَيِّدِي الْإِمَامُ بَقْدَرَةٍ \* عَلَى الشَّهْرِ لَا سَتَعْدِيْتُ جُهْدِي عَلَى الشَّهْرِ<sup>(٢)</sup>  
فَنَالَهُ بِعَقَبِ هَذَا الْقَوْلِ صَرَعٌ ، فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ . وَلَمَّا  
مَاتَ وَجَدَ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ وَجْدا شديداً .

(١) كذا في الأمان (ج ٩ ص ٩٦ طبع بولاق) . روى الأصل : « دَعَانِي » .

(٢) يقال : استعديت على فلان الأمر فأعداني أي آمنت به عليه فأعداني .

روى عن محمد بن عبد المهيبي قال :

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت على المأمون فقلت عمامتي وبنيتها ورائي — والخلفاء لا تمزى في العمام — فقال لي : يا محمد ، حال التقدر ، دون الوطر . قلت : يا أمير المؤمنين ، كل مُصيبة أخطأتك شوى<sup>(١)</sup> ، فجعل الله الحزن لك لا عليك ! . قال : فركب المأمون إلى دار أبي عيسى فحضر جهازه وصلى عليه ونزل في قبره . وأمتنع من الطعام أياما حتى خيف أن يضر ذلك به . قال : وما رأيت مصابا حزينا قط أجمل أثرا في مُصيبته ولا أحرق وجدا منه ، صامتٌ ودموعه تهيم على خديه من غير كلع ولا استنثار .

وروى عن أحمد بن أبي دؤاد قال : دخلت على المأمون وقد توفى أخوه أبو عيسى وهو يكي ويمسح عينه بمنديل ، فعدت إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلت قول الشاعر :

قص من الدنيا وأسبابها \* قص المنايا من بني هاشم

فلم يزل على تلك الحال يكي ثم يمسح عينه ، وتمثل :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تنقص \* لحسبك مني ما يُجيز الجوائع<sup>(٢)</sup>

كان لم يمض حتى يسواك ولم تقم \* على أحد إلا عليك النوائج

ثم التفت إلى وقال : هيه يا أحمد ! فتمثل بقول عبدة بن الطيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم \* ورحته ما شاء أن يترحمها

نجية من أوليته منك نعمة \* إذا زار عن تحيط بلادك سلما

(١) شوى : حصة . يقال : كل شوى ما سلم لك ديك ، أى هبه . (٢) كذا

في الأصل والأعاني . والله في ساجه الله : كلع (وزان مع) كلوحا وكلحا (بصهما) : تكثر

في عبوس . (٣) كذا في الأعاني . وفي الأصل : « الجوارح » .

فكان قيسُ مُلكه هُلكَ واحدٌ \* ولكنه بُيَّاتُ قومٍ تَهْتَكُوا  
فبكى ساحةً ، ثم أُلْتُفِتْ إلى عمرو بن مسعدة فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم  
يا أمير المؤمنين :

بُكَوا حُدَيْفَةً لم تُبْكَوا مثله \* حتى تعودَ قبائلُ لم تُحْلَقِي

قال : فلما عَرِيب وجوارٍ معها يسمعن ما يدور بيننا ، فقالت : اجعلوا لنا معكم  
في القول نصيباً . فقال المأمون : قولي ، فَرُبَّ صوابٍ منك كثير . فقالت :

كَلَّا قَلِيلٌ لَنُغْلَبُ وَلَيَقْدَحِ الْأَمْرُ \* قَلِيلٌ لَعِينٍ لَمْ يَقْصُ مَاؤُهَا عُدْرُ  
سَكَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَفَايِهِ \* نَجُومُ سَمَاءٍ تَحْرَمُنْ بَيْنَهَا الْبَدْرُ<sup>(١)</sup>

فبكى وبكى . ثم قال لها المأمون : نُوحِ ، فَناحت ورَدَ عليها الجوارى . فبكى  
المأمون حتى قلت : قد فاضت نفسه وبكى معه أحرَبكاه ، ثم أَمْسَكَ . فقال المأمون :  
أصْنِى فِيهِ لِحْناً عَلَى مَذْهَبِ النَّوْحِ وَغَنَى بِهِ ، فَصَلَّتْ وَغَنَتْ لِهَاءَ عَلَى الْعُودِ ، فَوَالَّذِى  
لَا يُخْلَفُ بِأَعْظَمَ مِنْهُ لَقَدْ بَكَى عَلَيْهِ غَنَاءُ أَكْثَرِ مَا بَكَى عَلَيْهِ نُوحَا .

ومنها عبد الله بن مومى الهادى . قال أبو العرج : كان له فى الفناء

صنعة حسنة ، وله أصوات مذكورة ، منها قوله :

تَخَاضَكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا \* وَكَلَّدَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا  
فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ \* رَهْبِيْنُ بَتَشْنِيتِ مَا أَلْفَا  
وَلِمَا رَأَاكَ قَلِيلُ الْمَعْمُومِ \* كَثِيرُ الْهَوَى نَاعِمًا مُتَرَفًّا  
أَلَحَّ عَلَيْكَ بِرَوْعَاتِهِ \* وَأَقْبَلَ يَرْمِكُ مُسْتَهْدِفًا

(١) هناك المكان من قصيدة لأبي تمام حيث بن أوس اللطيف يرى بها عمداً وحلبة وأباً نصر بن حديد

الطوسي . وقد غيرت فيها عريب « بن نهران » بـ « بن عباس » .

وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له  
سلام أسود يقال له « قلم » ، فعليه الضرب ففنى فيه ، فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة  
ألف درهم .

وروى عن سليمان بن داود كاتب أم جعفر قال :

- كنت جالسا مع عبد الله بن موسى المادى ، فتر به خادم لصالح بن الرشيد ؛  
فقال له : ما اسمك ؟ قال : اسمى لأتسل . فأعجبه حسنه وحسن منطقه ، فقال لى :  
قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر ، فقصت معه . فأنشدنى فى ذلك اليوم :

وشادين مر بنا • يرح باللفظ المقل

مظلوم خصر ظالم • منه إذا يمشى الكفل

• ٢٠ • اعتدت قائمه • والطرف منه ما عدل

بدر تراه أبدا • طالع سعد ما أقل

سأته عن اسمه • فقال : اسمى لأتسل

وطلعت فى وجته • وردان من تجل

قلت ما أخطأ الذى • سمالك بل قال المشل

• ١٥ • لانسأن من شادين • فاق جمالا وكمل

وقال فيه :

حر الذى تهوى ونذل • صبب العواد مخبل

جد به المهجر وذا آل • هجر إذا جد قتل

من شادن تمطق • فاق جمالا وكمل

• ٢٠ • تناصف الحسن به • فلا تسل عن لأتسل

وعن أحمد بن المكي قال : دعاني عبد الله بن موسى يوما فقال  
 غلاماً ضارباً مفتياً قيمةً عدل لا حيف فيها على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت  
 نعم . فأخرج إلى أبنه القاسم ، وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمريلة  
 البدر ، فأخذ عوداً يضرب به ؛ فأكبت على يديه أقبلهما فقال لي عبد الله : أتعيل  
 يد غلام مملوك ! فقلت : بأبي وأمي هو من مملوك ! وقبّلت رجله أيضاً . فقال :  
 أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتي في الضرب  
 عليه آفتم وأقبل على أبيه فقال له كلمتذر إليه : يا أبت ، أنا مثلّذ وهذا متكسب .  
 فضحكت وقلت : هو كذلك يا سيدي . وعجبت من حدة جوابه معتذراً على  
 صغر منه .

قال عبد الله بن حبيب :

كان عبد الله بن موسى الهادي مُعربداً ، وكان قد أعضل المأمون مما يُعربد  
 عليه إذا شرب معه ؛ فأمر به أن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ، وأُتخذ على بابه  
 حرساً ؛ ثم تَدَمَّ من ذلك فأطهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه . ثم ناداه فُعربد  
 عليه أيضاً وكلّبه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُعربداً بالصيد ؛ فأمر المأمون خادماً  
 من خواص خدمه يقال له حسن فَمَسَمَه في نِزَاجٍ ؛ فلما أكله أحسن بالسم ،  
 فركب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني ، ومات بعد أيام . وأكل معه  
 خادمان ، فمات أحدهما لوقتته ، وضني الآخر ثم مات بعد مدة .

ومنهم عبد الله بن محمد الأمين . قال أبو العرج الأصفهاني :

كان عبد الله بن محمد الأمين ظريفاً غزلاً يقول شعراً لينا ويصنعه صنعة  
 صالحة . وكان بينه وبين أبي نَهْشَل بن مُحمَّد مودة ؛ فاعترض عبد الله جاريةً مغنيةً

(١) كما في الأمان . وأصل : أيا . وفي الأصل : « أخض » .

(٢) في الأمان : « حين » .



بني هاشم وأعطى بها مالا عظيما. وعرفت مولاتها منه رغبة فيها فزادت عليه في السوم فتركها ، فأشترها أخ لأبي نهشل ، فبعثها نسر عبد الله ، فقال أبا نهشل أن يسأل أخاه التزول عنها ، فماله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

- يَا بَنَ حَمِيدٍ يَا أبا نَهْشَلٍ • مفتاح باب الحديث المقتل  
يا أكرم الناس ودادا وأر • ظم لحق ضائع مهمل  
أحسنت في ودعي وأجملت بل • جُزئت فمال المحسن المجهل  
يتك في ذي يمن شاع • تحضر عنه قُتًا يذبل  
خلفت فينا حاتما ذا الندى • وجئت جود العارض المسيل  
أخي أخ أبيه لذي وحدة • تركته بالعز في تحصيل  
نجوم حطى منك مسودة • فيها أربى ليس بالأصيل  
فصدق الظن بما قلته • وسهل الأمر به يسهل  
لا تحرمني ولديك المني • بالله صيد الرشا الأكل  
رُميت منه بهام الهوى • وما تدري ما الرمي في مقتل  
أدبتي بالوعد في صيده • إهداء عطشان من المنهل<sup>(١)</sup>  
ثم تناسبت وأسلمتني • إلى مطال موحش المتزل  
تركنتي في لجة طاميا • لا أعرف المدبر من مقبل  
صرخ بأمر واضح بين<sup>(٢)</sup> • لا خير في ذي ليس مشكل

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صمتة منها قوله :

أَلَا يَادِرَ حَظَّةَ الْمُقَدَّي • لَقَدْ أَوْرَثَنِي سُقْمًا وَكُمًّا  
أَزَفَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَيْكَ زَقًّا • وَأَجْعَلْ حَوْلَهُ الْوَرْدَ الْمُتَدَي<sup>(١)</sup>

ومنها أبو عيسى بن المتوكل . قال عبد الله بن المعتز :  
جُمِعَ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ صِنْعَةٌ مُقَدَّارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا  
الْجَيْدُ الصِّنْعَةُ وَمِنْهَا الْمُتَوَسِّطُ . وَقَالَ الْبُخَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ يَقُولُ :  
إِذَا أَتَمَمْتَ صِنْعَةً ثَلَاثَةً وَسِتِينَ صَوْتًا عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ تَرَكْتَ الصِّنْعَةَ . فَلَمَّا أَتَمَمَهَا تَرَكَ  
الصِّنْعَةَ . فَفَنَّا قَوْلُهُ فِي شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ • وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجْجُرُ وَتَسِيلُ  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ • وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وَهُوَ لَعَمْرِي مِنْ جَيْدِ الْفَنَاءِ وَفَاحِرِ الصِّنْعَةِ ،  
وَلَوْ لَمْ يَصْنَعْ غَيْرَهُ لَكُنِّي<sup>(٢)</sup> .

ومنها عبد الله بن المعتز . هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسي .  
قد وصفه أبو الفرج الأصفهاني فقال : وَأَمْرُهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدِهِ بِمِصْرَنا مَشْهُورٌ  
فِي فِضَائِلِهِ وَأَدْبِهِ شَهْرَةٌ يَشْتَرِكُ فِي أَكْثَرِهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، وَشِعْرُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ رِقَّةُ  
الْمُلُوكِيَةِ وَغَزَلُ الظُّرَفَاءِ وَهَلْهَلَةُ الْمُحَدِّثِينَ ، فَإِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَجْرَى فِي أَسْلُوبِ  
الْمُحِيدِينَ ، وَلَا تَحْتَضِرُ عَنْ مَدَى السَّابِقِينَ وَأَشْيَاءَ ظَرِيفَةً مِنْ أَشْعَارِ الْمُلُوكِ فِي جِنْسِ  
مَا هُمْ بِسَبِيلِهِ ، لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَشِبَ فِيهَا بِفَحُولِ الْجَاهِلِيَةِ . وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِهِ  
وَتَحْرِيفُهُ ، وَهُوَ فَوْقَ مَا قَالُوا . ثُمَّ قَالَ :

(١) كذا في معجم البلدان لبانوت . وفي الأصل : « نَحْتَهُ » . ورواية الأغانى ( ج ٩ ص ١٠٢ ) :  
أَزَفَ مِنَ الْفَارَاتِ إِلَيْكَ دَنَا • وَأَجْعَلْ نَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُتَدَي

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « وَلَوْ لَمْ يَصْنَعْ » .

وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعلاها ؛ وله  
في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله  
أبن عبد الله بن طاهر وبين أبي حمدون وغيرهم تدل على فضله وغرارة أدبه . وقد ذكر  
منها شيئا ليس هذا موضع إيرادها . ثم قال : ومن صفة عبد الله بن المعتز شعره :

هل ترجع ليالٍ قد مضت لنا • وإهدأ حاميّة أزمان أريانا •

قال أبو الفرج : ومن صنعة الطرفة الشكل مع حودتها

وَابْلَأْنِي مِنْ مَحْضِرٍ وَمَيْبِ • وَحَبِيبٌ مَنِّي بَعِيدٌ قَرِيبٌ  
لَمْ تَرِدْ مَاءَ وَجْهِهِ الْعَيْنُ لَا • شَرِيفٌ فَبَلَّيْهَا بِرَقِيبِ

قال : ومن صنعة التي تتألف فيها وملح :

رَاحَتُهُ كُنْزِي كُنْهُ قَالَتْوَيَا • وَاقِ قُلُوبِي فَلَهُ فَاَمْتَوَيَا  
وَطَالُ دَاقَا اَمْوِي هَكَتَوَيَا • يَا قَزَّةَ الْعَيْنِ وَيَاهُمِّي وَيَا

وحكي عن حمص بن قدامة قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبّه ، فعصب  
الغلام عليه ، فجهده أن يترصده ، فلم يكن له فيه حيلة . ودخلت عليه فأنشدني فيه :

بُنِي نَتَ قَدَمَا • دَيْتَنِي مَعْرُوفُ الْغَضَبِ  
وَأَصْغَرِي عَلَى صَدْرِي • دَيْتَكَ يَوْمًا مِنَ الْعَجَبِ  
لَيْسَ بِأَنْ فَقَدْتُ وَجْهًا • يَهْكَ فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْثِ  
وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَا • نَ عَلَى الصُّلْحِ وَأَحْسَبِ

قال : فعصبت إلى الغلام ، فلم أزل أدريه وأرق به حتى ترصّيته له وجثته به ،  
فتر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه .

ذَكَرَ مَنْ غَنَى مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

كَانَ مِنْ غَنَى مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ عَلَى مَا قُلْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ :

عبد العزيز بن المطلب <sup>(١)</sup> . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن  
علي المقدسي رحمه الله بسند رصه إلى محمد بن مسلمة قال حدثني أبي قال : أُنِيتُ  
عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجن للبي صلى الله عليه وسلم بمسجد  
الأحزاب ما كان بدوها ، فوجدته مستقياً وهو يعني :

مَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ النَّثْرِ \* يَمِجُّ النَّسْدُ جَنَاجِلَهَا وَعَرَارُهَا <sup>(٢)</sup>  
بَاطِبٌ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهًا \* وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ أَرْطَبُ نَارُهَا  
مِنَ الْخَيْرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقْ شِفْوَةً \* وَبِالْحَسْبِ الْمَكُونُ صَافٍ نِجَارُهَا  
فَإِنْ بَرَزْتَ كَانَتْ لِمَيْسِكَ قُوَّةٌ \* وَإِنْ غَبْتَ عَنْهَا لَمْ يَفُكْ عَارُهَا <sup>(٣)</sup>

قُلْتُ لَهُ : تَنَنَّى أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ فِي جَلَالِكَ وَشَرِّكَ ! أَمَّا وَانْهَ لِأَحَدُونَ بِهَا  
رُكْبَانٌ نَجِدَ . قَالَ : فَوَاقَهُ مَا أَكْثَرْتُ وَعَادَ يَتَنَّى :

فَمَا طَيِّبَةُ أَدْمَاءُ خَفَافَةُ الْحَشَى \* تَجُوبُ ظِلْفُهَا بِطَوْنٍ انْخِثَالِ  
بِأَحْسَنِ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ تَدْلَالًا \* وَأَدْمُعُهَا يُذِيرُ حَشَوَ الْمَكَاحِلِ  
تَمْتَحُّ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ \* رَهِيْنُ أَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ

(١) في الأصل «عبد العزيز بن عبد المطلب» وهو يسمي كتب التراجم والأدب (ج ١ ص ٦٨)

طبع بولاق . وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حصص بن قضاء المدينة لعهد المصور ثم المهدي  
ودى قضاء مكة .

(٢) الجنجيات : شجرة له زهر أصفر طيب الرائحة . والعرار : الطريخس مري .

(٣) رواية الأمان (ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق) :

وَإِنْ حَبِيتَ كَانَتْ لِمَيْسِكَ قُوَّةٌ \* وَهِيَ تَبْدُ بِرُومًا لَمْ يَفُكْ عَارُهَا

قال : ميدمت على قولي له ، فقلت : أصلحك الله ، أتحدثني في هذا بشيء ! فقال : نعم ، حدثني أبي قال : دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم - وأشعب يعبه :

مُعْرِفَةُ كَالْبِدْرِ سُهُ وَجْهَهَا مُطَهَّرَةُ الْأَثْوَابِ وَالْعَرَضُ وَأَمْرٌ  
لَهَا نَسَبٌ زَالِكٌ وَعَرَضٌ مُهْتَكٌ \* وعن كل مكروه من الأمور زاحر  
من الحشرات البيض لم تلق ربيته \* ولم يستملها عن ثقي الله شاعره

فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى . فقال :

أَلَمْتُ بِأَوَّلِ اللَّيْلِ نَاجٍ كَانَهُ \* جَنَاحُ عُرَابٍ عَمِدَةٍ فَدَقَّصَ الْقَطْرَا  
فَلَمْتُ أَعْطَارُ تَوَى فِي رِحَالِهَا \* وَمَا أَحْتَمَلْتُ لَيْلٍ سِوَى رِيحِهَا عَطْرَا

قال سالم : أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجرت حائرك ، ملك من هذا الأمر مكان .

ومهم إبراهيم بن سعد . هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن  
عبد الرحمن بن عوف الزهرى . كتاب من العلماء الثقات المحدثين . سمع أمه  
وأبن شهاب الزهرى وهشام بن عروة وصالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق بن  
يسار . روى عنه يزيد بن عبد الله بن الحارث وشعبة بن الحجاج والليث بن سعد ،  
وأبناء يعقوب وسعد أبنا إبراهيم وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن هارون ويونس  
المؤدب وأبو داود الطيالسى وسليمان بن داود الهاشمى وعبد العزيز الآدمى وعلي بن  
الجعد ومحمد بن جعفر الوركانى وأحمد بن حنبل وغيرهم . كتاب يُبيح السماع

(١) في الأصل : « يشبه وجهها » - وظاهر أنه محرف مما تشناه - وسنة الوحد - صوريه .

(٢) في الأصول : « سعيد » - والتصويب عن هذيل التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال .

ويضرب بالعود ويغنى عليه . وله في ذلك قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسند رفيع إلى سعيد بن كثير بن عفيرة قال :

قدم إبراهيم بن سعد الزهري العراق سنة أربع وثمانين ومائة ، فأكرمه الرشيد وأطهر بصره . وسئل عن النساء فأتى بتعليقه ؛ فأتاه بعض أهل الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري ، فسمعه يتنمى ، فقال : لقد كنت حريصاً على أن أسمع منك ، فأما الآن فلا سمعتُ منك حديثاً أبداً . قال : إننا لا نفقد إلا شخصك . على وعلى ألا أخلتُ ببغداد ما أملتُ حديثاً واحداً حتى أغنى قبلي . وشاعت هذه الحكاية ببغداد ، فبلغت الرشيد ، فدعا به فسأله عن حديث المغزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة الحل ؛ فدعا بعوده . فقال الرشيد : أعود الجحمر ؟ قال : لا ولكن عود الطرب ، فقبم . فقصهما إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بلغك يا أمير المؤمنين حديث السيف الذي آذاني بالأمس وألجاني إلى أن حلفت . قال نعم . فدعا له الرشيد بعود فأخذه وغنى :

يَا تَمَّ طَلْعَةُ ابْنِ الْيَمِّ قَدْ أَفَدَا \* مَلَّ النَّوَاءُ لِأَنَّ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا

فقال له الرشيد : من كان من فقهاءكم يُنكر السماع ؟ قال : مَنْ رَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ . قال : فهل بلغك عن مالك في هذا شيء ؟ فقال : لا والله ، إلا أن أبي أخبرني أنهم اجتمعوا في مدعاة كانت في بني يربوع وهم يومئذ حلة<sup>(١)</sup> ، ومالك أقبلهم في قبه وقدر ، ومعهم دقوف ومعاوز وصيدان يضنون ويلعبون . ومع مالك ثعبان صريع وهو يفتنهم :

سَلِمَى أَرَمَتْ بَيْنَا \* وَأَبْرَ لِقَاؤُهَا إِنَا

وقد قالت لأترباب \* لها زهير تَلَاهِيَا

تَمَالَيْنَ قَدْ طَاب \* لَنَا الْعَيْشُ تَمَالَيْنَا

فضحك الرشيد ووصله بحال عظيم . ومات إبراهيم في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة . قال : وكان إبراهيم بن سعد يبالغ فيه إلى هذا الحد . وقد أجمعت الأئمة على ثقته وعدائه والرواية عنه . وآتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح . ولم تسقط عدالته بفضه عند أهل العلم ؛ بل قُدد قضاء بخداد على جلالها ، وقُدد أبوه القضاء بالمدينة على شرفها .

وروى أبو المرح الأصفهاني بسند رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم الموصلي قال : شهدت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقدسائه عن بالمدينة يُنكر الغناء ؛ فقال : مَنْ قَنَعَهُ اللهُ نَحْرِيه : مالك بن أنس . ثم حلف أنه سمع مالكاً ينهى :

سليمي أزمعت بيتنا \* فبين لفؤها أينما

في عُرْسٍ لرجل من أهل المدينة يُكَنَّى أبا حَفْظَةَ .

وروى أيضاً بسنده إلى الحسين بن دحمان الأشقر قول :

كنت بالمدينة ، فخلا لي الطريق في نصف النهار ، فجعلت أنقئ :

ما بال أهلك يا رَبَّاب \* تُخْزِرَا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ

قال : فإذا خَوْخَةٌ قد تُصَحَّت وإذا وجهٌ قد بدا تُبْعِه لِحْيَةٌ حمراء ، فقال :

يا فاسق ! أسأتِ التَّادِيَةَ ، ومنعتِ القَائِلَةَ ، وأذعتِ الفَاحِشَةَ ؛ ثم أندفع بغيره ؛ فظننتُ أَنَّ طُوَيْسًا قد تُشْرِيفَتِيه ، فقلتُ : أصلحك الله ! من أين لك هذا العناء ؟

قال : نَسَأْتُ وأنا غلام أتبع المغنين وأخذ عنهم ؛ فقالت لي أُمِّي : يا بني ، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يُتَفَتَّ إلى غنائه ، فدع الغناء وأطلب الفقه فإنه لا يَضُرُّه معه قبيح الوجه . فتركتُ المغنين وأتبعْتُ الفقهاء ، فبلغ الله في ما ترى .

فقلت : فَأَعِذْ جُعِلَتْ فِدَاكَ . فقال : لا ولا كرامة ! أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنه محمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .  
كان عالما بالفقه والفناء جميعا . وكان يحيى بن أكثم وصفه للآمون بالفقه ،  
وصفه أحمد بن يوسف بالفناء . فقال الآمون : ما أعجب ما أجمع فيه العلم بالعلم  
والفناء ! .

### ذكر مَنْ غنى من الأعيان والأكابر والقواد

مَنْ أُسِبتَ لَهُ صِنْعَةٌ فِي الْفَنَاءِ

منهم أبو دُلف العجليّ . هو أبو دُلف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد  
بنِي عَجَلٍ بنِ جُلَيْم بنِ صَعْب بنِ عليّ بن بكر بن وائل . كان محله من الشجاعة وبُعد  
الهمة وصلو المحل عند الخلفاء وعظم الفناء في المشاهد وحُسن الأدب وجودة الشعر  
علا كبيرا ليس لكثير من أمثاله .

قال أبو الفرج الأصبهانيّ : وله صنعة حَسنة . فمن جَيّد صنعته قوله —  
والشعر له أيضا — :

بِنَفْسِي يَا جَنَانُ وَأَنْتِ مَتَى \* مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ

ولو أني أقول مكانَ قَمِي \* خَشِيتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ

لإقْدَامِي إِذَا مَا الْخَلِيلُ حَامَتِ \* وَهَابَ كُفَّاتُهَا حَرَّ الطَّلَافِ

قال : وكان أحمد بن أبي دُواد يُنكر أمر الفناء إنكارًا شديدًا ؛ فعلمه المعتصم  
أن أبا دُلف صديقه يَتَنى . فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك ! فستر المعتصم  
أحمد بن أبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلف وأمره أن يَتَنى ففعل ذلك وأطال ،  
ثم أخرج أحمد بن أبي دُواد عليه ؛ فخرج والكراهة ظاهرة في وجهه . فلما رآه أحمد



قال: سَوِّءٌ لِهَذَا مِنْ فَعْلٍ! أَبْعَدُ [هَذَا] السِّنِّ وَهَذَا الْحَلِّ تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ مَا أَرَى  
نَجِيفًا أَبُو دَلْفٍ وَقَشْوَرٌ وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَكْرِهُونِي عَلَى ذَلِكَ. فقال: هَبْ أَمْكُرْهُكَ  
عَلَى الْغِنَاءِ أَمْ أَمْكُرْهُكَ عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ وَالْإِصَابَةِ! .

قال: وَكَانَ أَبُو دَلْفٍ يُبَادِمُ الْوَائِقِيَّ. فَوُصِفَ لِلْمُعْتَمِ «حَبَّ أَنْ يَسْمَعَهُ، وَسَالَ  
الْوَائِقِيَّ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا عَلَى نِيَّةِ الْقَصْدِ عَدَا وَهُوَ عِنْدِي. وَفُصِّدَ الْوَائِقِيَّ  
فَاتَاهُ أَبُو دَلْفٍ وَأَتَتْهُ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ مَالَهُدَايَا، فَأَعْلَمَهُمُ الْوَائِقِيَّ حَصُولَ أَيْ دُلْفٍ عِنْدَهُ.  
فَلَمْ يَلِثْ أَنْ أَقْبَلَ الْخَدْمُ يَقُولُونَ: قَدْ حَاءَ الْخَلِيفَةُ. فَقَامَ الْوَائِقِيَّ وَكَلَّ مَنْ كَانَ  
عِنْدَهُ حَتَّى تَقْوَاهُ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ، وَأَمَرَ نَدْمَاءَ الْوَائِقِيَّ فَرُدُّوهُ إِلَى مَجَالِسِهِمْ. وَأَقْبَلَ  
الْوَائِقِيَّ عَلَى أَبِي دَلْفٍ فَقَالَ: يَا قَاسِمُ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فقال: صَوْتًا بَيْنَهُ  
أَوْ مَا آخَرْتُ. قال: بَلْ مِنْ صَمْتِكَ فِي شَعْرِ جَرِيرٍ. فَقَنَى:

مَنْ الْخَلِيطُ بِرَأْسَيْنِ فَوَدَّعَا \* أَوْكَلَمَا آعْتَمَوْا لَيْثِي تَجَزَّعُ  
كَيْفَ الْعِزَاءُ وَلَمْ أَحْدَمْذِغَيْتُمْ \* قَلْبًا يَفْزَرُ وَلَا شَرَابًا يَنْتَقِعُ

فَقَالَ الْمُعْتَمِ: أَحْسَنُ أَحْسَنَ — ثَلَاثًا — وَشَرِبَ رَطَلًا. وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعِيدُهُ حَتَّى  
شَرِبَ تِسْعَةَ أَرْطَالٍ. ثُمَّ دَعَا بِمَحَارِ فَرَكَبَهُ، وَأَمَرَ أَمَا دُلْفَ أَنْ يَبْصُرَ مَعَهُ؛ فَخَرَجَ  
مَعَهُ فُتَيْتَ فِي نَدْمَائِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

قال: وَكَانَ أَبُو دَلْفٍ جَوَادًا مُمَدِّسًا. وَبِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ مِنْ قَصِيدَةٍ  
يَقُولُ فِيهَا:

ذَادَ وَرَدَ النَّيِّ عَنْ صَدِيدِهِ \* وَأَرْعَوَى وَاللَّهُوُ مِنْ وَطَرِهِ  
فَدَّيَّ أَنْ الشَّبَابَ مَضَى \* لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَثِيرِهِ

(١) الزيادة من الأماي (ح ٧ ص ١٥٥ طبع مولاي). (٢) و الأماي: «معك منك  
كما أرى». (٣) يقال: شذرت الرجل وبالرسل شذورت، إذا تخلصه لجل.

حَسَرْتُ عَنِّي بِشَائِسْتُهُ • وَفَوَى الْعَمُودُ مِنْ تَمِيمَةٍ  
وَدَمِ أَهْلِدَتْ مِنْ دَحَا • لَمْ يُرِدْ حَقًّا عَلَى هَدِيرَةٍ

جاء منها :

دَخَّ جَدًّا حَقْطَانَ أَوْ مُضِيرَ • فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضِيرِهِ  
وَأَمْسَخَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا • عَصَرُ الْآقَاقِي مِنْ عَصِيرِهِ

ومنها :

الْمَنَايَا فِي مَقَانِبِهِ • وَالْمَطَايَا فِي ذَرَا حُجَيْرِهِ  
مَلِكٌ تَنَدَّى أَمَلُهُ • كَلْبَلَاجُ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ  
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ • كَابَسَامُ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ

ومنها :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ • يَنْ بَادِيَهُ وَمُحْضِرُهُ  
فَلَمَّا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ • وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ  
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ • يَنْ بَادِيَهُ إِلَى حَضِيرِهِ  
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ • يَكَلِّسُهَا بِسَوْمٍ مُقْتَحِرُهُ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمون على بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه.

وقوله فيه :

أَنْتَ الَّذِي تُسَوِّلُ الْأَيَّامَ مَتَرَلَمَا • وَتَسْقُلُ النُّعْمَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
وَمَا مَدَدَتْ مَدَى طَرْفٍ إِلَى آخِرٍ • إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ  
تَزُودُ بِمُخْطَافِضِيهِ الْيَبْسُ ضَاكِمَةً • وَتَسْتَهْلُ فَنَجَى أَعْيُنُ الْمَالِ

وكان سبب مدح على بن جبلة أبا دلف بقوله :

• إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ •

ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن علي بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل ، فكان يظهر من برى وإكرامى والتحنى بى أمراً عطياً مفريطاً حتى تأخرت عنه حياه . فبعث إلى معقلا وقال : يقول لك الأمير : قد أقطعت عني ، وأظنك قد استقلت برى ، فلا يفضحك ذلك فإني سأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلا الإفراط في البر ، وكتبته إليه :

هجرتك لم أهبك من كفير نعمة \* وهل يُرغمى نيل الزيادة بالكفر  
ولكنني لما أتيتك زائراً \* وأمرطت في برى عجزت عن الشكر  
فيم الآن لا آتيك إلا مسلماً \* أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر  
فإن زدني برّاً تزايدت جفوة \* ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

١٠ فلما قرأها معقل استحسناها وقال : أحسنت والله ! أما إن الأمير يُعجبه هذا من المعاني . فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قاتله الله ! ما أشعره وأرق معانيه ! وأجابت لوقته - وكان حسن البنية حاضر الجواب - :

١٥ ألا رب طيف طاري قد بسطته وأنسته قبل الضيافة بالبشر  
أنا في يرجيني ما حال دونه \* ودون القرى والعرف من نائل سترى  
وجدت له فضلاً على بقصده إلى ويرأ زاد فيه على برى  
فزودته مالا يدوم بقاءه \* وزودني مدحاً يدوم على الدهر  
قال : وبعث بالآبات وصيفاً وبعث إلى معه ألف دينار . فعات حينئذ :  
إنما الدنيا أبو دلف \*

الآيات .

وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : كنا عند أبي العباس  
٢٠ المبرّد يوماً وعنده قتي من ولد أبي النحرى وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه ،

وتقي من ولد أبي دلف البجليّ شبيه به في الجلال . فقال المبرد لأبن أبي البختريّ :  
أعرف بحدّك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يُسَقَّ إليها . قال : وما هي ؟ قال :  
دُعِيَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير الذي يشربون  
منه ؟ فقال فيهم :

نَبِيذَانِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ • لِإِشَارِ مُثَرٍّ عَلَى مُقْتَرِ  
فَلَوْ كَانَ فَعَلْكَ ذَا فِي الطَّعَامِ • لَزِمْتَ قِيَاسَكَ فِي الْمَسْكِي  
وَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فَعَلَ الْكَرَامِ • صَنَعْتَ صَنِيعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ  
تَبَعَ إِخْوَانَهُ فِي الْبِلَادِ • فَأَغْنَى الْمِقْلَ عَنِ الْمَكْثَرِ

فلفت الأبيات أبا البختريّ فبث إليه ثمانية دينار . قال ابن عمار : قلت  
وقد فعل جدّ هذا التقي في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا . قال : وما فعل ؟  
قلت : بلغه أنّ رجلاً أفقر من ثروة ، فقالت له امرأته ، أقرض في الجند ،  
فقال :

إِلَيْكَ عَنِّي فَقَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا • حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارِمِينَ قِفْ  
تَمْنَى الْمَنَابِإَ إِلَى قَوْمٍ فَأَكْرَهَهَا • فَكَيْفَ أَمْسَى إِلَيْهَا عَارِي الْكَثِيفِ  
حَسِبْتُ أَنَّ فَنَاءَ الْمَالِ غَيْرِي • أَوْ أَنَّ رُوحِي فِي جَنَّتِي أَبِي دَلْفِ

١٥

فأحضره أبو دلف وقال : كم أملتِ أمرأتك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار ،  
قال : كم أملتِ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك على ما أملت  
وأملتِ أمرأتك في مالنا دون مال السلطان ، وأمر بإعطائه إياه . قال : فرأيت  
وجه ابن أبي دلف يتهلل وأهكسر ابن أبي البختريّ . وهذه الأبيات رويت  
لأبن أبي فنيّ .

٢٠

ومنهم أخوه مَعْقِل بن عيسى . كان فارسا شاعرا جوادا مغنياً فهِمَا  
بِالنَّغَمِ وَالْوَرْدِ، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلْف . وهو القائل لمخارق — وقد  
كان زار أبا دلف بالجبل ثم رجع إلى العراق، وله في ذلك غناء — :

لممرى لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ • لَقَدْ تَخَيَّنَتْ بِالْبُعْدِ عَنْكَ عَيُونُ  
فَيْسَرُ أَوْ أَيْمٌ، وَقَفَّ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي • مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونٌ  
• مَا أَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحًا • وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِمِثِّ تَكُونُ

ومنهم عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبنة عبيد الله . فأنما عبد الله  
فكان محلّه من ملو المترلة وعظم القدر والتمكّن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور  
في أخبارهم . وتقلّد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما إلى ذلك، ثم نُقِلَ إلى  
نُحْرَاسَانَ . وله عطايا وهِبَاتٌ وَصِلَاتٌ لَا يُنْكِرُهَا أَحَدٌ . ومحلّه من الشجاعة والإقدام  
معروف . وكان يستنى بالفناء ويصنعه ، إلا أنه كان يترقّع عن ذكره والاعتراف به  
ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التي غَنَّى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة . وكان  
أبنة عبيد الله إذا ذكر شيئاً منها من صَنَعته قال : الغناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر  
شيئاً من صنعة نفسه قال : الغناء للدار الصغيرة . فن الأصوات التي صنع فيها  
عبد الله بن طاهر قوله :

هَلَا سَقِيمٌ بَنَى حَزْمَ أُسَيْدِكُمْ<sup>(١)</sup> • نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي  
الطَّاعِنِ الطُّعْنَةَ التَّجْلَاءَ يَتَّبِعُهَا • مُضَرَّجٌ بِمَدِّ مَا جَادَتْ بِإِزْيَادِ  
قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النغم [يُن] لين وشدة على رسم

(١) في الأمان (ج ١١ ص ١٤ طبع ولاق) : « بنى سهم » ثم قال : « ومع ملن من هذيل » .  
وذكر في موضع آخر لخط « بنى جرم » . (٢) الزيادة عن الأمان .

الحذائق القدماء . قال عبيد الله - وذكر موتاً من أمواته - : لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يُسمع عنه شيء من الغناء ولا ينسب إليه ، لأنه كان يرفع <sup>(١)</sup> عن ذلك ، وما جسَّ يده وترًا قط ولا تباطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول التجربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كثير . قال : وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع في أبيات أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذها عنه وخشَّين بها وسمعاها الناس منهم .

[ومن أخذ عنهم . فلما أن صنع هذا الصوت :

هَلَّا سَقِيمُ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرُكُمْ \* نَفْسِي نَدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي <sup>(٢)</sup>

نسبه إلى مالك بن أبي السمع . وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها راحة ، وكانت ترغَّب إلى عبد الله لما ندبه المأمون إلى مصر ، وكانت تغنيه ؛ وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنون عنها ، ورؤي لمالك بن أبي السمع مدة . ثم قدم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وغنى الصوت بحضرته ونسب إلى مالك ؛ فضحك عبد الله ضحكاً كثيراً ؛ فسئل عن القصة فصلى <sup>(٣)</sup> فيها وأعترف بصنعة الصوت . وكشف المأمون عن القصة ؛ فلم يزل كلُّ من سئل عنه يُخبر عن أخذها ، فيتمى بالقصة إلى راحة ويقف فلا يمدوها . فأحضرت راحة <sup>(٤)</sup> وسُئِلَتْ فأخبرت بقصته ؛ فلم أنه من صنعه حيثئذ مد أن جاز على إصطاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إنه لم يحب من شيء عجبته من حذق عبد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

وأما عبيد الله ، ويكنى أبا أحمد . قال أبو المرج الأصبهاني : له عمل

من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والملم باللغة وأيام الناس

(١) كذا في الأغاني : وفي الأصل . «يرفع» . (٢) التكملة من الأغاني .

(٣) في الأغاني : «داحة» . (٤) كذا بالأغاني . وفي الأصل : «ضبا» .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « من سئل عنه من أحده » .

وعلم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والمهندسة وغير ذلك [مما] <sup>(٢)</sup> يحل عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعة في الفناء حسنة متقنة عجبية [تدل على ما ذكرناه هاهنا من توصله <sup>(٣)</sup>] إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد <sup>(٤)</sup> تتبعه هو وأتى به على ما فصله فيها وطلبه منها .

وكان المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء ويحضره أكابر المغنين فيعمل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ، ويرفع عن إظهار نفسه بذلك فيومي إلى أنه من صنعة جاريته ساجي . وسند كرساجي <sup>(٥)</sup> إن شاء الله تعالى في أخبار القيان ، وكانت تخرج عبيد الله وتأديه .

قال : ولما آخلت حال عبيد الله كان المعتضد بالله يتفقد بالصلوات . ومن

أصوات عبيد الله التي جمع فيها النغم المشر قوله في شعر إبراهيم بن علي بن هزيمة :

وانك إذ أطمعتني منك بالرضا \* وأياستني من بعد ذلك بالفضب

كتمكتني من دزهاكف حال \* ودافقي من بعد ذلك ما حلب

وأخبار عبيد الله كثيرة سذكر منها في هذا الباب في أخبار ساجي طرطرا ، ونورد

منها إن شاء الله تعالى في فن التاريخ ما يناسب . وأستغفر الله العظيم .

١٥ (١) كما الأمانى (ح ٨ ص ٤٤ طبع ولاق) . وفي الأصل : « الطبقة » .

(٢) الزيادة من الأمانى .

(٣) في الأصل : « متعة عجبة إلى ما يصرفه ... » . وانكته والصوب من الأمانى (ح ٨

ص ٤٤ طبع ولاق) .

(٤) كما في الأمانى . وفي الأصل : « في صوت واحد حتى يلهو » .

٢٠ (٥) في الأمانى : « شاجي » .

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية

وَمِنْ أَخْذِ عَنْهُمْ وَمِنْ أَشْهَرِ الْغَنَاءِ

والغناء قديم في العرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحناء والنشيد،

وكانوا يُسمّونه «الربكانية». وأول من نقل العناء المعجمي إلى العربي من أهل مكة

”مَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ“ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ”سَائِبُ خَاتِرٌ“ . وَأَوَّلُ مَنْ صَنَعَ الْمَرْزَجَ

”طوئیس“. ولنبدا بذکر اخبار هؤلاء ثم نذکر من أخذ عنهم إن شاء الله تعالى .

ذكر أخبار سعيد بن مسجع

هو أبو عثمان سعيد بن مسطح، مولیٰ ہی جمع، وقیل : مولیٰ بنی مخزوم،

وقيل : مولیٰ بنی نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، مکی - أسود - وقيل :

۱۰. أصفر - حسن اللون . وقيل : كان مولداً ، يُكنى أبا عيسى . وقيل : كان هو

وَأَبْنُ سُرَيْجٍ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَثَقٌ مُتَقَدِّمٌ مِنْ خُفُولِ الْمُعَيَّنِ وَأَكَابِرِهِمْ . وَهُوَ أَقْلٌ مِنْ

وضع الغناء منهم . وأقول مَنْ عَيَّ الغناء العري بمكة ، وذلك أنه مرّ بالقرن وهم

بنون المسجد الحرام في أيام صداقة الزبير، فسمع غناءهم بالقارسية قلبه في شعر

عربي، ثم رحل إلى الشام فأخذ الحان الرّوم والبربطية والأسطوخوسية، وأُقلِب

١٥ (١) كما في الأصل - وفي الأصل ، الأصح حوسبة ، . وقد رُئي الدلالة الأب أساساً ماري

الكرملی أن تكون كلمة « الربیة » مصححة عن « - طية » (ضم ما، اوحده، وضع الای إليها وود

ساعة بعدها، مكسورة ثم ياء مشددة (وإن حوا)، فـ (ساعة) وهي مدينة الفلسطينية.

سقوط القسطنطينية بيد الترك .

٢. ثم قال : وأما الأسطوخوسية فإدريس بن آدم ١٠٠٠ هـ وأحمد بن حنبل ١٠٠٠ هـ و هو حنبل بن

[illegible]

حلیطہ میں الروم والیوہ بین وعلیہ و۔



إلى فارس فأخذ غنمًا كثيرًا وتعلّم الضرب، ثم قَدِمَ إلى الجباز وقد أخذ محاسن تلك  
النعم وألقى منها ما استعجبه من البركات والنعم؛ وكان أول مَنْ فصل ذلك، وبعده  
الطس بعد؛ وعلم ابن سريج، وعلم ابن سريج الغريص. قالوا: وكان في صباه  
قبطًا ذكيًا، وكان مولاه مُعجبا به، فكان يقول: ليكون لهذا الغلام شأن،  
وما يعني من حقه إلا حُسْنُ فِرَاسَتِي فيه، ولئن حشْتُ لأعترفن ذلك، وإن مُتَّ  
قبله فهو حر. فسمعه مولاه يومًا يتقنُ بشر ابن الرقاع يقول:

أَلِمَّ عَلَى طَلِيلٍ مَقَامِيقَ \* بَيْنَ النَّوْبِ وَبَيْنَ قَيْبِ النَّامِ  
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ صَا \* فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

فدعاه مولاه فقال: أَمِدَّ يَا بَنِي، فأعاده فلذا هو أحسن مما أبتدأ به، وقال:  
إِنَّ هَذَا بَحْشٌ مَا كُنْتُ أَقُولُ. ثم قال له: أُنَى لَكَ هَذَا؟ قال: سَمِعْتُ هَذِهِ  
الْأَطْلُمِ تَنْتَنِي بِالْفَارِسِيَةِ فَقُلْتُهَا فِي هَذَا الشَّعْرِ. قال: فَأَنْتَ حُرُّ لَوْجِهَةِ اللَّهِ. فزِمَ  
مولاه وكَثُرَ أدبه وأَنَسَ فِي غَنَائِهِ وَشَبَّ بِمَكَّةَ وَأَعْجَبُوا بِهِ. فندفع إليه مولاه عُبَيْدَ بْنَ  
سُرَيْجٍ وقال: يَا بَنِي، عَلِمَهُ وَاجْتَهَدَ فِيهِ. وكان ابن سريج أحسن الناس صوتًا،  
فعلَّم منه ثم بَرَزَ عليه. وقد قيل: إِنَّهُ إِذَا سَمِعَ الْغَنَاءَ مِنَ الْقُرْسِ لَمَّا أَمْرٌ مَعَاوِيَةُ  
بِنَاءَ دُورِهِ بِمَكَّةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا «الرَّقْطُ»، وكان قد حمل إليها بَنَاتَيْنِ مِنَ الْقُرْسِ  
الَّذِينَ كَانُوا بِالْعِرَاقِ فَكَانُوا يَنْتُونَهَا، وكان سَعِيدُ بْنُ مَسْعُوحٍ يَأْتِيهِمْ فَيَسْمَعُ غَنَاءَهُمْ  
عَلَى بَنَاتِهِمْ؛ فَمَا اسْتَحْسَنَ مِنْ أَلْحَانِهِمْ أَخَذَهُ وَقَلَّهَ إِلَى الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، ثُمَّ صَاغَ عَلَى  
نَحْوِ ذَلِكَ. وكان من قديم غَنَائِهِ الَّذِي صَنَعَهُ عَلَى تِلْكَ الْأَلْحَانِ شَعْرُ الْأَخْوَصِ، وَهُوَ:

أَسْلَمَ إِنَّكَ قَدْ مَلِكْتَ فَأَنْجِيحِي \* قَدْ يَمْلِكُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ فُتْسِجِحُ  
مُنَى عَلَى طَارِبٍ أَطْلَيْتَ غَنَاءَهُ \* فِي النَّلِّ عِنْدَكَ وَالْعَنَّةُ تُسْرِحُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْبَيْكُ». وَالنَّصِيبُ مِنْ مَعْمٍ يَأْتُونَ (ح ٢ ص ٧٢٥ طبع أوربا)

إني لأُصَحِّحُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ • سَيَّانٍ عِنْدَكُمْ مِنْ يَفْشُ وَيَنْصَحُ  
وَإِذَا شَكُوتُ لِي سَلَامَةً حَبِهَا • قَالَتْ أَيْدُ مَنْكَ ذَا أَمٍّ تَمْرُجُ

وهذا من أقدم الفناء العربي المتقول عن الفارسي . قال : وعاش سعيد بن مسجع  
حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك .

ومن أخبار سعيد ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسند رضعه قال : كتب عامل  
لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له سعيد بن مسجع قد أصد  
قتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم . فكتب إليه : أن أقبض ماله وسيره إلى . فتوجه  
أبن مسجع إلى الشام ؛ فصاحبه رجل له جوار مَنِيَّات في الطريق . فقال له : أين  
تريد ؟ فأخبره الخبر وقال : أريد الشام ؛ فصاحبه حتى بلغنا دمشق ؛ فدخلا مسجعا  
فسألا : مَنْ أَحْصَى النَّاسَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقالوا : هؤلاء الثغر من قريش وبنو عمه .  
فوقف أبن مسجع عليهم فسلم ، ثم قال : يَا تَيَّانُ ، هل فيكم مَنْ يُضَيِّفُ رجلا  
غريبا من أهل المجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى  
قَيْنَةَ يقال لها « بَرَقُ الْأُتْقَى » ، فتأقلوا به إِلَّا قَيَّ مِنْهُمْ تَدْمٌ <sup>(١)</sup> فقال له : أَنَا أَضَيِّفُكَ ،  
وقال لأصحابه : أَنْطَلِقُوا أَتَمُّ وَأَنَا أَذْهَبُ مَعَ ضَيْفِي . فقالوا : لَا ، بَلْ تَجِيءُ مَعَا  
أَنْتَ وَضَيْفُكَ . فذهبوا جميعا إلى بيت القَيْنَةِ . فلما أُتُوا بِالْقَدَاءِ قال لهم سَعِيدُ :  
إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ ، وَلَعَلَّ فِيكُمْ مَنْ يَقْدِرُنِي ، فَأَنَا أَجْلِسُ وَأَكُلُ نَاحِيَةً وَقَامٌ ، فَاسْتَحْيُوا  
مِنْهُ وَبَعْتُوا لَهُ بِمَا أَكُلُ . فلما صاروا إلى الشَّرَابِ قال لهم مثل ذلك ففعلوا .  
ثم أخرجوا جَارِيَتَيْنِ ، بَلَغَتَا عَلَى سَرِيرٍ قَدْ وُضِعَ لَهَا فَنَتَا إِلَى الْمَتَاءِ ثُمَّ دَخَلَتَا ؛  
وَنَجَرَتِ جَارِيَةٌ حَسَنَةُ الْوَجْهِ وَالْهَيْئَةِ وَهَمَا مَعَهَا بَلَغَتَا أَسْفَلَ السَّرِيرِ عَنْ يَمِينِهِ  
وَشِمَالِهِ وَجَلَسَتْ هِيَ عَلَى السَّرِيرِ . قَالَ أَبْنُ مَسْجَعٍ : فَتَمَثَّلَتْ هَذَا الْبَيْتُ :

(١) تدم : حتى الدم والرم .

فقلتُ أشمسُ أم مصابيحُ يميني . بدتُ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالمُ  
فَقَضَيْتُ الجاريةَ وقالتُ : أبضرب مثلَ هذا الأسودِ بي الأمثال ! فنظروا إلى  
نظراً متكرراً ، ولم يزالوا يُسْكِنونها . ثم غنت صوتاً . قال ابن مسجج : فقلتُ :  
أحسنيتِ والله ! فعَظِبَ مولاهُ وقال : أمثلُ هذا الأسودُ يُقَدِّمُ على جاريتي !  
فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قُمْ فَأَنصُرْفَ إلى منزلي ، فقد ثَقُلْتُ على القوم .  
فذهبتُ أفوم . فتذمَّرَ القوم وقالوا : بل أقيمِ وأحسينِ أدبك . فاقمتُ . ففُتتُ ، فقلتُ :  
أخطأتِ والله وأساءتِ ! ثم أندفعتُ فغَنَيْتِ الصوتُ ، فوثبت الجاريةُ فقالت  
لمولاهُ : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجج . فقلتُ : إني والله ، أنا هو ، والله لا أقيمُ  
عندكم ووثبت ، فوثب القرشيون : فقال هذا : تكون عندي ، وقال هذا : تكون  
عندي ، [ وقال هذا : بل عندي <sup>(١)</sup> ] . فقلتُ : والله لا أقيمُ إلا عند سيِّدكم !  
(بني الرجل إحدى امرأته منه) وسألوهُ عما أفدعه . فأخبرهم . فقال له صاحبه : إني أسيِّرُ  
الليلة عند أمير المؤمنين ، فهل تُحْسِنُ أن تحبوسَ ؟ فقال : لا والله ، ولكنني أصنعُ حُدَاءً .  
فقال له : إن منزلي بجدهاء منزل أمير المؤمنين ، فإذا واقفتُ منه طيِّبَ نفسٍ أرسلتُ  
إليك . ومضى إلى عبد الملك . فلما رآه طيِّبَ النفس أرسل إلى ابن مسجج ، فأنحرج  
رأسه من وراء شرف القصر ثم حذا :

إنك يا مُعَاذُ يَا بَنَ الْفُضِّلِ <sup>(٢)</sup> \* إن زُلْزِلَ الأقدامُ لم تُرْزَلِ  
عن دين موسى والكاتبِ المُتَرَلِّ <sup>(٣)</sup> \* تُقيمُ أصداغُ القُروُنِ المِيلَ  
\* للفق حتى يتصحوا للأعْدَلِ \*

(١) الزيادة عن الأعاني (ج ٣ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) في الأصل : \* إنك يا معاوي المفضل \* والتصويب عن الأعاني .

(٣) في الأصل : « صراع » . وفي الأعاني : « صداغ » ، وصاهر أن كلها بمعنى واحد ، لأنه من صَدَع يصدع صدوعاً وصداعاً بمعنى مال ، ومنه لأتقين صدقك أي ميلك .

فقال عبد الملك للقرشي : مَنْ هذا ؟ فقال : رجل مجازي قديم على . قال : أحضره ، فأحضره . ثم قال له : [هل] <sup>(١)</sup> تنفي غناء الأربكان ؟ فتنى . فقال له : هل تنفي الغناء المتفن ؟ قال نعم . قال : هيه ، فتنى ؛ فأهتر عبد الملك طرباً ، ثم قال : أقسم بالله إن لك في القوم أسما كبيرا ، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله للمسير عن وطنه «سعيد بن مسجع» ، قبض مالى عامل الجواز وقفاي . فقبس عبد الملك ثم قال : قد وضح عذرتي أن يُنفقوا عليك أموالهم ؛ وأتمنه ووصله وكتب إلى عامله بالجهاز أن أردد إليه ماله ، ولا تعرض إليه بسوء .  
واقه أصل .

### ذكر أخبار سائب خاثر

- ١٠ هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار ، مولى لبني ليث . وأصله من قى كسرى ، وأشتهر عبد الله بن جعفر فأعتقه . وقيل : بل كان على ولائه لبني ليث ، ولكنه أقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعُرف به . وهو أول من عمل العود بالمدينة وخفى به . قال : وكان عبد الله بن عامر بن مُكرِّب <sup>(٢)</sup> سبي إمأة صَنَاجَات <sup>(٣)</sup> فأتى بهن المدينة . فكُنَّ يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهن ، فأخذ عنهن . وقدم رجل فارسي يُعرف بنَشِيط ، فتنى ، فعيَّج عبد الله بن جعفر منه . فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية . ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد عمل في :

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) في الأغانى (ج ٧ ص ١٨٨) (ضيق بولاق) : «أنتري» .

(٣) هنّ اللعابات بالصح ، وهو صيغة مستدرة من نحاس تضرِب بأخرى مثلها ، وقيل : الصنع ٢٠ ذوالأوتار الذى يلعب به .

لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ \* لَعِبَتْ بِها الأرواحُ والقَطَرُ  
وَحَلَّها من بَعدِ ما كَنتُها \* يَجْجَعُ مَضِينِ ثَمَانِ أو عَشْرُ  
والزَّعفرانُ على ترائِها \* شَرِقَ به اللَّبَنُ والنَّحْرُ

قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الفناء العربي المتن

الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نسيطا بعد ذلك ؛ فأخذ عنه سائب خاثر الفناء العربي ، وأخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبدة وعزة الميلاء وغيرهم . وفيل :

إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغنى مرتجلا . قال ابن الكلبي : وكان [سائب تاجرا] مرسرا يبيع الطعام بالمدينة ، وكان تحته أربع

نسوة . وكان أقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وهو مع ذلك يخالط سراوات الناس وأشرفهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان فدألى على نفسه ألا يغنى أحدا

سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتل ، على ما ذكره . وأخذ عنه معبد غناء كثيرا . قال : وسمع معاوية

غناء سائب خاثر مرارا ، فالتمزة الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه ، فسأل عنه معاوية ، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه ، فأذن له .

فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى :

لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ \* الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أشهد لقد حسنته . وقضى معاوية حوائجه وأحسن إليه ووصله . وقيل : أشرف معاوية ليلة على منزل يزيد ، فسمع صوما

أعجبه ، وأستخفه السماع فاستمع حتى مل ؛ ثم دعا بكرسى فجلس عليه وأشتهى الاستراحة ، فاستمع بقية ليلته . فلما أصبح غدا عليه يزيد ؛ فقال : يا بني ، من كان

جلستك البارحة؟ قال : أئى جليس يأمر المؤمنين؟ وأستعجم عليه . فقال : عرّفنى به فإنه لم يخف على شئ من أمرك . قال : هو سائب خاثر . قال معاوية : فأكثر له يا بنى من رّك وصلتك ، فما رأيت يجالسته بأسا .

قال ابن الكلبي : وقدم معاوية المدينة فى بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع فقال : ما بالباب أحد . فقال معاوية : وأين الناس؟ قال : عند عبد الله بن جعفر . فركب معاوية بقلته ثم توجه إليهم . فلما جلس قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطرفى هذا لك إن أندفت قنّى (وكان المطرف من قرى) ، فقام بين السّماطين وغنى فقال :

لَا الْجَفَنَاتُ الثُّرَيَامُ بِالضَّحَى <sup>(١)</sup> \* وَأَسَافُنَا يَقْطُرُونَ مِنْ تَجْدِيدِ دَمَا

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسّن لذلك ، ثم أنصرف ، وأخذ سائب خاثر المطرف <sup>(٢)</sup> .

وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرة . قال : وكان يمشى على نفسه من أهل الشام . فخرج إليهم وجعل يقول : أنا مغنّ ، ومن حالى ومن قصصى كبت وكبت ، وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا له : غنّ لنا ، ففعل . فقام أحدهم فقال : أحسنت واقه ، ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيد خبره وصر به اسمه فى اسماء من قُتل فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر؟ فعرف به ، فقال : ويله ما له وما لنا ! ألم نحسين إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا ! لما الذى حمله على هذا وتنا ! لا جرم أن بقيه علينا صرعه . وقيل : إنه لما بلغه قتله قال : إنا لله ! أو بلغ

(١) كذا فى الأمانى (ج ٧ ص ١٩٠ طبع بولاق) وكامل المبرد وديوان قاتله سيدا حسان بن ثابت

المطرب فى أوربا . وفى الأصل : « فى الهجى » .

(٢) روى المبرد فى الكامل حكاية لمعاوية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه ( انظر

صفحة ٣٩٠ طبع أوربا ) .

القتلُ إلى سائب خائِر وطبقته ! ما أرى أنه بقى بالمدينة أحد، وقال . قبِحكم الله  
يا أهل الشام ! تجدهم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه . وقد قيل : إنه  
تهدم يوم الحرة وقاتل حتى قُتل . والله أعلم .

### ذكر أخبار طوَيْس

هو عيسى بن عبد الله . وكنته أبو عبد المنعم ، وغيرها المخبثون فقالوا :  
أبو عبد النعم . وطوَيْس لقبٌ ظب عليه ، وقيل : اسمه طأوس ، مولى بني مخزوم .  
وكان أيضا يُلقب بالذئب ؛ لأنه غيٌّ :

قد برأى الحب حتى \* كدَّت من وجدى أذوبُ

وهذا أول غناء غناه وهزجَ هزجه . وقد ضرب المثل به في الشؤم فقالوا :  
« أشام من طوَيْس » لأنه وُلِدَ يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُطِعَ يوم  
مات أبو بكر رضي الله عنه ، وخُنِّ يوم مات عمر رضي الله عنه ، وتزوج يوم قُتل  
عثمان ، ووُلِدَ له يوم مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان محبًا لأحوال  
طويلاً ، وقيل : إنه وُلِدَ ذاهبَ العين اليمنى . قالوا : وكانت أمه تمنى بين نساء  
الأنصار بالنعام . وطوَيْس أول من صنَّع الهزج والرمل في الإسلام ، وكان الناس  
يضرّبون به المثل فيقولون : « أهرج من طوَيْس » . وكان لا يضرب بالسود  
وإنما يتقر بالدق . وكان طريقاً عالماً بأمر المدينة وأناسب أهلها .

حكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى المدائني قال : قدِمَ ابن مَرْجَم المدينة ،  
بفلس يوماً في جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مرّ بهم  
طوَيْس فسمِعهم وما يقولون ، فاستل دُفَّهُ من حِضْنَتِهِ وتقره وغنى ؛ فلما سمعه

أَبْنُ سُرَيْجٍ قَالَ : هَذَا وَاقِعٌ أَحْسَنُ الدَّاسِ غَنَاءً لَا أَنَا . وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : قَالَ مُسْلِمٌ  
 أَبْنُ حَارِبٍ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ : حَرَجْنَا فِي سَفَرٍ وَمَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا  
 فَاتَّهَيْنَا إِلَى وَادٍ ، فَدَعَوْنَا بِالْغَدَاءِ ، فَذَرَجَ الرَّجُلُ يَدَهُ إِلَى الطَّعَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ  
 قَبْلَ ذَلِكَ يَأْكُلُ مَعَنَا ، فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ فَتَلَقَّى رَجُلًا طَوِيلًا أَحْوَلَ مُضْطَرَبٍ<sup>(٢٢)</sup>  
 انْتَلَقَى فِي زِيَةِ الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ لَنَا : مَا لَكُمْ ؟ فَانْكَبْنَا سَوَالَهُ لَنَا ، فَأَخْبَرَنَا خَبَرَ الرَّجُلِ  
 فَقَالَ : مَا أَسْمُ صَاحِبِكُمْ ؟ قُلْنَا : أَسِيدُ . فَقَالَ : هَذَا وَادٍ قَدْ أَخَذَتْ سِبَاعُهُ فَارْتَحَلُوا ،  
 فَلَوْ قَدْ جَاوَزْتُمُ الْوَادِيَ اسْتَمْتَزَ صَاحِبُكُمْ وَأَسَدٌ وَأَكَلَ . قُلْنَا فِي أَنْفُسِنَا : هُوَ مِنَ الْحَقِّ ،  
 وَدَخَلْنَا فَرْقَةً . فَفَهِمَ ذَلِكَ وَقَالَ : يُفْرِخُ رَوْعُكُمْ فَاذَا طَوَّيسَ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَنَا :  
 مَرَحِبًا بِكَ أَمَا عَبْدُ النِّعَمِ ، مَا هَذَا الرَّيُّ ؟ ! فَقَالَ : دَعَانِي بَعْضُ أَوْدَانِي مِنَ الْأَعْرَابِ  
 نَخْرَجَتْ إِلَيْهِمْ وَأَحْبَبْتُ أَنْ اتَّخُذَ الْأَحْيَاءُ فَلَا يُسْكِرُونِي . فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مَنَا أَنْ يَشْتَبِنَا ،  
 فَأَتَدْفَعُ وَتَقْرُبُذْفُكَ مَعَهُ مَرَّجٌ ، فَلَقَدْ خُبِلَ لِي أَنَّ الْوَادِيَ يَطْلُقُ مَعَهُ حَسَنًا .  
 وَتَعَجَّبْنَا مِنْ عِلْمِهِ وَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِنَا .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ طَوَّيسٌ وَلَبَّاسًا بِالشَّعْرِ الَّذِي قَالَتْهُ الْأَوْسُ وَانْتَلَزَجَ  
 فِي حُرُوبِهِمْ ، وَكَانَ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْإِغْرَاءَ ، فَقَلَّ مَجْلِسُ اجْتِمَاعِهِ فِيهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ فَغَنَى  
 فِيهِ طَوَّيسٌ إِلَّا وَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ . فَتَنَبَّأَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاقِعٌ لَا تَرَكْتُ الْغَنَاءَ بِشَعْرِ  
 الْأَنْصَارِ حَتَّى يُوسِدُونِي التُّرَابَ ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَوَلُّعِ الْقَوْمِ بِهِ ، وَكَانَ يُشْدِي السَّمَرَاتِ  
 وَيُخْرِجُ الضَّغَائِنَ ، وَغَنَازُهُ يُسْتَحْسَنُ وَلَا يُصْبَرُ عَنْ حَدِيثِهِ .

(١) كَذَا فِي الطَّبَرِيِّ وَالْأَغَانِي (ح ٣ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وَهُوَ مُسْلِمٌ بَرِّ حَادِبٍ بِي  
 سَلَمٍ زِيَادٍ الرَّازِي . وَفِي الْأَمْوَالِ : « سَلَمٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) حَبَابَةُ الْأَغَانِي : « طَوَّيسًا رَجُلًا ... » . (٣) أَحَدَتْ سِبَاعَهُ : سَمَحَتْ .

(٤) اسْتَمْتَزَ : قَوَّى وَاسْتَقَامَ أَمْرَهُ .

(٥) كَذَا فِي الْأَمْوَالِ . وَالدِّيُّ فِي الْأَغَانِي : « اسْتَمْتَزَ صَاحِبُكُمْ وَأَكَلَ » دُونَ « أَسَدٌ » .



وحكى الأصمهاني عفا الله عنه قال : كان بالمدينة مخنث يقال له النفاثي .  
 فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا . فبحث إليه فاستقرأه  
 أم الكتاب ؛ فقال : والله ما معي بناتها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن !  
 فقال : أتأمر لا أم لك ! فأمر به فقتل بطحان<sup>(١)</sup> ، وقال : من جاني بمخنث فله  
 عشرة دنانير . فأبى طوئيس وهو في بني الحارث بن الخزرج فأخير بمقالة مروان ؛  
 فقال : أما فقلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفهم شيئا واحدا ! . ثم خرج  
 حتى نزل السويداء (على ليلتين من المدينة في طريق الشام) فرمها ، فلم يزل بها بقية  
 عمره . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . ثم ساق الأصمهاني هذه  
 القصة في موضع آخر بسند آخر قال : خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة ،  
 فبصر بشخص في السبحة مما على مسجد الأحراب ؛ فلما نظر إلى يحيى جلس ؛  
 فاستراب به ، فوجه إليه أعوانه ، فأبى به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة  
 وهو متمشط مخضب . فقال له أعوانه : هذا ابن نفاث المخنث . فقال : ما أحسبك  
 تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا ! إقرأ أم القرآن ؛ فقال : لو عرفت أمهن عرفت  
 البنات . فأمر به فعزبت عنقه . وساق نحو ما تقدم ، إلا أنه قال : جعل في كل  
 مخنث ثلثمائة درهم .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كيسان وغيره : أن أبان بن عثمان لما  
 أمره عبد الملك على الحجاز أقبل ، حتى [إذا] دنا من المدينة تلقاه أهلها ونخرج  
 إليه أشرافها ، فخرج معهم طوئيس . فلما رآه سلم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ،

(١) بطحان (هتج الباء) ، وأكثرهم يصحها . قال ابن الأثير : ولعله الأصم (الأمح) : اسم وادي

المدينة ، واليه ينسب الطحانيون . (انظر المسان مادة «ضح» ) .

(٢) الزيادة عن الأمازي (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

إني كنت قد أعطيت الله تعالى عهداً إن رأيته أميراً لأخضبت يدي إلى المرتقين  
ثم أزدو بالثف بن يديك. ثم أبدى عن دفة وتفتي [شعرذى جَدْنِ الحِميرى] :  
ما بال أهلِكَ يا رَبَّابُ • نُحْزَرًا كأنهم غَضَابُ

فطرب أبان حتى كاد يطير، ثم جعل يقول : حَسْبُكَ يا طائوس ! — ولم يقل له  
طويس لنبله في عينه — ثم قال له : اجلس ، بفس . فقال له أبان : قد زعموا  
أنك كافر . فقال له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! والله إني لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأصلي الخمس وأصوم رمضان وأحج البيت . قال :  
أمانت أكبر أم عمرو بن عثمان ؟ — وكان عمرو أخا أبان لأبيه وأمه — فقال  
طويس : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! أما والله مع جلائل نساء قومي أميك بذبولن يوم زُفَّت  
أتمك المباركة إلى أميك الطيب . فاستحيا أبان ورمى بقرنه إلى الأرض .

### ذكر أخبار عبد الله بن صريح<sup>(١)</sup>

هو أبو يحيى عبد الله بن صريح، مولى بني نوفل بن عبد مناف، وقال ابن الكلبي :  
إنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب . وقيل : إنه مولى لبني ليث، ومثله بمكة .  
وقال الحسن بن حنبل اللهي : إنه مولى لبني عاذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .  
وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان آدم أحمر ظاهراً لثم سناطاً، في عينيه قبل،  
وبلغ نحسا وثمانين سنة، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر .

(١) أردو : أضرب .

(٢) الزيادة عن الأغاني (ح ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) في الأصول : « على أميك » . والتصويب عن الأغاني .

(٤) هكذا بالأصول . وسيأتي قريباً أنه يسمى « عبد بن صريح » . واصطريت فيه أصول الأغاني ،

مورد في بعضها : « عيد » . وفي بعضها : « عيد الله » . وفي بعضها : « عبد الله » .

(٥) الساط : الذي لا حية له أصلاً أو الخفيف الناحض أو من له حية وليس في عاضيه شيء .

(٦) القتل : مثل الحول في العين، أو هو أحسن منه .

- وتقل أيضا عن ابن الكلبي أنه كان غنّتا أحول أعمش ، يلقّب بوجه الباب .  
 وكان لا يفتنى إلا متقبّا ، مُسَيِّلَ القِتّاع على وجهه . قال : وكان أحسن الناس  
 غناء ، وكان يفتنى مُرتجلا ويوقع بقضيب ، وقيل : كان يضرب بالعود ، وغنى في زمن  
 عثمان بن عفّان ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : كان اسمه عبيد بن  
 سريح من أهل مكة . وقال ابن جرّيح : كان عبيد بن سريح مولى آل خالد بن أسيد ،  
 وقيل : كان أبوه تركيا . وقيل : كان عودّه على صنعة عيدان الفُرس ، وهو أقول من  
 ضرب به على الغناء العربي بمكة ؛ وذلك أنه رآه مع المعجم الذين قدّم بهم ابن الزبير  
 لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال ابن سريح : أنا أضرب به على غنائى ،  
 فضرب به فكان أحذق الناس . وأخذ الغناء عن سعيد بن مسجع ، وقد تقدّم  
 ذكر ذلك . وأول ما اشتهر بالغناء في ختّان ابن مولاة عبّد الله بن عبد الرحمن بن  
 أبى حسين . قال ابن سريح لأثم الغلام : خفّضى عليك بعض المغرم والكلفة ،  
 فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به . وكان معبد إذا أعجبه غناء نفسه  
 قال : أنا اليوم سريحي .

- ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبى رَاح لقيه بذي طوى وعليه ثياب مُصبغة  
 وفي يده جُرادة مشدودة الرّحل يخطيط يطيرها ويحببها كلما تخلفت ؛ فقال له عطاء :  
 يا فتان ، ألا تكفّ عما أنت فيه ! كفى الله الناس مثونتك . فقال له ابن سريح :  
 وما على الناس من تلويحى ثيابى وأبى يجرداتى ! فقال : تفنّهم أعانك الخبيثة .  
 فقال له ابن سريح : بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك ألا سمعت منى بيتا من الشعر ، فإن سمعت  
 منكرا أمرتني بالإمساك عما أنا عليه ، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البَيّة إن أمرتني

بعد استماعك مني بالإسكاف عما أنا عليه لأفعلن . فأطعم ذلك عطاءً في آبن سريج  
وقال له : قل . فأندفع يغني بشعر جرير :

إِنَّ الَّذِينَ قَدَّوْا بِلَيْكَ غَادِرُوا \* وَشَلَّاءَ بَيْنَكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا

غَيْضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَلْنَ لِي \* مَاذَا لَيْفَتَ مِنَ الْمَوَى وَلَقِينَا

- ٥ قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً وداخلته أريجته ، خلف ألا يكلم  
أحدًا بقية يومه إلا بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ، فكان كل من  
يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو حبر لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى  
ويستد هذا الشعر حتى صلى المغرب . ولم يعاود آبن سريج بعدها ولا تعرض له .  
وحكى عنه أيضاً نعيم بن أبي ربيعة سج في عام من الأعوام ومعه آبن سريج ،  
١٠ فلما رأوا الجرات تقدموا الحاج إلى كتيب على خمسة أميال من مكة مشرف على طريق  
المدينة وطريق التمام والمراق . وهو كتيب شاخ مفرد عن الكُثبان ، فصارا إليه  
فاكلا وشربا . فلما أنتشيا أخذ آبن سريج الدف ففقره وجعل يتغنى وهم ينظرون  
إلى الحاج . فلما أتموا رفع آبن سريج صوته وتغنى بشعر امرئ بن أبي ربيعة . فسمعه  
الركبان ، فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت ، أما نتق الله أقد حبست الناس عن  
١٥ مناسكهم ، فيسكت قليلا حتى إذا مضوا رفع صوته فيقف آخرون ، إلى أن وقف  
عليه في الليل رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكتيب ، ثم نادى :  
يا صاحب الصوت ، أسهل عليك أن ترد شيئا مما سمعته منك ؟ قال : نعم ونعمة  
عين ، فأبها تريد ؟ فأترح صوتا ففناه . ثم قال له آبن سريج : إزدد إن شئت ، فأترح  
صوتا آخر ففناه ، فقال له : والثالث ولا أستريك ، ففناه الثالث . وقال له آبن  
سريج : أقيت لك حاجة <sup>(١)</sup> قال نعم ، تنزل لأحاطبك ، فقل إليه فإذا هو يزيد

(١) في الأصول هكذا : ( أقيت الراحة ) . والبصيرب عن الأغانى ( ج ١ ص ١٠٣ ) .

ابن عبد الملك، فأعطاه حُلته وخاتمه وقال : خذهما ولا تُخدعَ فيهما فإن شراءهما ألف وخمسمائة دينار، فعاد ابن سريج بهما فأعطاهما لعمر بن أبي ربيعة وقال : هما بك أشبهُ منهما بي، فأخذهما وعرضه عنهما ثلثائة دينار، وقدما فيهما إلى المسجد، ففرقهما الناس وجعلوا يتعجبون ويسألون عمرَ عنهما، فيُجبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمع ابن سريج وهو يفتى، فقال : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن ! .

- قال إبراهيم بن المهدي : كان ابن سريج رجلا حافلا أدبيا، وكان يعاشر الناس بما يشتهون فلا يفتنهم بما مديح به أعداؤهم ولا بما فيه عارٌ عليهم أو غضاضة منهم . ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني بإسناده، قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أنشِئ لي ابن سريج، فأشخصه إليه . فلما قدم مكث أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه، ثم ذكره فأستحضره، فدخل عليه وسلم فأذن له بالجلوس وأستدناه حتى كان قريبا منه، فقال : وَيَحْك يا عُيَيْد ! لقد بلّغني عنك ما حلّني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك . قال : جُعِلت فِدائك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالمعيدي <sup>(١)</sup> لأن تراه »، قال الوليد : إنني لأرجو ألا تكونَ أنتَ ذاك، ثم قال : هايت ما عندك؛ فأندفع يفتي بشعر الأحوص :

وَأَتَى إِذَا حَلَّتْ بَيْتِي مَقِيمَةً <sup>(٢)</sup> • وَحَسَلَ بَوَّجٌ جَالِسًا أَوْ تَتَمَّا <sup>(٣)</sup>

- (١) هذى إحدى روايات المثل، حكاه الميداني في معجم الأمثال، والرواية المشهورة وهي التي صدرت بها هذه الروايات (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) .  
(٢) بيت (بالفتح) : أحد حاليك إلي . ويش (بالكسر) : من ملأ إلي أيضا قرب دهلك .  
(٣) كذا في الأمان (ج ١ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) ووج : اسم واد بالطائف بالبادية وفق الأصول : « بوج » بالخاء المهملة - ووج : قيل إنها ناحية ببلاد وحالسا : أتى المجلس وهو متحد . وتتم : أتى تامة .

بِمَانِيَّةٍ شَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا \* رَجَاءٌ وَظَنًا بِالْمَغِيبِ مَرِيحًا  
أَحَبُّ دَنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى \* بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إِلَّا تَنَلَّمَا  
بَكَاهَا وَمَا يَدْرِي سَوَى الظَّنِّ مَا بَكَى \* أَحْيَا يَسْكُنِي أَمْ تَرَابًا وَأَعْظَمَا  
فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِحَافِيَةَ مَذْحَجَةٍ \* تُرِلُّ عَنْكَ بُيُوسِي أَوْ تَقِيدُكَ مَغْنَمَا<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّ بَكَثِيهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ \* وَغَيْثَ حَيَا يَجَاهُ النَّاسِ مُرْمِيهَا<sup>(٢)</sup>  
إِمَامُ أَتَاهُ الْمَلِكُ غَفْوًا وَلَمْ يُنَبِّ \* عَلَى مَلِكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمَا  
تَحْصِيهِ رَبُّ الْعِبَادِ لِحَافِيهِ \* وَلِيًّا وَكَأَنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ أَهْلَمَا  
يُنَالُ الْغِنَى وَالْعِزُّ مَنْ نَالَ وَدَه \* وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مَنْ تَسَامَا<sup>(٣)</sup>

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص . ثم قال : يا عبيد هيه ! فسمعه بشعر

عدي بن الرقاع العائلي يمدح الوليد :

طَارَ الْكُرَى وَأَلَمَ الْحَسْمُ فَآكَتُنَا<sup>(٤)</sup> \* وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَأَمْتُنَا  
كَانَ الشَّبَابُ قِتَامًا أَسْكَنُ بِهِ \* وَأَسْتَظِلُّ زَمَانًا ثَمَّتْ أَفْعَمُنَا  
وَأَسْمِدِلُ الرَّأْسَ شَيْئًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ \* فَيَأْتِي مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا تَرْطَا<sup>(٥)</sup>  
فَإِنْ تَكُنْ مَبْعُوثٌ مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبْتَ \* وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الْوَرَعَا  
فَقَدْ أُدِيتْ أُرَايِي الْخُلُودَ رَابِيَةً<sup>(٦)</sup> \* عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُورًا بِهَا وَلِعَا

(١) في الأغانى : « أنما » . ووقع الفعل هنا على توم أن الأول مرفوع ، كأنه قيل : تريل عنك  
بُيُوسِي أَوْ تَقِيدُكَ مَغْنَمًا ، أَوْ سَمَّاهُ كَأَنَّهُ قِيلَ : أَوْ هِيَ تَمْلِكُ مَغْنَمًا .

(٢) يقال : أَرَمْتَ السَّيْلَ إِذَا أَتَتْ بِالرَّحْمِ ، جَمْعُ رَمَةٍ وَهِيَ الْمَطَرُ الضَّعِيفُ إِذَا تَمَّ .

(٣) في الأصول : « تَسَامَا » . والصواب عن الأغانى .

(٤) أَلَمَ : زَلَّ . وَآكَتُنَا : وَكَلَّتُنَا .

(٥) فَيَأْتِي : حَسَّةُ الشَّرْطِ لَوْنُهُ . وَالْتَرَجُ : انْحِصَارُ قَدَمِ شَعْرِ الرَّأْسِ عَنْ جَانِبِي الْجَبْهَةِ .

(٦) في الأغانى : « رَابِيَةً » .

بَرَاةَ الثَّغْرِ يَسْنِي الْقَلْبَ لَنُتْبَا \* إِذَا مُقْبِلَهَا فِي رَيْقِهَا كَرَمَا  
كَالْأُخْوَانِ بِضَاحِ الرُّوضِ مَبْهَمَا \* غَيْثُ أَرْضٍ بِنْتِضَاجٍ وَمَا هَعَمَا  
صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ . وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجَمْعَا  
عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَقْوَامُ ضَاحِيَةً \* بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحِبَاهُ مَعَا  
هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحِمَ أُمَّتَهُ \* عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْعَا  
عُدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَتَفْقِدَهُ \* وَأَنْ نَكُونَ لِرَاجٍ بَعْدَهُ تَبْعَا  
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ \* مُلْكٌ أَعَانَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَارْتَفَعَا  
لَا يَمْنَعُ اللَّهُ مَا أَعْطَى الَّذِينَ هُمْ \* لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْطَوْنَ مَا مَنَعَا

فقال الوليد : صدقت يا عَيْدُ . أَيْ لَكَ هَذَا ؟ قَالَ : ( هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ) .  
قال الوليد : لَوْ غَيْرَ هَذَا قُلْتَ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكَ . قَالَ ابْنُ سَرِيحَ : ( ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ  
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ) قَالَ الْوَلِيدُ : ( يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ) . قَالَ ابْنُ سَرِيحَ : ( هَذَا مِنْ  
فَضْلِ رَبِّي لِيَسْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ) . قَالَ الْوَلِيدُ : لِيَعْلَمَنَّ أَنَّكَ أَكْثَرُ وَأَعْجَبُ إِلَى  
مَنْ غَنَّاكَ ! غَنَى بِفَنَاءِ بَشَرٍ عَدِيٍّ بِنِ الرَّقَاعِ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ فَقَالَ :  
عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهَمًا فَأَعْتَادَهَا \* مِنْ بَعْدِ مَا سَمِلَ الْيَلِيَّ أَبْلَاذَهَا<sup>(٤)</sup>

١٥ (١) كَذَا فِي الْأَخَانِي (ج ١ ص ٢٩٩ طبع دار الكتب المصرية) . وَفِي الْأَصُولِ : « صَلَّى  
الَّذِي ... الْخ » .

(٢) كَذَا فِي الْأَخَانِي . وَفِي الْأَصُولِ : « لَا يَمْنَعُ النَّاسَ » .

(٣) رَأَيْنَا أَنَّ تَبَيَّنَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ كَامِلَةً ، وَقَدْ قَلَدْنَاهَا عَنْ مَجْلَةِ الْأَنْوَارِ السَّانِيَةِ ص ٤٤٤ وَوَقَدْ  
نَشَرْنَا فِيهَا الْمَرْحُومَ أَحْمَدَ تَجَرُودَ شَا وَقَالَ : إِنَّهُ لَا يَوْجِدُ مِنْهَا فِي كُتُبِ الْفَنَاءِ وَالْأَدَبِ إِلَّا آيَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَإِنَّ  
مَنْ عَلِمَهَا تَامَةً فِي مَجْمُوعٍ مَخْطُوطٍ قَدِيمٍ بِمِزَانَةِ الْمَرْحُومِ أَحْمَدَ زَكِيَّ بَاشَا مَكْتُوبٍ عَلَيْهِ بِخُصْفٍ حَدِيثٌ أَنَّهُ لَقِيَ الْعَالِمَ  
وَالْآيَاتِ الْمَوْضُوعَةِ بَيْنَ قَوْسَيْنِ مَرِيضِينَ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ بِالْأَصْلِ .

(٤) أَبْلَاذُهَا : آثَارُهَا . وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى « دَرَسَ » بِدَلِّ « شَمَلِ » .

[إلا رواسي كلهن قد أصطلى \* جمرًا وأشعل أهلها إجماعها<sup>(١)</sup>  
 كانت رواحل للقدور فعريت \* منهن وأستلب الزمان رماها  
 وتكرت كل التنكر بعدنا \* والأرض تعرف بملها وجمادها<sup>(٢)</sup>  
 ولرب واضحة السوارض حرة<sup>(٣)</sup> \* كالزيم قد ضريت به أوتادها  
 تصطاد بهجتها المعلل بالصبا \* عرّضا فقصده ولن يصطادها<sup>(٤)</sup>  
 كالظليسة البكر الفريدة ترتبي \* من أرضها قفاتها وعهادها<sup>(٥)</sup>  
 خضبت لها عقد البراق جينها \* من عرّكها علجانها وعرّادها<sup>(٦)</sup>  
 كالزير في وجه العروس تبدلت \* بعد الحياء فلابت أرادها  
 تُزجي أغن كأن لمبة روقه \* قلم أصاب من الدواة مدادها  
 ركبته به من عاج متحيرا \* قفرا تُريث وحشه أولادها<sup>(٧)</sup>  
 قري محاييه التي تسقى الثرى \* والمهر يُوقق نبتها روادها<sup>(٨)</sup>  
 بانث سعاد وأخلفت ميعادها \* وتباعدت عنا إتمعن زادها

- (١) رواية الأغانى « رواك » بدل « رواسى » ، و « جمرأ أشعل » بدل « جمرأ وأشعل » .  
 (٢) الجبل : الأرض المرتفعة التي لا يحيطها مطر إلا مرة واحدة في السنة ، والجماد : اليابسة التي لم  
 يصحها مطر ولا شيء فيها .  
 (٣) فى الأمانى ( ج ١ ص ١١٩ ) : « مقلقة » .  
 (٤) المعلل بالصبا : المشغول به المظهرى . وأقصده : رماه بسهم فقتله .  
 (٥) القفات : جمع قفة ، وهى — كما قال الأزهري — شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر  
 شبر وتيسر . والهاد : جمع عهد بالفتح وعهدة ( بالفتح والكسر ) وهى مطربط مطر يدرك آخره بل أوله .  
 (٦) فى الأصل :  
 خضبت لها عقد البراق جينها \* عرّكها طمانها وعهادها  
 والبراق : جمع بركة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . والعلجان والمراد نباتان .  
 (٧) عاج : اسم موضع .  
 (٨) محاييه : مطاطه وثناياه ، وسقى : من الوسق وهو الجمع ، والمهر : المطنن من الأرض .



(١) إني إذا ما لم تصلني خلتي • وتباعدت عني أعفرت وماذا  
[إنا ترى شئني تقشع لتي • حتى علا وضع بلوح سوادها (٢)  
فلقد ثبت يد الفتاة وسادة • لي جاعلا يسرى يدي وسادها  
وأصاحب الجيش العزم فارسا • في الخيل أشهد كرها وطرادها  
وقصيدة قد بث أجمع بينها • حتى أقوم ميلها وسادها (٣)  
نظير الخفيف في كعوب قناته • حتى يقم هوائه متادها (٤)  
فسترت حب مبشقي بشكرم • وأتيت في سعة النسيم سدادها (٥)  
وعليت حتى ما أمائل ولعدا • من حبل السيف سدادها (٦)  
صلى الله على امرئ ودعته • وأتم نعمته عليه وزادها  
وإذا الريح تسابت أنواؤه • فسق خناصرة الأحص بغادها (٧)  
زل الوليد بها فكان لأهلها • فينا أغاث أنيسها وبلاذها  
أولا ترى أن البرية كلها • ألقت خزانها إليه فقادها  
ولقد أراد الله إذ ولاكها • من أمة إصلاحها ورشادها  
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت • وكففت عنها من يروم فسادها  
وأصبحت في أرض العدو مصيبة • عمت أفاضل غورها ونجادها  
ظفرا ونصرا ما تناول مثله • أحد من الخلفاء كان أرادها

(١) الخلة بالضم : الخلية • (٢) بلوح سوادها : يثيره •

(٣) السداد : هو اختلاف الحركات التي على الأرداف في الروي •

(٤) متادها : سوجها • (٥) السداد : ما تده به الخلة • (٦) الأحص : كوح

كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبة وبين الشمال من مدينة حلب تسمى « خناصرة » مدينة ك  
يترها عمرو بن عبد العزيز وهي صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها كذا في باقوت ، وقد أورد البيت هكذا

وإذا الريح تسابت أنواؤه • فسق خناصرة الأحص وزادها

فإذا نشرت له النشاء وجدته • جمع المكارم طرقها وتلاها  
[قلب الماسيح الوليد سماعه • وكفى قريش المعضلات وسادها  
تأنيه أسلاب الاعزة عنوة • قسراً ويجمع المحروب عنادها  
وإذا رأى نار العذر تقرمت • ساقى جماعة أهلها فأقتادها  
بمرمرير تبدو الروابي ذى ونى • كالخزة أحمل الضحى أطوادها<sup>(١)</sup>  
أطقات نارا للمحروب وأوقدت • نار قلحت براحيك زنادها  
فبدت بصيرتها لمن ينغى الهدى • وأصاب حرشديها حسادها  
وإذا غدا يوماً بنقعة نائل • عرضت له الفد مثلاً فأعادها  
وإذا عدت خيل ثباد غاية • فالسابق الجبال يسود جبالها]

(١٠٦)

فاشار الوليد إلى بعض الخدم فنظوه بانلق، ووضعوا بين يديه كيس الدنانير  
وبدر الدرهم، ثم قال الوليد: يا مولى بنى نوفل بن الحارث لقد أوتيت أمراً جليلاً  
فقال ابن سريج: وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرافاً عظيماً وعزاً  
بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله، فأدام الله لك ما وآلاك  
وحفظك فيما أمرتك، فإنك أهل لما أعطاك، ولا يترعه منك إذ رآك له موضعاً.  
قال: يا نوفل، وخطيب أيضاً! قال ابن سريج: عنك نطق، ولسانك تكلمت،  
وبمرك بيت، وكان قد أمر بإحضار الأصوص بن محمد الأنصاري وعبدى بن  
الرقاع العاملي، فلما قدما عليه أمر بإتزانها حيث ابن سريج فأتوا منزلاً بجوار منزله.  
فقالا: والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بنى نوفل، وإن  
فى قربك لنا يلدنا ويشغلنا عن كثير مما نريد. فقال لهما ابن سريج: أوقلة شكر!

(١) الوعى: الخلبة، والحرة بالفتح الأرض الصلبة الطيبة. والمعنى أن الروابي التي يجارب فيها هذا الجيش تبدو لناظر كأنها حرة حل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية.

- فقال له عدى : كأنك يا بن القنء تَمُنُّ علينا ، [علّـ وعلّـ] إن جمعنا وإياك سَقَف بيت أو مَحْنُ دار عند أمير المؤمنين ، فقال الأحوص : أولا تحتمل لأبي يحيى الزّلة والهفوة ، وكفارة يمين حير من بلّاج في غير منفعة . فتحول عدى وبقى للأحوص . وبلغ الوليد ما جرى بينهم ، فدعا ابن سريج فأدخله بيتاً وأرخص دونه سِتْراً ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدى من كليهما أن يغنى ، فلما دخلا وأنشده مدائح لها فيه ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يروّنه وضرب بسود . فقال عدى : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أتكلّم ؟ قال : قل يا عامل ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبحث إلى ابن سريج يخطى رقاب قريش والعرب من تهامة إلى الشام ترصه أرض وتُخَفِّضُه أخرى لسمع غنائه ! قال : ويحك يا عدى ! أولا تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله ، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الحق يتفتنون ، فقال : أخرج عليهم ، فخرج فلذا ابن سريج . فقال عدى : حقّ لهذا أن يُجمل ! حقّ لهذا أن يجمل ! ملا ، ثم أمر لها بمثل ما أمر به لابن سريج وأرتمل القوم .

- وروى أبو الفرج أيضاً عن سهل بن بركة وكان يجمل عود ابن سريج قال : كان على مكة نافع بن عَقْمَة الْيَكَنَى فشدّ في الغناء والغيتن والتبذ وتآدى في المختين . فخرج فيئة من قريش إلى بطن محسر وبعشوا برسول لهم ، فجاءهم براوية من شراب الطائف ، فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا ، فقلت : هو على لكم ، فقال لي بعضهم : دونك هذه البقلة فأركبها وأمض إليه ، فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه ، فقال لي : ويحك ! وكيف لي بذلك

مع شدة السلطان في الفناء وندائه فيه . فقلت له : أترقم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعود ؟ قلت : أنا أخبؤه لك فشاكتك . فركب واستوت العود فأردفتني . فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع بن عثمة قد أقبل ؛ فقال لي : يا بن بركة ، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك ! أرسل عنان البغلة وأمض ولا تحف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج ، فقال لي : يا بن بركة ، من هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغي أن يكون ! هذا ابن سريج ، فبسم ثم تمثل :

فإن سَجَّ منها يا آباءُ مُسلِّماً • فقد أقلت الجُحَّاجُ خيلَ شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح . فقلت له : غني مرتجلا ؛ فرفع صوته نليل إلى أن الشجرة تنطق معه ، فغنى وقال :

كيف التَّوَّاءُ يطن مكة بعدما • هم الذين تُحِبُّ بالإجماع

أم كيف قلبك إذ قويتَ محمرا • سَقَمًا خِلَافَهُمْ وَكَرْبًا بَادِي

هل أنت إن ظن الأُحبة غايي • أم قبل ذلك مُدْبِجٌ بسواد

قال : فقلت : أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ! ولو أن كتابه كلها سمعت لاستحسنتك ، فكيف بنافع بن عثمة ! المغرور من غره نافع . ثم قلت : زدني وإن

كان القوم متعلقة قلوبهم بك ؛ فغنى وتناول عودا من الشجرة فوقع به على الشجرة ؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على الميدان إذا أخذتها عيدان الدقل<sup>(١)</sup> ، وغنى :

لا تجبني تجرا على وغربة • فالهجر في تلف المحب سريج

(١) كما في الأغانى (ج ١١ ص ٢٠ طبع ولاق) . وفي الأصل : « دقل » .

(٢) في الأصل : « من قبل ذلك » . والتصويب من الأغانى .

(٣) في الأصل : « لاستحسنت » وتصحيح من الأغانى .

(٤) الدقل : شجر مر أحمر حسن المزيكودى الأودية .

مَنْ ذَا فَدَيْتِكَ يَسْتَطِيعُ لِحَبِّهِ \* دَفَعًا إِذَا أَشْمَلْتَ عَلَيْهِ ضُلُوعُ  
 قُلْتُ : بَغْيِي أَنْتَ وَآلَهُ ، مَنْ لَا يُكَلِّ وَلَا يُمَلِّ ! وَآلَهُ مَا جَوَلُ مِنْ فَيْهَكَ ، أَرَكِبُ  
 بِنَا قَدْتِكَ قَمِي . قَالَ : أَمَهْلِي كَمَا أَمَهْلُكَ أَقِضْ بَعْضُ شَأْنِي . قُلْتُ : وَهَلْ عَمَّا  
 تَرِيدُ مَدْفَعٌ ! . قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ إِلَى الشَّجَرَةِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
 إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ مَضَيْنَا وَالْقَوْمُ مُسْتَشْرِفُونَ . فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ إِذَا  
 الْغَرِيضُ يَغْنِيهِمْ :

مِنْ خَيْلٍ حَيٍّ لَا تَزَالُ مُنِيرَةً \* سَمِعْتُ عَلَى شَرْفِ صَبِيلِ حِمَايِنِ  
 فَبَكَى ابْنُ مَرْيَحٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ خَرَجَتْ . قُلْتُ : مَا يَكُنْكَ يَا أَبَا بَحِيٍّ ؟  
 جُعِلَتْ فِدَاكَ لَا يَسُوكُ اللَّهُ وَلَا يُرِيكَ سَوْمًا ! قَالَ : أَبْكَانِي هَذَا الْخَنْثُ بِحَسَنِ  
 ضَانَتِهِ وَشَبَابِ صَوْتِهِ ، وَآلَهُ مَا يَبْنِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْتَفِي وَهَذَا الصَّبِيُّ حَيٌّ ؛ ثُمَّ نَزَلَ وَاسْتَرَحَ  
 وَرَكِبَ . فَلَمَّا سَرْنَا هُنَيْهَةً أَنْدَفَعَ الْغَرِيضُ يَنْتَفِي لَمْ يَلْعَنَهُ :

يَا خَلِيلِي قَدْ مِلْتُ قَوَائِي \* بِالْمُصَلَّى وَقَدْ سَمِعْتُ الْبَقِيْعَا  
 بِلِقَائِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسُعْدَى \* وَأَرْجِيَانِي فَقَدْ هَوَيْتُ الرَّجُوعَا  
 قَالَ : وَلِصَوْتِهِ دَوًى فِي تِلْكَ الْجِبَالِ . فَقَالَ ابْنُ مَرْيَحٍ : يَا بَنَ بَرَكَةٍ ، أَسَمِعْتَ مِثْلَ هَذَا  
 الْفَنَاءِ قَطُّ ؟ أَقَالَ : وَظَنُّوْا إِلَيْنَا فَأَقْبَلُوا تَسَاوًى يَسْحَبُونَ أَحْطَافَهُمْ وَجَمَلُوا يَقْبَلُونَ وَجْهَهُ  
 ابْنُ مَرْيَحٍ . فَتَرَلْنَا قَامَ عِنْدَهُمْ ثَلَاثًا ، وَالْغَرِيضُ لَا يَنْطَلِقُ بِحَرْفٍ ، وَأَخَذُوا فِي شَرَابِهِمْ  
 وَقَالُوا : يَا حَبِيبَ النَّفْسِ وَشَقِيْقَهَا ، أَعْطَاهَا بَعْضُ شَأْنِهَا . فَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى جَيْبِهِ فَأَخْرَجَ  
 مِنْهُ مِضْرَابًا ثُمَّ أَخَذَهُ بِيَدِهِ وَوَضَعَ الْعُودَ فِي حِمْرِهِ — فَمَا رَأَيْتُ [يَدًا] أَحْسَنَ مِنْ يَدِهِ

(١) فِي الْأَمْرِ : « وَالله لَا يَسُوكُ هَذَا وَلَا يَرِيكَ سَوْمًا » . وَالْمُصَوِّبُ مِنَ الْأَمَانِي .

(٢) فِي الْأَخَانِي : « بَعْضُ مَنَاقِبَا » .

(٣) كَذَا فِي الْأَمَانِي . وَفِي الْأَمَلِ : « إِلَى جَنْبِهِ » .

(٤) الزَّيَادَةُ مِنَ الْأَمَانِي .

ولا خشبةً ثَقِيلَتْ لى أنها جوهرَةٌ إلهى - ثم ضربَ فقد ضجَّ القومُ جميعاً، ثم غنى  
فكُلُّ قال : لَيْتَكَ لَيْتَكَ ! فكانَ مآ غنى به [واللحن له] مَرْجُحٌ :

لَيْتَكَ يَا سَيِّدِي • لَيْتَكَ أَلْقَا حَدَا

لَيْتَكَ مِنْ ظَالِمَةٍ • أَحْبَبْتُهَا بِجَهْدَا

قُومِي إِلَى مَلْعَبِنَا • تَحْكِي الْجَوَارِي الْخُلُودَا

وَضَعِي يَدِي فَوْقَ يَدِي • زَفَعْنَاهَا يَدَا يَدَا

فكُلُّ قال : ففعل ذلك؛ فقد رأينا نستبق آياتنا تقع يده على يده • ثم غنى :

مَا هَاجَ شَوْقَكَ بِالصَّرَائِمِ • رَبِّعُ أَحَالِ لَأَلِّ تَاصِمِ<sup>(١)</sup>

رَبِّعُ تَقَادَمَ عَهْدِهِ • هَاجَ الْحُبُّ عَلَى التَّقَادَمِ

فِيهِ النِّوَامُ وَالشَّبَابُ • بُ التَّاعَمُونَ مَعَ النِّوَامِ

مِنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ الْجَلِيدِ • مِنْ عَمِيمَةٍ رِيَا الْمَعَامِ

ثم غنى بقوله :

شَجَانِي مَنَافِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا • وَصَاحَ غِرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ

فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً • وَفِيهِنَّ خَوْدُ كَالْمُهَاجَةِ غَضِيضُ

وَوَلَّيْتَ عِزَّوْنَ الْفُؤَادِ مَرُوءَةً • كَكَيْفِيَا وَدُمُعِي فِي الرَّدَاءِ يَفِيضُ

قال : فلقد رأيتُ جماعةً من الطير وقفنَ بقربنا وما نحسُّ من قبل ذلك منها

شيئاً . فقالت الجماعة : يَا تَأَمَّ السُّرُورَ وَكَيْالَ الْمَجَالِسِ ، لقد سَعِدَ مَنْ أَخَذَ بِحِفْظِهِ<sup>(٢)</sup>

مَنْكَ وَخَاطَبَ مِنْ حُرْمِكَ ، يَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَتَسْمِيَةَ الْقُفُوسِ جَعَلْنَا اللَّهُ فِدَاكَ ، غَنَّا .

فَنَسَى :

(١) فِي الْأَنَافِ : « سَح » . (٢) زِيَادَةُ عَنِ الْأَعْنَ . (٣) فِي الْأَعْنَ :

« لَامٌ تَاصِمٌ » . (٤) فِي الْأُمُورِ : « بِحُكْمِكَ » . وَالصُّوْبُ مِنَ الْأَعْنَ .

ياهنداك لو علم • سِتِ بِعَازِلَيْنِ تَنَاجَا

قال : فَبَدَرْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَبْلْتُ عِيْذِهِ ، قَهَاتِ الْقَوْمُ عَلَيْهِ يَقْبَلُونَهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي  
وَأَنَا أَرْضَهُمْ عَنْهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ .

وكانت وفاة ابن سريج بالعلّة التي أصابته من الجُدَامِ بِمَكَّةَ فِي خِلافةِ سُلَيْمَانَ  
ابن عبد الملك أَوْ فِي خِلافةِ الْوَلِيدِ ، وَذُقْنِي فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ « دَسَمٌ » . رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ •  
وَعَفَا عَنْهُ وَغُفِرَ لَهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَحْضِرَ نَظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ نَبْكَى فَبَكَى وَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ هُمَى  
أَنْتِ وَأَخْشَى أَنْ تَضِيعِي بَعْدِي . فَقَالَتْ : لَا تَحْتَفِ فَمَا غَنَيْتَ شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَخَذْتُهُ .  
فَقَالَ : هَاتِي ، فَأَتَدَقِّقُ فَنَسْتُ وَهُوَ مَصْنَعُ إِلَيْهَا . فَقَالَ : قَدْ أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي  
وَهَوْنِي عَلَى أَمْرِكَ . ثُمَّ دَعَا سَعِيدَ بْنَ سَعُودٍ الْهُذَلِيَّ فَنَزَّحَهُ إِذَاهَا ، فَأَخَذَ أَكْثَرَ خَئَاءِ  
أَيُّهَا وَأَتَقَهَّلَهُ .

### ذكر أخبار معبد

هُوَ مَعْبِدُ بْنُ وَهَبٍ ، وَقِيلَ : ابْنُ قَطْنَى . مَوْلَى ابْنِ قَطْنٍ ، وَقِيلَ : إِنْ قُتِلْنَا مَوْلَى  
الْعَاصِ بْنِ وَقِصَّةٍ الْخَزَوِجِيِّ ، وَقِيلَ : مَوْلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ . غَنَى مَعْبِدُ  
فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي أَوَّلِهَا ، وَمَاتَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بِدِمَشْقَ .  
قال أبو الفرج الأصفهاني :

إِنَّهُ لَمَّا مَاتَ خَرَجَتْ سَلَامَةُ جَارِيَةُ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخَذَتْ  
بِعُمُودِ السَّرِيرِ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَتَذَبُّهُ وَيَحْوِلُ شَعْرَ الْأَحْوَصِ :

(١) دَسَمٌ : مَوْضِعٌ قَرِيبُ مَكَّةَ .

(٢) فِي الْأَثَرِ (ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : « وَاصَّةٌ » بِالْألفِ الْمَرْحُودَةِ .

قد لعمري بث ليلى • كأي الداء الوجيه  
ونجى الهم منى • بات أدنى من نجى  
كلما أبصرت ربما • خالبا فاضت دموعي  
قد خلا من سيد كا • ن لنا غير مضجع  
لا تلتنا إن خشنا • أو همنا بخشوع

وكان معبد قد علمها هذا الصوت فندبته به . قال إصحاق بن إبراهيم الموصلي :  
كان معبد من أحسن الناس غناء ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم خلقا ، وهو إمام  
أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خاتر وتسيط الفارسي مولى عبد الله بن جعفر ،  
ومن جملة مولاة بهز ( بن من بد سليم ) . وفي معبد يقول الشاعر :

أجاد طويس والسريجي بعده • وما قصبات السبق إلا لمعبد

١٠

وحكى أبو الفرج أيضا :

أن الوليد بن يزيد أشتاق إلى معبد ، فوجه إليه البريد إلى المدينة فأحضره . فلما  
بلغ الوليد قلوبه أمر بركة ثلث ماء ورد وخلط بمسك وزعفران ، ثم جلس الوليد  
على حافة البركة وفُرش لمعبد مقابله وضرب بينهما ستر ليس معهما ثالث . وجرى  
بمعبد فضيل له : سلم على أمير المؤمنين وأجلس في هذا الموضع ؛ فلم فرد عليه من  
خلف السجف ، ثم قال له : أتدري لم وجهت إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين .  
قال : ذكرك فأجبت أن أسمع منك . فقال له معبد : أغني ما حضر أو ما يقرحه  
أمير المؤمنين ؟ قال : [ بل ] غن<sup>(١)</sup> :

١٥

ما زال يملو عليهم ريب دهرهم • حتى تقانوا وريب الدهر عداء

(١) كما في الأغاني ( ج ١ ص ٣٨ طبع دار الكتب المصرية ) . وفي الأصل : « خلقا » بإثاء  
المعجبة وهو تصحيف . ( ٢ ) الزيادة عن الأغاني .

٢٠



فنتاه . فرجع الجوارى السَّجَف ، ثم خرج الوليدُ فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها ، فاستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التي كانت عليه ، ثم شرب وسقى معبداً ثم قال له : غَنِيَّ يا معبد :

- يا رَبِّعُ مالك لا تُجِيبُ متيًّا \* قد عاج نحوكَ زائراً ومساكاً  
• جادتك كلُّ مصابةٍ حطالةٍ \* حتى تُرى عن زَهْرَةٍ متبهاً<sup>(١)</sup>  
لو كنتَ تدرى من دُعاكَ أجبتَه . \* وبكيتَ من حُرْقٍ عليه إذا دما

قال : فنتاه . وأقبل الجوارى فرفض السَّتر ، وخرج الوليدُ فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبداً وقال له : غَنِيَّ يا معبد :

- عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتِي \* أُنْدُبُ الرِّيحَ المُجِيلَا  
واقفاً في الدارِ أبكى \* لا أرى إلَّا الطُّلُولا  
كيف تبكى لأنايس \* لا يَمْلُوكُ الذَّمِيلَا<sup>(٢)</sup>  
• كلما قَلْتُ أطمانَتْ \* دارُهُم جَدُّوا الرِّجِلَا<sup>(٣)</sup>

(١٥)

- قال : فلما غناه ألقي نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبداً وقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد حُظوةً عند الملوك فليكنم أمرارهم . فقال :  
• ذلك بما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إحصائي به . فقال الوليد : يا غلام أحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تحمِّلْ له في بلده والتي دينار لتفقه طريقه ، فحمِلت إليه كلَّها ، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه في ذلك المجلس خمسة عشر ألف دينار .

- ٢٠ (١) كذا في الأغانى . والزهرة : البهجة والنفارة والحسن . وفي الأصل : « ترى عن زهره » .  
وصحه المرحوم الأستاذ الشنقيط في نفسه من الأغانى : « يرى عن زهره » . (٢) القميل : ضرب من السبر . (٣) في الأغانى (ج ١ ص ٥٤) : « قالوا » . (٤) أى ترفع وتسلم .

وقال أبو الفرج بسند رفعه :

إن معبدًا كان قد علم جاريةً من جوارى الجحّاز الغناء تدعى « طيبة »<sup>(١)</sup> وعني بتفريخها؛ فأشترها رجل من أهل العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فأشترها رجل من أهل الأهواز فأحبب بها وذهبت به كلّ مذهب وقلبت عليه ، ثم مات بعد أن أقامت عنده برهةً من الزمان ؛ فأخذ جواريه أكثرَ غنائها عنها . فكان لمحبة إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويُظهر التحسّب له والميل إليه والتقديم لغناؤه على سائر الأغاني من أهل عصره ، إلى أن عُرِفَ ذلك منه وبلغ معبدًا خبره . فخرج من مكة حتى أتى البصرة ؛ فلما وردعا صادف الرجل قد نرج عنها في ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز . فجاء معبدٌ في طلب سفينةٍ يحمّلها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، فركب فيها وكلاهما لا يعرف الآخر ؛ وأبحرت السفينة . فلما صاروا في نهر الأبلّة<sup>(٢)</sup> ، أمر الرجل جواريه بالغناء فغَنَيْنَ ، إلى أن غَنَّت إحداهن صوتًا من غناء معبد فلم يُجِدْ أدناه ؛ فصاح بها معبد : يا جارية ، إن غناؤك هذا ليس بمستقيم . فقال مولاها وقد غَضِبَ : وأنت ما يدريك الغناء ما هو ! ألا تُحِسُّ<sup>(٣)</sup> وتلزمُ شأنك ! فأمسك . ثم غَنَّت أصواتا من غناء غيره وهو ساكنتٌ لا يتكلّم حتى غَنَّت من شأنه فأخَلَّت ببعضه ؛ فقال لها معبد : يا جارية ، قد أخَلَّت بهذا الصوت إخلالًا كثيرًا . فغضب الرجل وقال له . ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تُكفّ عن هذا الفضول ! فأمسك . ثم غَنَّى الجوّاري

(١) في أكثر أصول الأغاني المختونة والمطونة : « طبة » .

(٢) الأبلّة (ضم) أرله وثانيه وشديد اللام وصحا ) . سمعته عن شاعرٍ دجّه حيرة بطه في زارية الخليل الذي يدلّ إلى مدينة البصرة ، كما في معجم اسماء نياتوت .

(٣) كذا في أكثر أصول الأغاني . وفي بعض أصوله : « لا تمسك ... » وفي الأصل ...

« ... وأنت ما يدريك ما الغناء ما هو إلا أن تمسك ... » .

- ملياً، ثم غنت إحدى صوات من غنائها فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد :  
يا هذه، أما تقومين على أداء صوت واحد ! فنضب الرجل وقال له : ما أراك تتدع  
هذا الفضول بوجه ولا حيلة ! فأقيم بالله إن عادت لأتخرجك من السفينة .  
فأسك معبدٌ، حتى سكنت الجوارى سكناً، فاندفع يفتي الصوت الأول حتى فرغ  
منه . فصاح الجوارى : أحسنت والله يا رجل، فأجابه . قال : لا والله ولا كرامة .  
ثم اندفع يفتي الثاني : قتلن لسيدي : ويحك ! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسله  
أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لطنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً .  
قال : قد سمعت سوءة عليك وأنا خائف مثله مني، وقد استقبلناه بالإساءة، فأصبرين  
حتى تُداريه . قال : ثم غنى الثالث فزلى عليهم الأرض . فوثب الرجل فقبل رأسه،  
وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : وهبك لم تعرف  
موضعي، قد كان ينبغي لك أن تتبعت ولا تسرع إلى سوء العشرة وجفاء القول .  
فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه، وكان معبدٌ قد أجلس في مؤخر السفينة . فقال له  
الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الجواز، فمن أين أخذه  
جواريك ؟ قال : أخذه من جارية كانت لي، كانت قد أخذت الغناء عن أبي حباد  
معبد وكانت تحل مني مكان الروح من الجسد، ثم استأثره بها وبقي هؤلاء الجوارى  
ومن [من] تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً، وأفضل  
صنعتي على كل صنعة . فقال له معبد : وإنك لأنت هو ! أتعرفني ؟ قال لا .  
قال : فصك معبد بيده صلته ثم قال : فأنا والله معبدٌ وإليك قدمت من الجواز  
ووافيت البصرة ساعة زلت السفينة لأفصلك بالأهواز، والله لا أقصرت في جواريك

(١٧)

(١) في بعض أصول النسخ : « نه خير » . (٢) الزيادة عن الأصل .  
(٣) في الأصول : « نه » والتصويب عن الأصل .

هؤلاء ولأجل ذلك في كل واحدة سقًا من الماضية . فآكب الرجل والبحار  
على يده ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمنا نفسك حتى جفوتك في المخاطبة وأسأنا  
عشرتكم وأنت سيدتنا ومن تمنى أن نلقاه . ثم غير الرجل أبواب معبد وطلع عليه  
صدّة سلّم وأعطاه في ذلك الوقت ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها ، وأتمرد معه إلى  
الأهواز فأقام عنده حتى رضى حدق جواريه ، ثم ودمه وأنصرف إلى الحجاز .

### ذكر أخبار الغريض

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

هو عبد الملك ، وكنيته أبو زيد ، وقيل : أبو مروان . والغريض لقب لقب  
به ؛ لأنه [ كان ] طريّ الوجه يضراً غصّ الشباب حسن المنظر ، فلقب بذلك .  
والغريض : الطريّ من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شُبّه بالإغريض وهو الجمّار  
ثم تهلّ ذلك على الألسنة فحذفت الألف فقليل : الغريض . وهو من مولى البربر .  
ولولاه للثريا (صاحبة عمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرضيا وقريبة وأم عثمان بنات  
على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . قالوا : وكان يضرب بالعود وينقر  
بالدفّ ويوقع بالقضيب . وكان قبل الغناء خياطاً . وأخذ الغناء في أول أمره  
عن عبيد بن سرّيج ، لأنه كان قد خدمه ؛ فلما رأى ابن سرّيج طبعه وطرفه وحلاوة  
مقطعه ، خشي أن يأخذ غناؤه فيغلبه عليه ويفوقه بحسن وجهه ، وحسنه ، فاستن  
عليه وشكاه إلى موليّاته ، وكفى دفعته إليه ليعلمه الغناء . وجعل يعجنّ عليه ثم ملّده .  
فعرّف موليّاته غرض ابن سرّيج فيه وأنه حسده ؛ فظن له : هل لك أن آسج

(١) الذي في الأصل (ح ٢ ص ٣٥٩ طبع دار الكتب المصرية : ١٤٠٠ نو : ٤)

(٢) لزيادة عن الأصل .

- نوحًا على قتلانا فأخذه وتقي عليه ؟ قال نعم . فأسمعه المراثي فأخذها ونرج غناه عليها . وكان ينوح مع ذلك فيدخل الماتم وتضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كل من سمعه . فلما كثر ضأؤه عدل الناس إليه لما كان فيه من الشجاء<sup>(١)</sup> فكان ابن سريج لا يفتي صوتا إلا عارضه فيه فيفتي فيه لحنا آخر . فلما رأى ابن سريج موقع الغرييض اشتد عليه وحسده ، ففتي الأرمال والأهزاج ، فأشتهاها الناس . فقال له الغرييض : يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفته . قال : نعم يا غنث حين جعلت تنوح على أبيك وأنتك . قال : ولم يفضل ابن سريج عليه إلا بالسبق ، وأما غير ذلك فلا .

- وقال بعضهم : كان الغرييض أشهى غناءً ، وابن سريج أحكم صنعة . وحكى أبو العرج الأصفهاني بسند رفعه إلى أيوب بن عباية عن مولى لآل الغرييض قال : ١٠ حدثني بعض مولاتي وقد ذكرن الغرييض قرحن عليه وقلن : جاءنا يوما فحدثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرفناه بعد ذلك حقيقة . قالت : وكان ابن سريج يجوارنا فدفعناه إليه ولقن الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتًا ، ففتن أهل مكة بحسن وجهه مع حسن صوته . فلما رأى ذلك ابن سريج<sup>(٢)</sup> نحاه عنه . فكان بعض مولاته تعلمه النياحة فبرز فيها . بغافى يوما فقال : نهتني الجن أن أنوح وأسمعتني صوتا عجيبا ، فقد أبقيت عليه لحنا فأسمعه مني ، فاندفع فتني بصوت عجيب في شعر لمرار الأسدي :

حللت لها بالله ما بين ذى النضا وهضبي القنان من عوان ومن يكر

- (١) كما في الإسن . وفي الأصول : « عدل الناس إليه لشجائه » .  
 (٢) كما في الأمان . وفي الأصل : « جلاه » . (٣) كما في الأمان . والقنان : ٢٠  
 حسن من سده فيه ما يدعى العيلة . وفي الأصل : « هضب العان » وهو تحريف .

أحب إلينا منك دلاً وما نرى • به عند ليلى من ثواب ولا أجر  
 قالت : فكذبناه وقلنا : شيء فتركه وأخرجناه على هذا الجنس . فكان في كل  
 يوم يأتيان فيقول : سمعت البارحة صوتاً من الجن يرجع وتقطع ، فقد بنيت عليه  
 صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن نتركه . فلما لك تلك ليلة  
 وقد أجمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سمرنا فيه ليلتنا والفريضة يفتينا  
 بشعر عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

أين آل زينب جد البكور • نعم فلأى هواها تصير

(١٢٥)

إذ سمعنا في بعض الليل عزيها عجيها وأصواتا دعرتنا وأفرحتنا . فقال لنا الفريضة :  
 إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نمت سمعته وأصبح أجنى عليه غنائى ، فأصغيت إليه  
 فلما نمت نعمة الفريضة بيها ، فصداها تلك الليلة .

١٠

وكانت وفاة الفريضة باليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز  
 وكان قد هرب من نافع بن علقمة لما ولي مكة من مكة إلى اليمن وأستوطنها  
 ومات بها .

وللفريضة أخبار مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن نثبت في هذا  
 الموضع ما سقف عليه إن شاء الله تعالى .

١٥

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه المترجم بالأغاني في أخبار  
 الحارث بن خالد بن الناصب هشام بن الميرة الخزوي ، بعد أن ساق قطعة من  
 أخباره مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأنه كان يهاوا ويشبب بها في شعره ،  
 ثم قال في أثناء ذلك : لما قدمت عائشة بنت طلحة مكة أرسل إليها الحارث  
 وهو أمير مكة يومئذ ، وكان وليها من قبل عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليها :  
 إنى أريد السلام عليك ؛ فلما خف ذلك عليك أذنت ، وكان الرسول الفريضة .

٢٠

فأرسلت إليه: إنا حرم، فإذا أحلنا إذاك. فلما أحلت خرجت سرا على بنتها، ولحقها الفريض بسفان أو قريب منه ومعه كتاب الحارث إليها، وفيه:

ما ضرركم لو قلتم سدا \* إن المطايا عاجل فلها

ولها علينا نعمة سلفت \* لسا على الأيام نجعلها

لو اتعمت أسباب نعمتها \* تمت بملك عندنا يدها

فلما قرأت الكتاب قالت: ما يدع الحارث باطله! ثم قالت للفريض: هل أحدثت

شيئا؟ قال: نعم فأسمي، ثم أذفع غني في هذا الشعر. فقالت عائشة: والله

ما قلنا إلا سدا ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه، واستحسنت الشعر، وأمرت

للفريض بخمسة آلاف درهم وأتوا، [وقالت]: زدني. فغني في قول الحارث

أيضا حيث يقول:

زعموا بأن الين بعد غد \* فالقلب مما أحدثوا يحف

والين منذ أجد يذنبهم \* مثل الجمان دموعها تكف

نشكو ونشكو ما أشت بنا \* كل يوشك الين مغترف

ومقالها ودموعها مججم \* أقل حينك حين تنصرف

فقالت عائشة: يا غريض، بحق عليك أهو أمرك أن تغني في هذا الشعر؟

قال: لا وحياتك يا سيدتي، فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت: غني

في [غير] شعره، فغناها شعر عمر بن أبي ربيعة—وكان عمر قد سأل ذلك—فقال:

أجمعت خلقي مع المجرينا \* جل الله ذلك الوجه زين

أجمعت بينها ولم لك منها \* لذة العيش والشباب قضينا

(١) في الأصل: « والله: » . ومحويس من الأمان (ح ٣ ص ٢٢٠ طبع دار الكتب

اصرية) . (٢) نسخة من الأمان .

تَوَلَّتْ حُمُولَهَا وَاسْتَقَلَّتْ • لَمْ تُبَلِّ طَائِلًا وَلَمْ تَقْضِ دِينًا  
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ لَنَا • أُرْسِلَتْ خَمْرًا السَّلَامُ طِينًا  
أَنْتُمْ أَهْلُ الْبَرْسُولِ الْغَيِّ أَوْ • سِلِّ وَالْمُرَيْلِ الرِّسَالَةَ مَيْتًا

قال: فضحكت ثم قالت: وأنت يا غريص فأنتم الله بك عينا وأنتم أبين أبي ربيعة  
عينا، لقد تلطفت حتى أدت إلينا رسالته، وإذ وقاؤه له لما يزيدنا رغبة فيك  
وحمة بك. وكان عمر سال الغريص أن يقتها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها  
لما غضبت بنو تميم من ذلك، فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها. فقال  
له عمر بن أبي ربيعة: إن ألفتها هذه الأبيات في غناء فك نسمة آلاف درهم،  
فوق له، وأمرت له مائنة بنسمة آلاف درهم. ثم أنصرف الغريص من عندها،  
فلقي مائكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان وقد كانت حجت  
في تلك السنة، فقال لها جوارها: هذا الغريص. فقالت لمن: على به، فلفظ به  
إليها. قال الغريص: فلما دخلت سلمت فركبت على وسائني عن الخبر، فقصصته  
عليها. فقالت: غنى بما غنيتها به، ففعلت، فلم أرها تهش لذلك، فغنيتها معرضا  
ومذكرا بنفسي في شعر مرة بن عكرمة السحلي يخاطب أمراءه وقد نزل به أضياف:

أَقُولُ وَالضَّيْفُ غَشَى دِمَاعَهُ • عَلَى الْكَرِيمِ وَحَقُّ الضَّيْفِ قَدِ وَجِبَا  
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَافِرَةٍ • حُمِّي إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ وَالْقِرْبَا  
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدَلِيزٍ • لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظِلْمَانِهَا الطُّبَا  
لَا يَنْجُو الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ • حَتَّى يَلْقَى عَلَى خَيْشُومِهِ النَّبَا

(١) كما في الأمان. وفي الأصل: «جم لغت».

(٢) كما في الأمان (طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل: «ماضمه».

(٣) السامة (فتح الدال وكسر الهاء): السم والعدو.



فَقَالَتْ وَهِيَ مَبْتَسِمَةٌ : نَعَمْ وَقَدْ وَجِبَ حَقُّكَ يَا غَرِيضُ ، فَغَنَيْتُ ؛ فَغَنَيْتُهَا :

يَادَهُرُ قَدْ اسْكُثَرَتْ بَلْعَتُنَا <sup>(١)</sup> \* بَسْرَاتُنَا وَوَقَرْتُ فِي الْعَظَمِ <sup>(٢)</sup>

وَسَلَبَتْنَا مَا لَسْتُ مُخْلَفُهُ <sup>(٣)</sup> \* يَادَهُرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

لَوْ كَانَتْ لِي قُرُونٌ أَنْضَلُهُ \* مَا طَاشَ هُنْدَ حَفِيفَةِ سَهْمِي

لَوْ كَانَتْ يَعْطِي النَّصْفَ قَلْتُ لَهُ \* أَحْرَزْتُ قِسْمَكَ فَأَلَهُ مِنْ قِسْمِي

فَقَالَتْ : نَعْطِيكَ النِّصْفَ فَلَا يَضِيعُ مِمَّكَ عِنْدَنَا وَتُجْزَلُ لَكَ قِسْمُكَ ، وَأَمَرْتُ

لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَثِيَابٍ عَدَنِيَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْطَافِ . قَالَ الْفَرِيضُ : فَأَتَيْتُ

الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ؛ فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ مَا أَمَرْتَا لِي

بِجَمَاعٍ ، وَأَتَيْتُ أَبِي أَبِي رَيْبَعَةَ فَأَعْلَمْتُهُ بِمَا جَرَى ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . هَذَا أَنْصَرَفَ

أَحَدٌ مِنَ ذَلِكَ الْمَوْجِمِ بِمِثْلِ مَا أَنْصَرَفْتُ بِهِ : فَظُرَّةٌ مِنْ عَائِشَةَ ، وَنَظْرَةٌ مِنْ عَائِشَةَ — وَهِيَ

أَجَلُ نِسَاءِ عَالِيهَا — وَبِمَا أَمَرْتَا لِي بِهِ ، وَالْمُتْرَلَةُ عِنْدَ الْحَارِثِ — وَهِيَ أَمِيرُ مَكَّةَ —

وَأَبْنَى أَبِي رَيْبَعَةَ وَمَا أَجَازَانِي بِهِ جَمِيعًا مِنَ الْمَالِ .

وَيَصِلُ هَذَا الْقِصْلَ بَشْيَءٌ مِنَ أَخْبَارِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْعَةَ ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ

يَذْكُرُ .

١٥ هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْعَةَ بِنْتُ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ

سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ . وَأَمَّا أُمُّ كُلثُومٍ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ

لَا تَسْتَرُ وَجْهَهَا مِنْ أَحَدٍ . فَعَاتِبَهَا مُصْعَبٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ : إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

وَتَسْمِي بِمَيْمَنٍ جَمَالَ أَحَبُّتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ فَسَا كُنْتُ لِأَسْتَرَهُ ،

وَوَلَّاهُ مَا فِي وَصْمَةٍ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ .

٢٠ (١) فِي الْأَصُولِ : « كَثُرَتْ بَلْعَتُنَا » . وَتَنْصَوِبُ مِنَ الْأَمْرِ وَلِسَانُ الْعَرَبِ (دَادَةٌ « وَفَرَّ »)

(٢) وَفَرَّ الْعِلْمُ : مَدَحُهُ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « مَا كُنْتُ » وَتَنْصَوِبُ مِنَ الْأَمْرِ .

(٤) الْعَصْدُ (مَنْعَةٌ) : اسْمٌ بِمَعْنَى الْأَصْغَارِ .

قال أبو الفرج الأصمهاني : وكانت شيرة الخلق ، وكذلك نساء بني تميم ، هن  
أشرف خلق الله خلقاً وأحظاهن عند أزواجهن . قال : وآلت عائشة من زوجها  
مصعب بن الزبير ، فقالت : أمت على كظهر أمي ، وقعدت في غرفة وحيات  
ما يصلحها . فعهد مصعب أن تكله فابت . فبعث إليها ابن قيس الرقيات فساها  
كلامه . فقالت : كيف يميني ؟ قال : ها هنا الشعبي فقيه أهل العراق فأستغفبه .  
فدخل الشعبي عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء ، فأمرت له بأربعة آلاف درهم .  
وحكى أبو الفرج أن مصعب بن الزبير لما عزم على زواج عائشة بنت طلحة ،  
جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وسعيد بن العاص إلى عزة  
الميلاء — وكانت عزة هذه يالقتها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات ، وكانت  
من أطرف الناس وأعلمهم بأمور النساء — فقالوا لها : إنا خطبنا فأنتظري لنا .  
فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ، ومن خطبت ؟ قال : عائشة بنت طلحة .  
قالت : فانت يا ابن أبي أحيحة ؟ قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت :  
فانت يا ابن الصديق ؟ قال : أم الهيثم بنت زكريا بن طلحة . فقالت : يا جارية ،  
هاتي متكلى (متى غفيا) ، فلبستهما ونرجعت ومعهما خادمٌ لها ، فبدأت بعائشة بنت  
طلحة ، فقالت : فديتك ، كفا في مادية أو ماتم لفريش ، فتذاكروا جمال النساء  
وخلقهن فذكرك فلم أدرك كيف أصفك ، فديتك ، فالتى ثيابك ، ففعلت فأقبلت  
وأدبرت فأرجم كل شيء منها . فقالت لها عزة : خذي ثوبك . فقالت عائشة :  
قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي . فقالت عزة : وما هي ؟ فديتك ! قالت :  
تغتنقي صوتا . فأندفعت فتقى لحنها في شعر بلجبل بن عبد الله بن معدن العُدري :  
خيلِي حُوجًا بالهولة من جُمِل \* وأترابها بين الأصغر والحبل  
تقف بمنان قد عفا رممها إلي \* تصاقها الأيام بالرج والوبسل

فلودرج القمل الصغار يجعلها • لأتلب أعلى جلدها مدرج القمل  
وأحسن خلق الله جيداً ومقبلةً • <sup>(١)</sup> تُشبهه [في النسوان بالشايد العفل]

- فقبلت عائشة ما بين عينها ودعت لها بشرة أنواب وطراف من أنواع الغصّة،  
فدفنته إلى مولاتها . وابت النسوة كل مثل ذلك تقول ذلك لمن . ثم أتت القوم  
في السقيفة . فقالوا : ما صنعت ؟ فقالت : يابن أبي عبد الله ، أنا عائشة فلا والله ما رأيتُ  
مثلاً مقبلةً ولا مدبرةً ، عموطة المتين ، عظيمة العجيزة ، ممتلئة التراب ، قبيّة  
الشعر وصفحة الوجه ، فرماء الشعر ، ممتلئة الصدر ، نحيفة البطن ذات عكبي ، ضخمة  
السرة ، مسرولة الساق ، يرتج ما بين أعلاها إلى قدسها ، وفيها عيان ، أما أحدهما  
فيواريه الخمار ، وأما الآخر فيواريه الخلف : عظم الأذن والقدم . وكانت عائشة بنت  
طلحة كذلك . ثم قالت حمزة : وأما أنت يابن أبي أحيحة فإني والله ما رأيتُ مثل  
خلق عائشة بنت عثمان لأمرأة قط ! ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت إفرافاً  
ولكن في الوجه رقة ، وإن استشرقتى أشرت عليك . قال : هات . قالت : عليك  
بوجه تستأنس به . وأما أنت يابن الصديق : فوالله ما رأيتُ مثل أُم المهيم ، كأنها  
خُوط بانه تنقي ، أو كأنها جان يتقي على رمل ، لو شئت أن تعقد طرفيها لفعلت ،  
ولكنها تحقّقه الصدر وأنت عريض الصدر ، فأنا كان كذلك كان قبيحاً ، لا والله  
حتى يملأ كل شيء مثله . قال : فوصلها الرجال والنساء وترجوهن .

وحكى أبو الفرج أيضاً : أن مصعب بن الزبير إنما تزوجها بعد عبد الله بن  
عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال : وكانت عائشة بنت طلحة تُشبهه بجمالها عائشة أُم المؤمنين  
رضي الله عنها ، فزوجتها عائشة من ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو

(١) النكحة من الأعاني (ج ١٠ ص ٥٥ طبع يولاق) .

(٢) عموطة المتين : ممدودتهما . (٣) شحة الصدر : دقيقتها .

أول من تزوجها . ولم تلد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره ، ولدت له عمران وبه كانت تُكنى <sup>(١)</sup> ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، ولكل من هؤلاء عَقِبٌ . وأنا من عَقِب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر من ولده ليث ابن طلحة . وليس هذا موضع سرد نسبي فأمرده .

قال أبو الفرج : وصارمت عائشة بنت طلحة زوجها عبد الله بن عبد الرحمن ونجرت من داره مُنْقِصَةً تريد عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها . فراها أبو هريرة فسبح الله تعالى وقال : كأنها من الحُور العين . فكنيت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر . وكان عبد الله قد آلى منها ؛ فأرسلت عائشة إليه : إني أخاف عليك الإيلاء ؛ فنصمتها إليه وكان مُوَلِّيًا منها <sup>(٢)</sup> . فقيل له : طلقها ؛ فقال :

يقولون طلقها لِأَصْبَحَ نَارِيًا \* مُقِيًّا عَلَى الْمَسْمُومِ ، أَحْلَامُ نَائِمٍ  
وَمَا فِرَاقُ أَهْلِ بَيْتِ أَحِبِّهِمْ \* لَمْ زُلْفَةٌ عِنْدِي لِأَحَدٍ مِنَ الْعَظَامِ

وَتَوَقَّى عبد الله بعد ذلك وهي عنده ، فاصطغت فاحا عليه ؛ وكانت عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها تعذ هذا طليها في ذنوبها التي تعددها . ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، ففهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك .

وكانت عائشة تتمتع على مصعب في غالب الأوقات . فحكى أنه دخل عليها يوما وهي نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها وبشر اللؤلؤ في حجرها . فقالت : نومتى كانت أحب إلي من هذا اللؤلؤ . ولم تزل حاملة معه على مثل ذلك حتى شكا ذلك الى كاتبه ابن أبي قُرَّة . فقال له : أنا أكشفك هذا إن أدنت لى . قال : نعم ! ففعل ما شئت . فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستاذن طليها . فقالت : أفى

(١) كما في الأماز - وفي الأصل : « وبه كان يكنى » .

(٢) في الأصول : « ملق بها » . والصواب من الأماز : « ملق بها » .

- مثل هذه الساعة ؟ قال نعم ؛ فأذنت له فدخل . فقال للأسودين : أحفرا هاهنا  
 برا . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبر ؟ قال : شؤم مولايك ، أمرني هذا الظالم  
 أن أدفنها حية ، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فأنظرني أنهب  
 اليه ؛ قال : ميات لاسهيل إلى فاك ، وقال للأسودين : أحفرا . فلما رأت الحد  
 منه نكت وقالت : يا بن أبي غررة ، إنك لقاتلي ما منه بد ؟ قال : نعم ، وإنى لأعلم  
 أن الله عز وجل سيخزيه بعديك ، ولكته قد غضب وهو كافر الغضب . قالت :  
 وفي أى شىء غضبه ؟ قال : من أمتاعك عليه وقد ظن أنك تبغضينه وتطلمين إلى  
 غيره ، فقد جبن . فقالت : أسألك الله ألا ماودته . قال : أحاف أن يقتلني ؛ فبكت  
 وبكى جواريا . فقال لما : قد رقت لك وحلف لما إنه يفتز بنفسه ، وقال لما :  
 ما أقول ؟ قالت : تضمن له عني أنى لا أعود أبدا . قال : فمالى عندك ؟ قالت :  
 قيام بحقك ما عشت . قال : فأعطينى الموائيق فأعطته . فقال للأسودين : مكانكما .  
 وأنى مصعبا فأخبره . فقال : أستوثق منها بالإيمان ؛ فأستوثق منها فمضت ، وصلحت  
 بعد ذلك لمصعب .

- قال : وكان مصعب من أشد الناس إعجابا بها . ولم يكن لها شبيه في زمانها حسنا  
 وديانة وجمالا وهيئة وشارة وعفه . وإنما دعب يوما نسوة من قريش ، فلما جئنها  
 أجلسن في مجلس قد ضد فيه الريمان واللواكه والطيب والحامض ، وخلعت على  
 كل امرأة منهن حصة من الوثنى والحز ونحو ذلك ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها  
 مثل ذلك وأصعبته ؛ ثم قلت لعزة : هات يا عزة فنيئا . ففتنن في شعر  
 صرى القيس فقالت :

- وغير أعر شيتب للثبات ، ليديد المقبسل والمبتسم

٢٠

وما ذُكِرَ غَيْرَ ظَنٍّ بِهِ \* وبالظنِّ يَقْضَى عَلَيْكَ الْحَكَمُ

وكان مصعب قريباً ممن ومن معه إخواناً له، فقام فأثقل حتى دنا منه والستور مسبلةً، فصاح بها : يا هذه، إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت، فبارك الله فيك يا عزة. ثم أرسل إلى عائشة : أَمَا أَنْتِ فَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْكَ مَعَ مَنْ عِنْدِكَ، وَأَمَّا عِزَّةُ فَتَأْذِينِ لَهَا أَنْ تَفْتِنَنَا هَذَا الصَّوْتُ ثُمَّ تَعُودِ إِلَيْكَ، فَعَلْتُ وَخَرَجْتُ عِزَّةُ إِلَيْهِمْ فَفَتَنَتْهُمْ هَذَا الصَّوْتُ مَرَّاراً، وَكَادَ مَصْعَبُ أَنْ يَنْهَبَ عَقْلَهُ فَرَحاً . ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا عِزَّةُ، إِنَّكَ لَتُحْسِنِينَ الْقَوْلَ وَالْوَصْفَ، وَأَمْرَهَا بِالْعُودِ إِلَى جُلُوسِهَا .

قال : ولم تزل عند مصعب حتى قُتِلَ عَنْهَا . فخطبها بشر بن مروان، وقدم عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فزل الكوفة، فبلغه أن بشراً خطبها، فأرسل إليها جارية لها وقال : قُولِي لِأَبْنَةِ عُمَيٍّ : إِنَّ عَمَكَ يُقَرِّعُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : أَنَا خَيْرُكَ مِنْ هَذَا الْمُبْسُورِ الْمَطْحُولِ، وَأَمَّا ابْنُ عَمِّكَ أَحَقُّ بِكَ، وَإِنْ تَرَوِجْتُ بِكَ مَلَأْتُ بِسُوءِ خَيْرًا . فَتَرَوِجْتَهُ فَبَنَى عَلَيْهَا بِالْحَيَةِ، فَهَدَّتْ لَهُ سَبِيحَةَ أَفْرِشَةٍ مَرَّضُهَا أَرْبَعَ أُنْدُرَ، فَأَصْبَحَ لَيْلَةً بَنَى بِهَا عَنْ تِسْعَةِ . فَقَبِلَتْهُ مَوْلَاهُ لَهَا فَقَالَتْ : أَبَا حَفْصٍ، فَدَيْتُكَ ! قَدْ كَلَّمْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي هَذَا . وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا تَرَوَّجَهَا حَمَلَ إِلَيْهَا أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، نَحْمِئَاتُهُ أَلْفَ مَهْرٍ، وَنَحْمِئَاتُهُ أَلْفَ هَدِيَّةٍ، وَقَالَ لِمَوْلَاتِهَا : لَكَ عَلَى أَلْفِ دِينَارٍ إِنْ دَخَلْتُ بِهَا اللَّيْلَةَ، وَأَمْرٌ بِالْمَالِ لِحَمَلِ فَأَتَى فِي الْبَارِ وَخُطِيَ بِالثِيَابِ؛ وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ فَقَالَتْ لِمَوْلَاتِهَا : مَا هَذَا ؟ أَفَرُشٌ أَمْ ثِيَابٌ ؟ قَالَتْ : أَنْظِرِي إِلَيْهِ؛ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ مَالٌ، فَهَسَمَتْ . فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : أَجْزَاءُ مِنْ حَمَلِ هَذَا الْمَالِ أَنْ يَبِيتَ عَزَبًا ! قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنْ لَا يَحُوزُ دَخْلُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَتَرَبَّنَ لَهُ وَأَسْتَعِدَّ . قَالَتْ : وَمَاذَا ؟ فَوَاللَّهِ لَوَجْهُكَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ زِينَةٍ وَمَا تَمْتَنِينَ بِدَيْدِكَ إِلَى طَيْبٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ مَالٍ أَوْ فَرَّاشٍ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَكَ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْذَنِي لَهُ .

فَقَالَتْ : أَفْعَلِ . فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ : يَتُّ بِنَا اللَّيْلَةَ . لِنَجْعَلَ عِنْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ  
هَذَا نَدْنِي إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكُلُ الطَّعَامَ كُلَّهُ حَتَّى أَعْرِىَ الْخَوَانَ وَغَسِلَ يَدَهُ وَسَأَلَ عَنِ الْمُتَوَضَّأِ  
فَأَخْبَرَهُ . فَقَامَ فَوَضَّأَ وَقَامَ يَصَلِّي حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي وَنَعْتُ ، ثُمَّ قَالَ : أَعَلَيْكُمْ آذَنٌ ؟  
قُلْتُ : نَعَمْ فَأَدْخُلْ ، فَأَدْخَلْتُهُ وَأَسْبَلْتُ السَّتْرَ عَلَيْهِمَا . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَعْتُ عَلَى رَأْسِهِ  
فَقَالَ : أَتَقُولِينَ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاقِهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ! فَضَحَكَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى  
مَنْكَبِ عَائِشَةَ وَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ أَبْنَ عَمِّكَ ؟ فَضَحَكَتْ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ :  
قَدْ رَأَيْتُكَ فَلَمْ تَحُلْ لَنَا . وَبِلَوْلَاكَ فَلَمْ تَرْضَ الْخَبَرَ

(١١٦)

وَمَكَثَتْ عَائِشَةُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ثَمَانِي سِتِينَ حَتَّى مَاتَ سِتَّةَ أَثْنَتَيْنِ وَعُمَانِينَ .  
وَلَمَّا مَاتَ نَدَبَتْهُ قَائِمَةٌ ، وَلَمْ تَدُبْ أَحَدًا قَبْلَهُ مِنْ أَزْوَاجِهَا إِلَّا جَالِيسَةً . فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ  
فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ أَكْرَمَهُمْ عَلَى وَأَمْسَمَهُمْ بِي رَجُلًا ، فَارِدْتُ إِلَّا أَنْتَرُجِحَ بَعْدَهُ . وَكَانَتْ  
الْمَرْأَةُ إِذَا نَدَبَتْ زَوْجَهَا قَائِمَةً لَا تَتَرُجِحُ بَعْدَهُ أَبَدًا . وَلَمْ تَتَرُجِحْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بَعْدَ  
زَوْجِهَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَمِنْ أَخْبَارِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى يَزِيدَ  
أَبْنِ عِيَّاضٍ ، قَالَ :

إِسْتَأْذَنْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي الْحَجِّ ، فَأَذِنَ لَهَا وَقَالَ :  
أَرَفَيْتِ حَوَائِجَكَ وَأَسْتَظْهِرِي ، فَإِنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ تَمُجُّ ، فَعَلْتُ وَتَجَهَّزْتُ بِبِيشَةِ  
جَهَّدْتُ فِيهَا . فَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ إِذَا مَوْكِبٌ قَدْ جَاءَ فَضَغَطَهَا وَفَزَقَ  
جَمَاعَتَهَا ، فَقَالَتْ : أَرَى هَذِهِ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَقَالُوا : هَذِهِ جَارِيَتُهَا .  
ثُمَّ جَاءَ مَوْكِبُ أَحْرَاءِ عَظَمٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : عَائِشَةُ عَائِشَةُ ، فَضَغَطَهُمْ فَسَأَلْتُ عَنْهَا ،

(١) كذا في الأثرين (ج ١٠ ص ٢٠٠ مع مولاة) - وفي الأصل : « فضغطها » .

فقالوا : هذه ما شِطُّها . ثم جاءت مواكبُ على هذا لحاشيتها ، ثم أقبلت في ثلثمائة راحلة عليها القِيَاب والموادج ؛ فقالت عائكة : ما عند الله خير وأبقى . قال : ووقدت عائكة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك ، فقال لها : ما أوفدك ؟ قالت : حبست السماء مطرها ومنع السلطان الحق . قال : فانا أصل رحلك وأعرف حقك . ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال : إن عائكة عندي فأسمروا عندي الليلة فحضروا ؛ فما نذاكروا شيئا من أخبار السرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه ، وما طلع نجم ولا غار إلا أحمته . فقال لها هشام : أما الأول فلا أنكروا ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت : أخذته <sup>(١)</sup> عن خالتي عائكة رضى الله عنها ؛ فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينة .

قال : ولما تأيَّمت عائكة كانت تُقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مالها بالطائف عظيم وقصر لها هناك فتترو وتجلس فيه بالشِّبَات ، فتناضل بين <sup>(٢)</sup> [بديها] الرِّمَّة . فتربها الثميري الشاعر ، فسألت عنه فأنسب لها ؛ فقالت : استوني به ، وفي به . فقالت له : أنشدني مما قلت في زينب ؛ فأمتنع وقال : بنت عمي وقد صارت عظاما بالية . قالت : أنسمتُ عليك لما فعلت ؛ فأنسدها قوله :

تَزَنُّ بِقُحٍّ ثُمَّ رُحْنٍ عِشِيَّةٍ • يُلَيْنُ لِلرَّحْمَنِ مُتَمِّمَاتِ  
يُحْمَرْنَ أَطْرَافَ الْأَكْفِ مِنَ التَّقَى • وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُتَعَجِّرَاتِ  
وَلَمَّا رَأَتْ رَكِبَ الثَّمِيرَى رَاعِيَا • وَكَتَنَ مِنْ أَنَّ يَلْقِيَنِهِ حَبِذَاتِ  
تَضُوقُ مَسْكَاطِلُنْ نَهْمَانِ أَنْ مَشَتْ • بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةٍ خَيْرَاتِ

(١) هكذا بالأصول . وفي الأمان : « أخذتها » .

(٢) كذا بالأمان . وفي الأصل : « مقينة » . (٣) زيادة يقتضيا السياق .

(٤) اسم واد بمكة . (٥) في الكامل الرد (ص ٢٩٠ طبع أوديا) ورد هذا البيت هكذا :

يَحْمَرْنَ أَطْرَافَ الْبَيَاضِ مِنَ التَّقَى • وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُتَعَجِّرَاتِ



- وزينب هذه هي زينب بنت يوسف التقي - أخت الحجاج، وكان النخعي هوها  
ويُسبب بها، وله معها أخبار يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها - قال : فقالت  
له عائشة لما أنشدتها هذا الشعر : والله ما قلت إلا جميلا، ولا وصفت  
إلا كرما وطيبا ودينا وثقى، أعطوه ألف درهم . فلما كانت الجمعة الأخرى تمرض  
لها، فقالت : عليّ به ؛ فجاء فقالت له : أنشدني من شعرك في زينب ؛ قال :  
وأنشدنيك من قول الحارث فيك . فوثب موالها إليه ، فقالت : دعوه فإنه أراد أن  
يستعيد لأبنة عمه، هات ؛ فأنشدها :

(١١٥)

- طعن الأمير بأحسن الخلق \* وغدا جلبك مطلع الشرق  
وسوء تنقلها عجزتها \* نهض الضعيف بنوه بالوسق  
صبحت زوجا بطلتها \* إلا غدا بكواكب الطلح  
بيضاء من تيم كلمت بها \* هذا الجنون وليس بالعشيق

فقات : والله ما ذكر إلا جميلا ، ذكر أني إذا صبحت زوجا بوجهي غدا  
بكواكب الطلح ، وأنى عدوت مع أمير تزوجني الى الشرق ، أعطوه ألف درهم  
وكسوه حنتين ولا تمد لإيتانا يا نخعي ؛ والله أعلم [ولنرجع إلى أخبار المغنين] .<sup>(١)</sup>

## ١٥ ذكر أخبار محمد بن عائشة

كنى<sup>١</sup> حمير ولم يكن له أب يعرف فُئِيب الى أمه ؛ وكان يزعم أن أسم  
بها . وعائشة أمه مولاة لكنير بن الصلت الكندي حليف قريش ، وقيل :  
هي مولاة ذل لمصطبر [بن] ودعة السهمي . وقال ابن عائشة - وقد سألها

١ حمير مودة في حدى لصح .

الوليد بن يزيد فقال : يا محمد البغيّة أنت ؟ — : كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطةً  
وكننت غلاماً ، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت : آرموا هذا لابن عائشة ، فقلبت  
على نسي . قالوا : وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه ، وكان فتیان [من] المدينة <sup>(٣)</sup>  
قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وأخذ عن معبد ومالك بن أبي السّمح ، ولم  
يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما وأعتراه بفضلهما . وكان تيّاهاً سيئ الخلق ،  
إن قال له إنسان : تنقّ قال : المثلّ يقال هذا ! فإن غنى وقال له إنسان :  
أحسنّت ، سكت ، فكان قليلاً ما يتنفع به .

وكان ابن عائشة متطعماً إلى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مكرماً له . فساله  
الحسن أن يخرج معه إلى البُغيّة <sup>(٤)</sup> ، فأمتنع ابن عائشة ، فأقسم عليه وأظهر الحدّ .  
فلما حان ما ظهر عليه قال : أخرج طائفاً لا كارها ، فأمر له ببغلة فركبها ومضياً إلى  
البُغيّة ، فترا الشعب ثم أكلوا . وقال له : غنى ، فأنتفع ففناه صوتاً فأمتحسنته .  
فقال ابن عائشة : والله لا غنيك في يومى هذا شيئاً . فأقسم الحسن ألا يفارق  
البُغيّة ثلاثة أيام . فأغمّ ابن عائشة ليمينه ونِدم . فلما كان في اليوم الثاني قال له :  
غنّ فقد برت يمينك ، فنظر إلى ناقةٍ تقدّم جماعة إلى فاندفع يثنى :

تَمَرٌ بِحَسَنَةِ الْمِنْجَنِجِ \* بَقِي يُرَى بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ

وهي أبيات لأمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حماراً وحشياً ، والبيت «يمر» بالياء .  
وقيل : سال العقيق مرةً فدخل عَرَصَةً سعيد بن العاص [الماء] حتى ملاها ،

(١) في الأصل مد هذه العارة : «قل» وهي مكررة مع قوله : «وقل ابن عائشة» .

(٢) رواية الأمامي (ح ٢ ص ٦٢) «قالوا» .

(٣) اريادة عن الأعاد (ح ٢ ص ٢٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) ضجة بالمدينة أو مین عزيرة كثيرة الحل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما في القاموس .

(٥) الريعة عن الأمامي (ح ٢ ص ٢٠٥ طبع دار الكتب المصرية) .

- ١١١) نخرج الناس إليها ، وخرج ابن عائشة بفلس على قرن البئر . فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن على بنته ومعه غلامان أسودان ، فقال لهما : امضيا رويدا حتى تهفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة قال : بخير . قال : أنظر من تحتك ، فظفر بإذن العبدان . قال : أتصرفهما ؟ قال نعم . قال : فهما حران لن لم تُعتني مائة صوت لأمرتهما بطرحك في البئر ، وهما حران لن لم يفعلا لأفطنن أيديهما . فأدفع ابن عائشة وغنى بشعر المثلث :

أَلَا هَـ ذَٰلِكَ مِنْ • قَتَى قُومٍ إِذَا رَجَبُوا

وَقَالُوا مَنْ قَتَى لَهْر • بَ يَرْقُبْنَا وَيَرْقُبُ<sup>(٢)</sup>

فَكَنتَ خَاسِمٌ فِيهَا • إِذَا تُدْعَى لَهَا تَلَبُّ

- ١٠ ذَكَرْتُ أُنَى فِصَاوَدَنِي • صُدَاعُ الرَّاسِ وَالْوَصَبُ

كَمَا يَتَأَذُّ ذَاتَ الْبُؤْسِ بَعْدَ سَلَوَا الطَّرْبُ

عَلَى عِبْدِ بْنِ زُهْرَةَ بَتْ طُولَ الْبَيْلِ أَتَحَبُّ

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند ريفه إلى حماد الراوية :

- ١٥ أن الوليد بن يزيد استقدمه من العراق إلى الشام على دواب البريد . وكان مما حكاها عنه قال : قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ مُمَهَّدٍ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَصْفَرَانِ وَعِنْدَهُ مَعْبُدٌ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ وَأَبُو كَامِلٍ مَوْلَاهُ ، فَأَسْتَشْدَنِي :
- أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَوَجُّعٌ<sup>(٣)</sup> •

(١) كذا في الأصل (ج ٢ ص ٢٠٦) وفي الأصل : « هما حران لن لم نعتني مائة صوت لأمرهما »

صركك في ثروهم حران . ان . يفعلا . - . تفعن . يهيه . »

٢٠ (٢) في الأصل : « مرقب . » وتصحيح عن الأصل وديور . عديلين .

(٣) ويرى : « ورية » وكلام صحيح ، لأن المورب كروبيوت .

فأنشدته حتى أتيتُ على آحراها . ثم قال : يا مالك ، غنّني :

ألاهل حاجك الأطلعا \* ن إذ جاوزن مُطلعا

فغناه . ثم قال : غنّني :

جَلا أمة غنى كلّ مظلمة \* سهل الحجاب وأوى بالذى وعدّا

فغناه . ثم قال : غنّني :

أَتَتْنِي<sup>(١)</sup> إِذْ تُودُّعُنَا سُلَيْمِي \* يَفْرَعُ بَشَامِي، سُبَى الْبَشَامِ !

فغناه ، ثم أتاه الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبت بالباب ،

فأذن له فدخل شاب لم أر أحسن وجهًا منه . فقال له : غنّني :

وهي إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِثْرٌ \* ولما يَتُ جَوَارِي مِنْ لُعب

فغناه ، فنبذ إليه الثوبين ، ثم قال : غنّني :

طاف الخيالُ فرحبا \* أَلَمَّا بِرؤية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مُقبلون عليك بأقدارنا وأسماننا وإليك

تركنا تَمْزَجُ الكلب وأقبلت على هذا الصبي . فقال : يا أبا عبد ، ما جهلتُ قدرَك

ولاسُتْك ، ولكن هذا الغلام طرَحني في مثل الطنجير من حرارة غناهُ . قال حماد :

فسألت عن الغلام فقيل لي : هو ابن عائشة .

وحكى عن شيخ من تنوخ قال : كنتُ صاحبَ سِرِّ الوليد بن يزيد ، فرأيت

ابن عائشة عنده وقد غناه :

إني رأيتُ صبيحةَ النَّقْرِ : حُورًا قَصِين عزيمة الصبرِ

مثل الكواكب في مطالعها \* بعد العشاء أطفئ بالبدْرِ

(١) رواية السان : « أتتني » بدل « أتتني » . وروى وجه آخر والشعر بغيره :

\* أتدرك يوم تعقل عارضها \*

ونريحتُ أبني الأجرُ مُخْتَبِياً \* فريجتُ موفوراً من الوُزْرِ

فطرب الوليد حتى كفر وألحد، وقال : يا ظلام، أَسَقِنا بالماء السابعة، ثم قال :  
أحسنْتَ والله يا أميري، أيد بحق عبد الشمس فأعاد، ثم قال : أحسنت يا أميري  
والله، أيد بحق أمية فأعاد، ثم قال : أيد بحق فلان حتى بلغ من الملوكة نفسه،  
فقال : أيد بجمالي فأعاده، فقام فأكب عليه، فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله،  
ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقى مجزدا إلى أن أتوه بمثلها، ووهب له ألف دينار  
وحمله على بغلة وقال : أركبها يا بني أنت وأنصرف، فقد تركني على مثل المقل من  
حرارة غنائك . فركبها على بساطه وأنصرف .

وحكى أيضا أن ابن عائشة أنصرف من عند الوليد وقد غناه :

- ١٠ أبسلكَ معقلاً أرجو وجيئنا \* قد أمتيتي المعافل والحصون<sup>(١٢)</sup>
- فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار كسوة . فبينما ابن عائشة يسير  
إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى، وكان يشتهي الفناء ويشرب التبيذ، فقال  
لغلامه : من هذا الراكب ؟ قال : ابنُ عائشة المقتى، فدا منه فقال : جعلت  
فداك ! أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟ قال : لا أنا مولى لقريش وعائشة أمي، وحسبك  
هذا . قال : وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة ؟ قال : غنيتُ أمير  
المؤمنين صوتاً فأطربه فكفر وترك الصلاة وأمرني بهذا المال وهذه الكسوة .  
قال : جعلتُ فداك ! فهل تمنتُ عن أن تُسميَني ؟ أسمعته إياه ؟ فقال : وبلك !

(١) في أدب (ج ٢ ص ٢٢٠) مع در كتب حريه . « اربعة » .

(٢) ك في أدب (ج ٢ ص ٢٢٦) . وفي أدب : « دور عني » .

(٣) مع در هو من بخور ثوب وبعثه . و كارة : « يجمع من ثوب » . قال صاحب اللسان :  
ومثبت حدث أنه يكون في ثوب واحد ويجمع فيكون معص من معص .

أَمْثَلُ يُكَلِّمُ بِهَذَا فِي الطَّرِيقِ ! قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَخْلُقِي بِالْبَابِ . وَحَرِّكِي أَيْنَ عَائِشَةَ  
بِنْتَهُ لِيَقْطَعَ عَنْهُ ، فَمَدَا مَعَهُ حَتَّى وَايَا الْبَابِ كَفَّرَتْ رِيَّانُ . وَدَخَلَ أَيْنَ عَائِشَةَ  
فَكَثَّ طَوِيلًا طَعْمًا أَنْ يَضْجَرَ فَيَنْصَرِفَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَصْبَاهُ . فَصَالَ لِعِصَامَةَ :  
أَدْخِلِيهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مِنْ أَيْنَ صَبَّكَ اللَّهُ عَلَيَّ ! قَالَ : أَمَا رَجُلٌ مِنْ  
أَهْلِ وَادِي الْقُرَى أَشْتَهَى هَذَا النَّعَاءَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِيهَا هُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْهُ ؟ قَالَ :  
وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مَا تَأْتِي دِيَارَ عَشْرَةِ أَثْوَابٍ تَنْصَرِفُ بِهَا إِلَى أَهْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : جُعِلَتْ  
فِدَاؤُكَ ! وَاللَّهِ إِنْ لِي بِنْتٌ مَا فِي أَذُنِهَا — عِلْمُ اللَّهِ — حَلْفَةٌ مِنَ الْوَرِقِ فَضْلًا عَنِ الذَّهَبِ ،  
وَإِنْ لِي زَوْجَةٌ مَا عَلَيْهَا — شَهِدَ اللَّهُ — قَيْصُ ، وَلَوْ أُعْطِيَتْنِي بِمَجِيعِ مَا أَمْرُكَ بِهِ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَالْفَقْرُ الَّذِي عَرَّفْتُكُمَا وَأَضْعَفَتْ لِي هَذَا لَكَانَ  
الصَّوْتُ أَعْجَبَ إِلَيَّ . فَتَجَبَّ أَيْنَ عَائِشَةَ وَغَاءَ الصَّوْتُ ، فَجَعَلَ يَمْزُجُ رَأْسَهُ  
وَيَطْرِبُ لَهُ طَرَبًا شَدِيدًا حَتَّى طَلَعَ أَنْ عَقَبَهُ سَنَقُصْفٌ ؛ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَرَوْا  
شَيْئًا . وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ، فَصَالَ أَيْنَ عَائِشَةَ عَنْهُ ، فَجَعَلَ يَبِيبُ مِنَ الْحَلِيتِ ؛  
فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَدَقَهُ الْحَلِيتُ ، فَطَلَبَ الرَّجُلَ ، فَطَلَبَ حَتَّى أَحْصَرَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ  
صِلَةً سَنِيَّةً وَجَعَلَهُ مِنْ نَدَمَائِهِ وَوَكَّلَهُ بِالسَّقِيِّ ؛ فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ الشَّامِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ أَنَّ أَيْنَ عَائِشَةَ كَانَتْ وَاقِفًا  
بِالْمَوْسِمِ مُهْجَرًا . فَمَرَّتْ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا يُقِيمُكَ هَاهُنَا ؟ قَالَ : إِنِّي أَعْرِفُ  
رَجُلًا لَوْ تَكَلَّمْتُ لِحَسَنِ النَّاسِ هَاهُنَا فَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ وَلَمْ يَمْنَحْ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَمَنْ  
ذَاكَ ؟ قَالَ : أَنَا ؛ ثُمَّ أَدْفَعُ يَنْتَنِي :

جَرَتْ سُنْمًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي \* بَوَى مَشْمُولَةٌ فَتَنِي اللَّقَاءُ  
بِنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ مَقَامُ \* أَتَانِيهِ وَمَطْلَبُهُ عَاءُ

قال : فحبس الناس وأضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها ، فكلدت الفتنة أن تجمع . فأُتي به هشام بن عبد الملك ، فقال له : يا صدوق ! أردت أن تهنئ الناس ! قال : فامسك عنه وكان تياها ، فقال له هشام : أرفق بيتهك . فقال : يَحْيَى لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تياها ! فضحك هشام وخلق سبيله .

- وأختلف في وفاة ابن عائشة وسببها . فقيل : كانت وفاته في أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل : في أيام الوليد بن يزيد وهو أشبه ، لأنه قد تقدم أنه نادم الوليد وغناه . والذي يقول : إنه توفى في أيام هشام يزعم أنه نادم الوليد في أيام ولايته الهذلي . وكانت وفاته بذي خُشب ، وهو على أميال من المدينة . قيل : كان سبب وفاته أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشام ، فلما نزل قصر ذي خشب جلس على سطحه ، فنفى ابن عائشة صوتاً طرب له النمر ، فقال : أعدّه فأبى ، وكان لا يردد صوتاً لسوء خلقه . فأمر به فطرح من أعلى السطح مات . وقيل : بل قام من الليل يبول وهو سكران فسقط من السطح مات . وقيل : بل كان قد رجع من عند الوليد بن يزيد ، فلما قرب من المدينة نزل بذي خُشب ، وكان والي المدينة إبراهيم بن هشام المخزومي وكان في قصره هناك ، فدعاه فأقام عنده ذلك اليوم . فلما أخذوا في الشرب أخرج المخزومي جواريه ، فظهر إلى ابن عائشة وهو يغمز جارية منهم ، فقال لخادمه : إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فأرهم به من القصر ، وكأوا يشربون في سطح القصر . فلما قام رماه الخادم مات . وقيل : بل أقبل من الشام فقتل بقصر ذي خُشب فشرّب فيه ثم صعد إلى أعلى القصر فظهر إلى سوسة يمسين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم هين ؟ فقالوا : وكيف لنا بهن ! فلبس ملاءة مملوكة ثم قام على شرفة من شُرُوف القصر وفتى بشعر ابن تَيْبَة :

٢٠

وقد كنت لأترايب \* لما زُهير تلاقينا

تعالين فقد طاب • لنا العيش تعالينا

فأقبلن عليه، فطرب وأستدار فسقط فأت، عفا الله تعالى عنه ورحمه. وقيل: بل مات بالمدينة. وأقول هذه الأبيات:

﴿١١﴾

سَلِمَى أزمعت يَتَا • وأبن لقاؤُها أينا

وقد قالت لأتريب • لها زُهير تلاقينا

تعالين فقد طاب • لنا العيش تعالينا

فأقبلن إليها مُنْ • برعات يتهادينا

إلى مثل مهابة الرم • مل تكسو المجلس الزينا

إلى خُود مُنْعمة • حَقَقْنَ بها وفَقَلْنَا

تَمَيَّنَ <sup>(١)</sup> مُنْاهن • فَكَلَّا ما تَمْتَنُنا

١٠

### ذكر أخبار ابن مُحَرِّز

هو مسلم، وقيل: عبد الله بن مُحَرِّز. ويكنى أبا الخطاب. مولى عبد البار بن قُصَيٍّ. وكان أبوه من سَدَةِ الكعبة، وأصله من الفرس. وكان يسكن المدينة مرةً ومكة مرةً. فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عَزَّة الميلاء ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر. ثم يَخْصُصُ إلى فارس فتعلم الحان الفرس وأخذ غَنَاصَهم، ثم صار إلى الشام فتعلم الحان الروم وأخذ غَنَاصَهم. وأسقط من ذلك ما لا يُسْتَحْسَن من غناء القريقين وتغنمهم وأخذ محاسنها، فترج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يُسْمَع مثله. وكان يقال له صَنَاجِ العرب.

١٠

(١) في الأصل: «عين». والتصويب عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٣٧ طبع دار الكتب المصرية).

٢٠

(٢) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٧٨ طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل: «الحان الشام».



- وقيل : إنه أول من أخذ الفناء عن ابن مسجح . وهو أول من غنى بالزمل وما غنى قبله . وكان ابنُ عمرز قليل المال بسبب الناس ، فاحمل ذلك ذكره . وأخذ أكثر غنائه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذها الناس عنها . ومات بعلته الجذام ، وكان ذلك سبب امتناعه من معاشرته الخلفاء وغالطة الناس .
- وحكى أنه رحل إلى العراق ، فلما بلغ القادسية لقيه حينئذ فقال له : كم متك نسك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : هذه خمسمائة دينار فخذها وأنصرف وأحلف ألا تعود ، ففعل . فلما شاع ما فعل حينئذ لأمه أصحابه : فقال : والله لو دخل العراق ما كان لي معه خبز أكله ولا طير حث ثم سقطت إلى آخر الدهر . ولم أقف من أخبار ابن عمرز على أكثر من هذا فأورده . والسلام .

### ذكر أخبار مالك بن أبي السَّمْح

- هو أبو الوليد مالك بن أبي السَّمْح . وأسم أبي السَّمْح جابر بن ثعلبة الطائي ، وأمه قرشية من بني عذوم ؛ وقيل : بل أم أبيه [منهم] ؛ وقيل فيه : مالك بن أبي السَّمْح بن سليمان . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتقياً في حجره أوصى به أبوه إليه . وكان مالكٌ أحول طويلاً . وأخذ الفناء عن جميله ومعبد وعمر ، وأدرك الدولة العباسية . وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

وروى الأصفهاني بسنده إلى الورداني ، قال :

كان مالك بن أبي السَّمْح الملقب من طي ، فاصابتهم <sup>(٢١)</sup> حطمة في بلادهم بالجبلين ،

(١) التوادة من لأم (ج ٥ ص ١٠١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الحطمة : حمة شديدة .

فقلت به أنه وبإخوة له وأخوات أيتام لا شيء لهم . وكان يسأل الناس على باب حمزة بن الزبير . وكان معبد متطعنا إلى حمزة يكون عنده في كل يوم . فسمع مالك غناه فاعجبه وأشتهاه . وكانت لا يشارك باب حمزة يسمع غناه معبد إلى الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يريم موضعه<sup>(١)</sup> ، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئا فنضربه ، وهو مع ذلك يترنم بالحان معبد فيؤثها نثما بغير لفظ . وجعل حمزة كلما فدا أرواح رآه ملازما لبابه فقال لغلامه يوما : أدخل هذا الغلام إلى فادخله السلام إليه ؛ فقال له حمزة : من أنت ؟ قال : غلام من طي أصابتنا حطمة بالجلين فهبطنا إليكم ومعى أمي وإخوة ، وإني لزمْتُ بآبِك فسمعت من دارك صوتا أعجبنى ولزمت بآبِك من أجله . قال : فهل تعرف منه شيئا ؟ قال : أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر . فقال : إن كنت صادقاً إنك تفهم . ودعا بمعبد فأمره أن يثني صوتا فغناه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تحسوله ؟ قال نعم . قال : هاته ؛ فاندفع فغناه فأدى نغمه بغير شعر ، يؤدى مَنَاتِهِ وَلَبَائِهِ وَعَظَمَاتِهِ وَتَبَرَاتِهِ وَمُتَعَلَقَاتِهِ لَا يَحْرِمُ مِنْهُ حَرْفا . فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك ونرجه فليكون له شأن . قال معبد : ولم أفضل ذلك ؟ قال : يكون عاسته منسوبة إليك وإلى عَدَاكَ إلى غيرك فكانت عاسته منسوبة إليه . فقال معبد : صدق الأمير ، وأنا أفضل ما أمرتني به . قال حمزة لمالك : كيف [وجدت] مُلَازِمَتَكَ لبائنا ؟ قال : أرايت إن قلتُ فيك غير الذي أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك ؟ قال لا . قال : وكذلك لا يسرك أن تُجحد بما لم تفعل ؛ قال نعم . قال : فواقه ما شيعت على بآبِك شُبعة قط ، ولا أُنْقِلْتُ إلى أهل منه بغير . فأمر له ولأخوه وإخوته بمثل

٢٠ (١) لا يريم : لا يرجح . (٢) في الأصول : « شيء » وتصحيح عن الألفاظ (ج) هـ

ص ١٠٣ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الزيادة عن الألفاظ .

وأجرى عليهم رزقا وكسوة وأمر لم يخدم يخدمهم ووجد يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه في مجالسه، وأمر معبدا أن يطارحه فلم يقبض أن مهر . نفج مالكا يوما فسمع امرأة توج على زيادة الذي قتله هبة بن خشم - والشعر لأشئ زيادة - :

أبدا الذي بالتعف نيف كوكب • رهبة رمس ذي تراب وجندل  
أذكر بالبقيا على من أصابي • وفك أتى جليد غير مؤتل<sup>(١)</sup>  
فلا بدني قوي لزيد بن مالك • ثل لم أجعل ضربة أو أعجل  
ولا أنل ثاري من اليوم أو غد • بني عمناء فالله ذو متطوّل  
انتم علينا كل كل الحرب مرة • فنحن منيخوها عليكم بكل كل<sup>(٢)</sup>

فنتي في هذا الشعر لحنين، أحدهما تحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقه وأصلحه، والآخر تحا فيه نحو مبد في غناه. ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناء في شعر سمعت أهل المدينة يشدونه وقد أعجبني، فإن أذن الأمير غنيتي . قال : هات، فغنى اللحن الذي تحا فيه نحو مبد، فطرب حمزة وقال : أحسنت يا ظلام، هذا الغناء غناء مبد بطريقته . قال : لا تعجل أيها الأمير وأسمع مني شيئا ليس من غناء مبد ولا طريقته؛ فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة . فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار . ودخل مبد فرأى حلة حمزة على مالك فأدركها . وعلم حمزة بذلك فأخبر معبدا بالسبب، وأمر مالكا فغناه الصويين، فغضب مبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن أخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيذميه

(١) في الأغاني : « وخبى أي ... » وورد البيت في اللسان (مادة « بن ») مسبويا إلى أي التقصام الأسدي هكذا :

أذكر بالقوى على ما أصابي • وهوى أي جاهد غير مؤتل

(٢) في الأصول : « الدهر » . والصواب عن الأغاني (ح) « ص » (١٠٤) .

(٣) في الأصول : « مستوحا » - والصواب عن الأغاني .

لنفسه . قال حمزة : لا تَسْجَلْ وأسمع غَاءَ<sup>(١)</sup> [صنعه] ليس من شأنك ولا غناك ، وأمره  
 أن يَنْتَهِ الصوت الآخر فَنَافَهُ ، فأطرق معبدٌ . فقال له حمزة : والله لو أفرَدَ بهذا الضَّعَافَكَ  
 ثم تَزَايَدَ على الأيام : وكلما كَبُرَ وزادِ شَفَتْ أَنْتِ وَأَسْقَصْتَ ، فَلَا نَ يَكُونُ مَسْوُومًا  
 إِلَيْكَ أَجَلٌ . فقال له معبدٌ وهو مُنْكَبِرٌ : صدق الأمير . فأمر حمزة لمعبدٍ بِخَلْعَةٍ مِنْ  
 ثِيَابِهِ وَجَائِزَةٍ حَتَّى سَكَنَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ . فقام مالكٌ على رجلَيْهِ وَقَبَلَ رَأْسَ مَعْبِدٍ وَقَالَ  
 لَهُ : يَا أَبَا جَدٍّ ، أَسَأَدَكَ مَا سَمِعْتَ مِنِّي ؟ والله لَا أَغْنَى لِنَفْسِي شَيْئًا أَبَدًا مَا دُمْتَ حَيًّا !  
 وَإِنْ غَلَبَتْنِي نَفْسِي فَتَنَيْتُ فِي شَرِّ مَا تَحَسَّنَتْهُ لَا نَسْبَتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَيَلْبَسُ قَسَا وَأَرْضُ  
 دَعْنِي . فقال له معبدٌ : أَفَعَمَلُ هَذَا وَنَفِي بِهِ ؟ قَالَ : إِي وَاقِهِ وَأَزِيدِ . فَكَانَ مَالِكُ  
 إِذَا غَنَى صَوْتًا وَسُئِلَ عَنْهُ قَالَ : هَذَا لِمَعْبِدٍ ، مَا غَنَيْتُ لِنَفْسِي شَيْئًا قط ، وَإِنَّا آخِذٌ  
 غَنَاءَ مَعْبِدٍ فَأَقُولُهُ إِلَى الْأَشْعَارِ وَأَحْسَنَهُ وَأَزِيدُ فِيهِ وَأَقْصِي مِنْهُ . وَحَضَرَ مَالِكُ بَنِي  
 أَبِي السَّمْعِ عَدِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ مَعْبِدٍ وَأَبْنِ عَائِشَةَ فَغَنَوْهُ ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ  
 مِنْهُمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

وحكى عن ابن الكلبي قال : قال الوليد بن يزيد لمعبد :

قَدْ آذَنِي وَلَوْلَنكَ هَذِهِ ، وَقَالَ لَابْنِ عَائِشَةَ : قَدْ آذَى اسْتِهْلَاكَ هَذَا ، فَأَطْلُبْ إِلَى  
 رَجُلٍ يَكُونُ مِنْهُ بَيْنُ مَتْنِيكَمَا . فَقَالَ لَهُ : مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ ، فَكَتَبَ  
 فِي إِخْطَاصِهِ إِلَيْهِ وَسَائِرَ مَنْ بِالْحِجَازِ مِنَ الْمُشَنِّينَ . فَلَمَّا قَدِمَ مَالِكُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ  
 فِيمَنْ مَعَهُ تَزَلَّى عَلَى النَّعَمِ بْنِ يَزِيدَ ، فَأَدخلَهُ عَلَى الْوَلِيدِ فَغَنَاءَ فَلَمْ يُسِجِبْهُ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ  
 قَالَ لَهُ الْغَمَرُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُسِجِبْهُ شَيْءٌ مِنْ غَنَائِكَ ، فَقَالَ لَهُ : جِئْتَنِي أَفَقَدْ  
 فِدَاكَ ! اطْلُبْ إِلَى الْإِذْنِ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَإِنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِمَّا أَغْنَيْهِ وَإِلَّا أَنْصَرَفْتُ  
 إِلَى بِلَادِي . فَلَمَّا جَلَسَ الْوَلِيدُ فِي مَجْلِسِ اللَّيْلِ ذَكَرَ الْغَمَرُ لَهُ ؛ فَأَذِنَ لَهُ فَشَرِبَ مَالِكُ

ثلاث صراحيات<sup>(١)</sup> صرّفاً، ودخل على الوليد وهو يخطب في مشبته، فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يُسلم وأخذ بحقّة الباب ثم رفع صوته فنتى :

لا جيش إلا بمالك بن أبي السمح فلا تلعنني ولا تسلّم  
أيض كالبدر أو كما يلعن الـ • جارق في حالك من الظلم  
فليس يصيبك إن رشت ولا • يتك حق الإسلام والحرم  
يُصيب من لذة الكرام ولا • يجهل آى الترخيص في اللّيم  
يأرب ليل لنا كاشية الـ • بريد وبعوم كذاك لم يدّم  
نعمت فيه ومالك بن أبي السمح الكريم الأخلاق والشيم

فطرب الوليد ورفح يديه حتى بان إعطاه وقام فأعنته، ثم أخذ في صوته ذلك فلم يزالوا فيه أياماً، وأجرل له العطية حين أراد الانصراف • قال : وما أتى مالك  
على قوله : « أبيض كالبرد » قال الوليد :

أحول كالقرد أو كما يرقب السارئ في حالك من الظلم  
قالوا : وكان مالك بن أبي السمح مع الوليد بن يزيد يوم قُتل هو وابن عائشة .  
قال ابن عائشة : وكان مالك من أحق الخلق ، فلما قُتل الوليد قال : اهزب بناء  
قلت : وما يريدون منا ؟ قال : وما يؤمنك أن يأخذوا رأسنا فيجعلوا رأسه بينهما  
ليحسّوا أمرهم بذلك ! •

### ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كُرد بن شهر يار من ولد هُرْمُز ، مولى لعمر بن الزبير<sup>(٢)</sup> ،  
وملشؤه ومثله بالمدينة ، وكان أبوه قتيلاً فأسلمه في الديوان وكان من مكابيه • وأخذ  
(١) جمع صراحة وهي آية لعمر •

(٢) في الألقاب (ج ٤ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) : « وقيل : إنه مولى ... » الخ •

الفناء من معبد وابن مريح وابن عُمَيْر والغريص، وكان أكثر روايته من معبد. ولم يكن في أصحاب معبد أحدٌ منه ولا أقومُ بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعر جيد. وهو أول من دَوَّن الفناء. وله كتاب في الأغاني نسبها إلى من عنى فيها. وخرج إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأحضره والوليدُ إذ ذاك وليَّ العهد. قال: فلما وصلتُ إليه سلمتُ عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دعا بالشراب والحواري. قال يونس: فكنتنا يومًا وليتًا في أمر عجيب، وغنيته فأعجب بِنَتائِي إلى أن غَنِيته:

إِنْ يَعْشِ مُصْعَبٌ فَتَحْنِ بَحِيرُ \* قَدْ أَنَا نَا مِنْ حِشْنَا مَا تُرَبِّحُ

ثم تنهتُ ففعلتُ الصوتَ وأخذتُ أعزِّن من غنائِي بشعرٍ في مصعب، فضحك ثم قال: إن مُصْعَبًا قد مضى وأقطع أثره ولا علوة بيني وبينه وإنما أريد الفناء، فأَمِضُ الصوتَ؟ ففعلتُ فيه فغنيته ولم يزل يستعده حتى أصبح فشرِب مُصْطَلِمًا وهو يستعِدني هذا الصوت ولا يتجاوزُه. فلما مضت ثلاثة أيام قلت: جعلني الله فداكَ إني رجل تاجر خرجتُ مع ثُجَّارٍ وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي، فقال: أنت تغدو غداً، وشرِب باقِي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار. فحُمِلتُ إلى غُذُوتٍ إلى أصحابي. فلما استُخِيفَ بعتُ إلى نائِيته فلم أزل معه حتى قُتِلَ.

### ذكر أخبار حنين

هو حنين بن بلَوَح الحِمْيَرِي. وأختلف في نسبه، قليل: هو من العباديين من تميم، وقيل: إنه من بني الحارث بن كعب، وقيل: إنه من قوم بَقُوا من طَمِيمٍ وجَدِيسٍ، فزلوا في بني الحارث بن كعب صُلُتُوا فيهم. ويكنى أبا كعب. وكان شاعرًا مُفَنِّيًا من فحول المُتَنِّين، وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام، وكان

- نصرانياً. وعن المدائني قال: كان حنين غلاماً يميل الفاكهة بالحيرة، وكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت القيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين ورأوا رشاقتهم وحسن قده وحلاوته وخبقة روحه استحلوه وأقام عندهم، فكان يسمع الغناء ويضيق له، حتى شدا منه أصواتاً فاستمعه الناس، وكان مطبوعاً بحسن الصوت. واشتهر غناؤه وشهر بالغناء ومهر فيه وبلغ فيه مبلغاً كبيراً. ثم رحل إلى عمر بن داود الوائدي وإلى حكم الوائدي وأخذ منهما وغنى لنفسه وأستولى على الغناء في عصره، وهو الذي بذل لأبن مخزوم خمسمائة دينار حتى رجع عن العراق، كما قدمناه في أخبار ابن محرز. وبلغ من الناس بالغناء مبلغاً عظيماً، حتى قيل له فيما حكي: إنك تقف منذ خمسين سنة فما تركت لكرم مالا ولا داراً ولا عقاراً إلا أتيت عليه. فقال: بأبي أتم! إنما هي أنفاس أقسمها بين الناس، أفلوموني أن أغلي بها الثمن.

- وحكى المدائني قال: حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي؛ فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عود وزامر له. فلما مر به هشام عرض له فقال: من هنا؟ قيل: حنين؛ فأمر به هشام فحمله في حمله على حمل وعديله زامره وسيره أمامه، فغناه:

- أَمِنْ سَلَمَى يَظْهَرُ الْكُو • فِ الْآيَاتِ وَالطَّلَلِ  
تَلُوحُ كَمَا تَلُوحُ عَلَي • جَفُونِ الصَّبِيحِ لِلْجَلَلِ  
فَأَمَرَ لَهُ هِشَامُ بِمِائَتِي دِينَارٍ وَلِزَامِرٍ بِمِائَةِ دِينَارٍ.

وحكى أن خالد بن عبد الله القسري حرم الغناء بالعراق في أيامه ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه عاقبة؛ فدخل عليه حنين في جملة الناس ومعه عود تحت ثيابه

- (١) كما في الأمازي (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع دار الكتب المصرية) - وفي الأصل: «بيوت القيان».  
(٢) كما في الأمازي - وفي الأصل «عمرو» وهو مخزوم.

فقال : أصلى الله الأمير ! كانت لي صنعة أعود بها على عيالي فخرتها الأمير فاضر  
ذلك بي وبهم . فقال : وما كانت صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا .  
فقال له خالد : غنّ فحرك أوتاره وغنّى :<sup>(١)</sup>

أيها الشامت المصير بالده • مر أنت المبرأ المفور  
أم لديك العهد الوثيق من الأيد • نام بل أنت جاهل مفور  
من رأيت المتون خلدن أم من • ذا عليه من أن يضام خفير

قال : فبكى خالد وقال : قد أدنت لك وحدك خاصّة ، ولا تجالس سفيها ولا  
مُعريّا . فكان إذا دُعِيَ قال : أفيم سفيه أو معريد ؟ فإذا قالوا لا ، دخل .

وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن مَمرّة بن جُنْدَب : عاش حنين بن بلّوع

١٠ مائة سنة وسبع سنين .

### ذكر أخبار سيات

هو عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب ، وسياط لقب غلب عليه . وهو مكّي  
مولى خزيمة . كان مقدّمًا في الفناء رواية وصنعة ، مقدّمًا في الطرب . وهو أستاذ  
أبن جامع وإبراهيم الموصليّ وعنه أخذنا ، وأخذ هو عن يونس الكاتب . وكان سيات  
زوج أمّ أبن جامع . قيل : وإنما لقب سيات بهذا اللقب لأنه كان كثيرًا ما يغنى :

كأن مزاحف الحيات فيها<sup>(٢)</sup> • قيل الصبح آثار السيات

حكى أن إبراهيم الموصليّ غنّى صوتا لسياط ، فقال أبنه إسحاق : لين هذا الفناء  
يا أبت ؟ قال : لين لو طش ما وجد أبوك خزا يأكله ، سيات .

(١) في الأغاني : « فحرك » .

(٢) في الأغاني (ج ٦ ص ١٥٢ طبع دار الكتب المصرية) : « فيه » .



وحكى أن سياطا مرة بأبي ريمانة في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه  
تمل ثوب رقيق رث؛ فوثب إليه أبو ريمانة المدنى وقال : بأبي أنت يا أبا وهب !  
غنى صوتك في شرأبن جُنُتب :

فؤادى رهين في هواك ومُهَجَتى \* تنوب وأجفانى طليك هُمُول

- فنتاه إياه، فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وجهدا .
- فقال له رجل : ما أغنى عنك هذا من شق قميصك ؟ ! فقال : يآبن أخى، إن الشر  
الحسن من المغنى الحسين ذى الصوت المطرب أدفا للقرود من حمام نحى . فقال له  
رجل : أنت عندى من الدين قال الله تعالى فيهم : ﴿ قَا رَيْحَتَ بَحَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا  
مُهْتَدِينَ ﴾ فقال : بل أنا يمين قال الله تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد حكيت هذه الحكاية أيضا من طريق آخر : أنه لما غناه هذا  
الصوت شق قميصه حتى خرج منه وبقى طاريا وغشى عليه واجتمع الناس حوله ،  
وسياط واقف يتعجب مما فعل ، ثم أفاق فقام إليه . فقال له سياط : مالك<sup>(١)</sup>  
يا مشغوم ! أى شئ تريد ؟ قال : غنى بالله طليك ياسيدى :

ودّع أمانة حان منك رحيل \* إن الوداع لمن يُحب قليل

- مثل القضيبي تمايلت أعطافه \* فالترج تجذب متته فيميل<sup>(٢)</sup>
- إن كانت شأنكم الدلال فإنه \* حسن دلالك يا أئيم جميل
- فنتاه، فلم وجهه حتى خرج اللئم من أفذه ووقع صريحا . ومضى سياط وحمل  
الناس أبا ريمانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له في ذلك فقال نحو ما تقدم . قال :  
ووجه إليه سياط بقميص وسراويل وجبة وعمامة .

(١) في الأصل : « مالك أيضا » . ولا سنى لكلمة « أيضا » وهي غير موجودة في الألفاني .

(٢) كنا في الألفاني . وفي الأصل :

وكانت وفاة سياط في أيام موسى المادى . ودخل عليه أن جامع وقد نزل به الموت فقال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم لا تزد في غنائى شيئا ولا تنقص منه ، فإنما هو ثمانية عشر صوتا دعه رأسا برأس . وقيل : بل كانت وفاته بغاة ، وذلك أنه دعاه بعض إخوانه فأتاهم وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتا في منزله ، فلبوا إلى أمه وقالوا : يا هذه إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسربه ونانس بقر به فلبت بغاة ، وما نحن بين يديك ، فأحكى ما شئت ، وناشدك الله أن [ لا ] تعرضنا للسلطان أو تدعى علينا ما لم نعمله . قالت : ما كنت لأفعل ، وقد صدقتم ، وهكذا مات أبوه بغاة ، وتوجهت معهم لحملته إلى منزله ودفنته .

### ذكر أخبار الأبحر

- ١٠ هو عبيد الله بن القاسم بن منبه<sup>(٢)</sup> ، ويكنى أبا طالب . وقيل : اسمه محمد بن القاسم ، والأبحر لقب قلب عليه . وهو مولى لكانة ثم لبى لبث بر بكر ، وكان يلقب بالحساس . وكان مدينا منشؤه مكة أو ميكا منشؤه المدينة . قال عورك اللهبي : لم يكن بمكة أحد أنظر ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبحر ، كانت حفته بمائة دينار وقرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ، وكان يقف بين المزمين ويرفع صوته ، فيقف الناس له فيركب بعضهم بعضا . وروى الأزهري : بسنه في أصحاب ابن إبراهيم الموصلي قال :

(١) النكتة من الأدب .

(٢) في ترجمته في الأمان (ج ٣ ص ٣٤) مع دار كتب ١٠٠٠ . حية . . . في بعض أصول الأمان : « حية » و « حية » .

(٣) انتهى في الأمان « وهو مولى لكانة ثم بكر » و « بكر » . . . بحريش .

جلس الأيجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التتعم فإذا عسكر جرار [قد أقبل<sup>(١)</sup>] في آخر الليل وفيه دوابٌ تُجَنَّبُ ومنها فرس أدم عليه سرجٌ حلته ذهب، فأندفع يفتي :

عَرَفْتُ دِيَارَ الْحِمْيَرِ خَالِيَةً قَفْرًا • كَانَ بِهَا لَمَّا تَوَهَّمَهَا سَطْرًا

- فلما سمعه من في القباب والحامل أمسكوا وصاح صائحٌ : ويحك أريد الصوت !  
فقال : لا والله إلا بالفرس الأدم بترجه وبلحاه وأربمائه دينار، وإذا الوليد بن يزيد صاحب السكر . فتودى : أين متراك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأيجر، ومتلى على زقاق باب الخراز بن<sup>(٢)</sup> . فعدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربمائه دينار وتحت ثياب ونحو وغير ذلك، ثم أتى به الوليد، فأقام وراح مع أصحابه عشية التروية وهو أحسنهم هيئة، ونرج معه أو يعله إلى الشام .

١٠

وحكى من عمرو بن حفص بن أمّ كلاب<sup>(٣)</sup>، قال :

كان الأيجر مولانا وكان ميكا، وكان إذا قديم من مكة نزل علينا . فقال لنا يوما :  
أسميونا غناه ابن عائشكم هذا ؛ فإرسلنا إليه بجمعنا بينهما في بيت ابن هبار . ففتى  
ابن عائشة ؛ فقال الأيجر : كل مملوك له حران غيت معك إلا بنصف صوتي،  
ثم أدخل أصبعه في شذقه وفتى فسمع صوته من في السوق ، فحشر الناس علينا،  
فلم يفتريا حتى تشامتا .

١٥

### ذكر أخبار أبي زيد الدلّال

هو أبو زيد نافع مدني، مولى عائشة بنت سعيد بن العاص، وكان محتسبا .

قال إسحاق :

- (١) الزيادة عن الأعاني . (٢) كذا في الأعاني - وفي الأصل : « الجزارين » .  
وهو تصحيح . (٣) الذي في الأعاني : « عن عمر بن حفص بن أبي كلاب » .

٢٠

لم يكن في المختين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبًا ولا أطرف من الدَّلَال . قالوا :  
ولم يكن بعد طَوَيْس أطرف منه ولا أكثر مُلَمَعًا . وكان كثير النوادر تَزَرَّ الحديث ،  
فإذا تكلم أضحك التكللي ، وكان ضاحك السن ، ولم يكن يغنى إلا غناء مُضَعَّفًا  
(يعنى كثير العمل) .

وقال أيوب بن عَباية :

شهدتُ أهل المدينة إذا ذكروا الدَّلَال وأحاديثه طَوَّلوا رقابهم ونفروا به ،  
فعلبتُ أن ذلك لفضيلةٍ كانت عنده . قالوا : وكان مُبْتَلًى بالنساء والكون معهن ،  
فكان يُطَلَّب فلا يُقدَّر عليه . وكان صحيح النِّباء حسن الحرم . قالوا : وإنما لُقِّب  
بالدلال لشكله وحسن ظَرفه ودله وحلاوة مُتَظَنِّفه وحسن وجهه . وكان مشفوقًا  
بخطاطة النساء يُكثر وصفهن للرجال . وكان يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ يحالسه عن الفناء  
بأحاديث النساء كراحةٍ منه للفناء . وكان إذا غنى أجاد ، كما حكاه ابن المَاجِشُون  
عن أبيه قال : غناني الدَّلَالُ يوما بشعر مجنون بن مامر . فلقد خَفْتُ الفتنَةَ على  
نفسى . وأستحضره سليمان بن عبد الملك من المدينة سرًّا وغناءه وأقام عنده شهرا  
ثم صرفه إلى الجِجَارِ مكرما .

قال الأصمعي :

جاء هشامُ بن عبد الملك ، فلما قَدِمَ المدينة نزل رجلٌ من أشرف أهل الشام وقوادعهم  
يُجَنَّبُ ديار الدَّلَال . فكان الشامي يَسْمَعُ غناء الدلال ويُصْنِى إليه ويصعد فوق  
السطح ليقرب من الصوت ، ثم بحث إلى الدلال : إنا أن تزورنا وإنا أن نورك .  
فبحث إليه الدَّلَالُ بل تزورنا . فبحث الشامي ما يَصْلُحُ ومضى إليه بفلا من غلته  
كأنهما دُرَيْنان مَكُونَتان . فغناه الدَّلَالُ ، فأستحسن الشامي غناءه فقال : زدني ؛  
قال : أو ما يكفيت ما سمعت ! قال : لا والله ما يكفيني . قال : فرت لي حاجة .

قال : وما هي ؟ قال : تينى أحد هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : اخترت  
أيهما شئت ، فأختار أحدهما ، فقال له الشامي : هو لك ؛ فقبله منه الدلال ، ثم غنّاه  
وهنّى :

- دَعْنِي دَوَاعٍ مِنْ أَرِيَّا فِهَيْجَتْ • هَوَى كَانَ قَدَمًا مِنْ قَوَادِ طَرُوبِ  
لِل زَمَانًا قَدْ مَضَى أَنْ يَسُودَلِي • فَتَغْفِرَ أَرَوَى عِنْدَ ذَلِكَ ذُنُوبِي  
سَبَّحْتِي أَرِيَّا يَوْمَ تَنْفِئُ مَحْصِرَ • بُوْجِهْ جَمِيلٍ لِلْقُلُوبِ سَلُوبِ  
فَقَالَ لَهُ الشامي : أحسنت . ثم قال له : أيها الرجل الجميل ، إن لي [إليك] حاجة ،  
قال الدلال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً وإدث في عِجْرٍ صالح ونسأت في خير ،  
جميلة الوجه مجدولة وضيفةً جعدةً في بياض مُشْرِبةً حمرةً حسنةً الهامة سَبْطَةً أَسِيلَةً  
اخْلَذْ عَذْبَةَ اللِّسَانِ لَهَا شِكْلٌ <sup>(١)</sup> [وَدَلٌ] تَلَأَ الْعَيْنَ وَالْعَنْسَ . فقال له الدلال : قد أصبحتها  
لك ، فما لي عنده إن ذلكك عليا ؟ قال : غلامي هذا . قال : إذا رأيتها وقبلتها فالغلام  
لي ؟ قال نعم . قال : فأتى امرأةً كَثِي عن اسمها ، فقال لها : جِئْتُ قِدَاحِكَ !  
تزل بقربي رجلٌ من قَوَادِ هشام ، له ظُفْرٌ وسِمْيَاءٌ ، وجاءني زائرًا فأكرمتُهُ ، ورأيتُ  
معه غلامين كأنهما الشمسُ الطالعةُ المنيّةُ والكواكبُ الزاهرةُ ما وقعت عيني على  
مثلهما ولا يطول لسانِي بوصفهما ، فوهب لي أحدهما والآخَرُ عنده ، وإن لم يَبْصُرْ  
إِلَى فَنَفْسِي ذَاهِبَةً . قالت : وتريد ما ذا ؟ قال : طلب مني وصيفةً على صِيفَةِ  
لا أعلمها إلا في آبَتِكَ ، فهل لك أن تُرِيَهُ إِيَّاهَا ؟ قالت : وكيف لك بأن يَنْدَفِعَ  
الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : إني قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع .  
قالت : شأئك . لا يعلم هذا أحد . فغضى الدلال وأتى بالشامي . فلما صار إلى المرأة  
وَضَعَ لَهُ كَرْمِيَّ وحلَسَ . فقال له المرأة : أَمِنَ الْعَرَبُ أَنْتَ ؟ قال نعم . قالت :

(١) كذا في الأدب (ج ٤ ص ٢٨١) ضح دار الكتب المصرية . وفي الأصل : «لعل زمانًا يذنا» .

من أيّسم ؟ قال : من نُرَامة . قالت : مرحبا بك وأهلا ! أيّ شيء طلبت ؟  
 فوصف لها الصِّفة . قالت : قد أصبَّتها ، وأسرت إلى جارية لها فذلتُ فكنت  
 هنيئة ثم خرجت فنظرت فقالت : أخرى ، فخرجت وصيفةٌ ما رأى [الراون]<sup>(١١)</sup>  
 مثلها . فقالت لها : أقبل فاقبلت ، ثم قالت : أدري فأدبرت تملأ العين والنفس ،  
 فما بقي منها شيء إلا وضع يده عليه . فقالت له : أعجب أن تَوزَّرها لك ؟ قال نعم .  
 قالت : أتدري ، فضمتها الإزار وظهرت بحاسنها الخفية ، فضرب بيده إلى عَجْبَتِها  
 وصديرها . ثم قالت : أعجب أن تجودها لك ؟ قال نعم . قالت : [أي حقيق]<sup>(١١)</sup>  
 وصحبي ، فالتفت الإزار فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة . فقالت : يا أبا العرب ،  
 كيف رأيت ؟ قال : منيةُ التمني . قال : يكمن قولين ؟ قالت : ليس يوم النظر  
 يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى تُبايعك فلا تتصرف إلا عن رضا ، فأتصرف من  
 عندها . فقال له الدُّلال : أَرْضَيْتَ ؟ قال : نعم ، ما كنتُ أحسب أن مثل هذه  
 في الدنيا ، وإن الصفة تُقَصِّرُ دونها ، ثم دفع إليه الفلام الثاني . فلما كان من القيد  
 قال له الشامي : أمض بنا . فضياً حتى قوما الباب ، فأذن لها فدخلت فسلَّما ، فرحبت  
 المرأة بهما ثم قالت للشامي : أعطنا ما تُبدل ، فقال : ما لها عندي ثمن إلا وهي  
 أكثرُ منه ، فقول أنت يا أمة الله . قالت : بل قل أنت ، فإنا لم نُؤْمِلْكَ أعقابنا ونحن  
 نُريدُ خلافتك وأنت لها رضا . قال : ثلاثة آلاف [دينار]<sup>(١١)</sup> . قالت : والله لقبلتُ منها  
 خيرٌ من ثلاثة آلاف [دينار]<sup>(١١)</sup> . قال : أربعة آلاف [دينار]<sup>(١١)</sup> . قالت : فخرافه لك  
 أعطنا أيها الرجل . قال : والله مامى غيري — ولو كان لَدَيْكَ — إلا رقيقٌ ودو .  
 قالت : ما أراك إلا صادقاً ، أتدري من هذه ؟ قال : مُخَيَّرِي . قالت : هذه

أبقى ثلاثة بنت فلان وأنا ثلاثة بنت فلان، قم وإيها . قال للذلال : خذني .  
قال : أو ما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وهت مائة غلام مثل غلامك ؟ قال :  
أما هذا فعم . ونرجا من عندها .

والذلال أحد من خصى من الخثين بالمدينة لما أمر سليمان بن عبد الملك عامله  
على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بتخصيمهم .

### ذكر أخبار عطرود

(١٣٧)

هو أبو هارون عطرود، مولى الأنصار [ ثم مولى<sup>(١)</sup> ] بن عمرو بن عوف، وقيل :  
إنه مولى مزينة . مدني كان يزل قبله . وكان جميل الوجه حسن الفناء طيب  
الصوت جيد الصنعة حسن الزي والمروءة فقيها فلويا للقرآن . وقيل : إنه كان  
ممثل الشهادة بالمدينة . وأدرك دولة بني أمية وبنى إلى أول أيام الرشيد . وكان  
يعني مرتجلا .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسند رصه قال :

لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإحضار عطرود  
المعنى إليه، ففعل . قال عطرود : فدخلت على الوليد وهو جالس في قصره على شفير  
بركة مرسية مملوءة بحرا ليست بالكيرة ولكنها يدور الرجل فيها [ سباحة<sup>(٢)</sup> ] . قال :  
فوالله ما تركني أسلم حتى قال : أعطود<sup>(٣)</sup> قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : مارلت  
إليك مشتاقا يا أبا هارون، غني :

(١) كما في الأصل (ح ٣ ص ٣٠٢ مع دار الكتب المصرية) وسيأتي تريبا . وفي الأصل ما :  
« أو مروان » وهو تعريف .

(٢) الزيادة عن الأمان .

حَمَّاءُ الْمُؤَلَّيْنِ بِجَانِبِ النَّزْلِ • إِذْ لَا يَسَا كَلَّ شَكْلَهَا شَكْلًا  
اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ • وَالْبِرُّ خَيْرٌ حَقِيَّةِ الرَّحْلِ  
إِنِّي بِجَهَنَّمَ وَأَصْلُ حَيْلٍ • وَيُرِيدُ نَيْفِكَ رَأْسُ نَيْلٍ  
وَشَمَائِلُ مَا قَدْ طَلَبْتُ وَمَا • نَحْتُ كِلَايِكَ طَارِقًا مَيْلًا

قال : فنبتته إياه ، فوافته ما أتممته حتى شق حلة وثني كانت عليه لا أدري كم فيمتها ، فجرد منها كما وقفه أمه ، وألقى نفسه في البركة فقبل منها حتى تينت أنها قد قصعت قصصاً بيننا ، وأخرج منها وهو كاليت سكر ، فأشبع وعطى ، فأخذت الحلة وقتت وأنصرفت إلى منزلي متعباً من فعله . فلما كان في غد ، جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني . فلما دخلت عليه قال : يا عكرود ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : غشي :

أينهب عمري هكنا لم أنل به • مجالس تشني قرح قلبي من الوجيد  
وقالوا تملأوا في الطب راحة • فعلت نفسي بالدواء فلم يُجِدْ

فنبتته إياه ، فشق حلة وثني كانت تلمع عليه بالذهب احترق والله الأولى عندها ، ثم ألقى نفسه في البركة فقبل منها حتى تينت نقصانها وأخرج كاليت سكر ، فألقى وعطى ونام ، وأخذت الحلة وأنصرفت . فلما كان اليوم الثالث ، جاءني رسوله فدخلت إليه وهو في بيوت قد أقيت ستوره ، فكلمني من وراء الستور وقال : يا عكرود ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : كأني بك الآن قد آتيت إلى المدينة فقممت في مجالسها وقعدت وقلت : دعاني أمير المؤمنين فدخلت عليه فأقترح علي فنبتته فأطربته فشق ثيابه وأخذت سلبه وفعل وفعل ! ووالله يأبن الزانية إن تحركت شفتاك بشيء مما جرى لأخيراً من عنتك يا غلام أعطيه ألف دينار ، منعه :



وانصرف إلى المدينة . قلتُ : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تعجيل يده  
ويزقذني نظرة منه وأخيه صوتاً ! فقال : لأحاجة بي ولابك إلى ذلك ، فأصرف .  
قال عطرود : فخرجت من عنده وما علم الله أتى ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضت  
من دولة بني هاشم مدة . ودخل عطرود على المهدي وغناه . قيل : ودخل على  
الرشيد وغناه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

### ذكر أخبار عمر الوادئ

- هو عمر بن داود بن زاذان . وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان .  
وأخذ الفناء عن حكم ، وقيل : بل أخذ حكم عنه . وهو من أهل وادئ القرى .  
قديم الحرم وأخذ من غناء أهله الخنق وصنع فأجاد . وكان طيب الصوت شجيلاً  
مطرباً . وهو أول من غنى من أهل وادئ القرى ، وأتصل بالوليد بن يزيد في أيام  
١٠ إمارته فتقدم عنده جذاً ، وكان يسميه « جامع لثاني وعي طبري » . وقيل الوليدُ  
وهو يعني ، وكان آثر الناس به جهداً . قال : وكان يجتمع مع معبد ومالك بن  
أبي السَّمْع وغيرهما من المُغَنِّين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه  
والإصغاء إليه والاختصاص به . وى عمر هذا يقول الوليد بن يزيد :
- ١٥ إنما فكرتُ في عُمرٍ \* حين قال القول واختلجا  
لأنه لثَمَنَسِير به \* قرقد طمس السُّرجا  
وبغنى الشمر ينظمه \* سيد القوم الذي قلبا  
أكل الوادئ صمته \* في كتاب الشمر فاندجما  
أراد الوليد بن يزيد بقوله : « سيد القوم » نفسه .

## ذكر أخبار حكم الوادى

هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون . مولى الوليد بن عبد الملك ، كان أبوه حلاقاً يَحْلِقُ رَأْسَ الوليد ، فأشتراه فأعتقه . وكان حَكْمٌ طويلاً أَحُولٌ ، يُكْرَى الْجَمَلُ بِتَقْلٍ [طليها] الزيت من الشام إلى المدينة . وقيل : كان أصله من القُرس . وكان واحدَ عصره في الحِلَق ، وكان يفتى بالثقف ويفتى مرجلاً . وعمر عمرًا طويلاً ، فمات الوليد بن عبد الملك ، وفتى الرشيد ، ومات في الشطر من خلافة .

وأخذ الفناء عن عمر الوادى ، وقد قيل : إن عمر أخذ عنه . قال حماد بن إسحاق قال لى أبى : أربعة بَلَفَتْ في أربعة أجناس من الفناء مبلغًا قَصَرَ عنه غيرهم : «معبذ» في التحيل ، و«ابن سرج» في الرمل ، و«حكم» في المَرْج ، و«إبراهيم» في الماخورى . قال أبو الفرج الأصفهاني : وزار حَكْمُ الوادى الرشيد ، فبَرَهُ ووصله بثلاثة آلاف درهم ، وخيره فيمن يَكُتِبُ له بها عليه ، فقال : أكتب لى بها على إبراهيم بن المهدي . — وكان إبراهيم إذ ذاك حاملاً له بالشام — فقدم عليه حَكْمٌ يَكُتِبُ الرشيد ، فأعطاه ما كَتَبَ له به ، ووصله بمثل ذلك ، إلا أنه قَصَصَهُ ألف درهم من الثلاثة آلاف ، وقال له : لا أَصْلُكَ بمثل ما وصلك أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن المهدي : وأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت عنه فيها ثلثمائة صوت ، كل صوت أحسُّ لى من الثلاثة آلاف التى وهبها له . وقيل : إنه لم يَشْتَرِ بالفناء حتى صار إلى بنى النُصَاص ، فَنَهَضَ إلى محمد بن أبى العباس ، وذلك في خلافة المنصور ، فأُعْجِبَ به وأخذه على المفتين وأعجبته أهزأه . وكان يقال : إنه أهزجُ الناس . ويقال : إنه عَنَى : مُخْرَجٌ في تنوع عمره ، فلامه بِهِ على ذلك وقال : أبعد اكبر تنوع غدة الخشيش . م . ل . ه . : مك

(١) كذا في الأمان (ح ٦ ص ٢٨٠ مع ١٠٠ نسخة لمصرية) . وذا الأخير . ٠ ١٠٠٥ .

(٢) الزيادة عن الأدب .

فَأَتَتْ جَاهِلٌ، غَنِيَتْ [التَّحِيلُ] سِتِينَ سَنَةً فَلَمْ أَتَلَّ إِلَّا الْقَوْتَ، وَغَنِيَتْ الْأَهْرَاجَ مِنْ  
سِتِينَ فَكَسَبْتُكَ مَا لَمْ تَرَمْثُهُ قَطُّ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

### ذكر أخبار ابن جامع

- هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبي وقاعة  
ابن ضبيرة بن سهم بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي . قالوا : وكان ابنُ جامع من  
أَحْفَظِ خَلْقِ اللَّهِ لِكَلَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَانَ يُخْرَجُ مِنْ مَقَلِهِ مَعَ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَصِلُ  
الصَّبِيحَ ثُمَّ يَصُفُّ قَدَمَيْهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَلَا يَصِلُ النَّاسُ الْجُمُعَةَ حَتَّى يَتِمَّ الْقِرَاءَةُ  
ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى مَقَلِهِ . وَكَانَ حَسَنَ السَّمْتِ ، كَثِيرَ الصَّلَاةِ . وَكَانَ يَتِمُّ بِجَاهِلَةٍ سَوْدَاءَ  
عَلَى قُلُوسِهِ وَيَلْبَسُ لِبَاسَ الْفُقَهَاءِ وَيَرْكَبُ حِمَارًا مَرِيئِيًّا<sup>(١)</sup> فِي زِيٍّ أَهْلُ الْحِجَازِ . وَرَوَى  
عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْفَيَّارَ وَحَبَّ الْكَلَابِ قَدْ شَتَّلَانِي لَتَرَكْتُ الْمَغْنَمَ لَا يَأْكُلُونَ  
الْخَبْزَ . قَالَ ابْنُ جَامِعٍ : أَخَذْتُ مِنَ الرَّشِيدِ بَيْتَيْنِ غَنِيَّتُهُ لِمَاهِبَا عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ .  
قَالُوا : وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يُفَضِّلُ ابْنَ جَامِعٍ فَلَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قَالَ : وَكَانَ  
ابْنُ جَامِعٍ مُتَقِطَعًا إِلَى مُوسَى الْهَادِي فِي أَيَّامِ أَبِيهِ ، فَضَرِبَهُ الْمَهْدِيُّ وَطَرَدَهُ . فَلَمَّا مَاتَ  
الْمَهْدِيُّ بَعَثَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ إِلَى مَكَّةَ فَأَحْضَرَ ابْنَ جَامِعٍ فِي قُبَّةٍ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدًا .  
فَدَكَرَهُ مُوسَى الْهَادِي ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ لِبُلْسَانِهِ : أَمَّا فَيَكُمُ أَحَدٌ يُرْسِلُ إِلَى ابْنِ جَامِعٍ  
وَعَدَ عَرَقَهُ مَوْقَعَهُ مِنِّي ؟ فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : هُوَ وَاقِعٌ عِنْدِي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَأَحْصَرَهُ بِهِ . فَبَصَلَ الْفَضْلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِشَرِّهِ آلَافَ دِينَارٍ وَوَلَّاهُ حِجَابَتَهُ .

(١) الثَّيْمَةُ عَرَبِيَّةٌ .

(٢) نَدْوَى : «مَرْصَاةُ وَاصُورٍ مِنَ الْأَمَانِ» (ج ٦ ص ٢٩١ طبع دار الكتب المصرية) .

٢٠ مَرْسُومٌ . سَنَةٌ زُرِّيَّةٌ وَهِيَ أَدْنَى مَلَادٍ حَوْبَةٍ لَتَّى تَلَى أَرْضَ اسْوَانَ ، وَهِيَ مَرْوَةٌ بِجُرْدَةِ الْحَمِيرِ .

وَحَكِيَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَادِي فَفَتَاهُ فَلَمْ يَسِجِبْهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : تَرَكْتَ الْخَفِيفَ وَخَبَّيْتَ الثَّقِيلَ . قَالَ : فَأَدَخِلْنِي عَلَيْهِ أُخْرَى فَأَدْخَلَهُ ؛ فَفَتَاهُ الْخَفِيفَ ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّي : كَانَ أَبُو جَامِعٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ غَنَاءً إِذَا حَزِنَ . وَأَحَبُّ الرِّشِيدِ أَنْ يَسْمَعَ نَكَاحَ ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّجِ : أَتَيْتُ بِخَرِيطَةٍ فِيهَا نَسِيٌّ أُمُّ أَبِي جَامِعٍ - وَكَانَ بَرًّا بِأُمِّهِ - فَقَالَ : فَفَعَلَ : فَقَالَ الرِّشِيدُ : يَا أَبْنُ جَامِعٍ ، فِي هَذِهِ الْخَرِيطَةِ نَسِيٌّ أُمُّكَ ؛ فَأَتَدَفَعُ أَبْنُ جَامِعٍ بَنِيَّ بِشُكِّكَ الْحُرْقَةَ وَالْحَزْنَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ :

(١) كَمْ بِالْعُرُوبِ وَأَرْضُ السَّنَنِ قَدَّمَ \* وَمِنْ جَاهِلِيٍّ صَرَعِي مَا يَهْدِيهِ  
بِقَنْدَهَارٍ (٢) وَمِنْ تُكْتَبُ مَيْتُهُ \* بِقَنْدَهَارٍ يُرْجَمُ دُونَهُ الْخَلْبُ  
١٠ قَالَ : فَوَلَّاهُ مَا مَلَكَ أَهْلًا ، وَرَأَيْتُ الْفُلُكَانَ يَضْرِبُونَ بِرُؤُوسِهِمُ الْحَيْطَانَ وَالْأَسَاطِينَ ، وَأَمَرَ لَهُ الرِّشِيدُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ .

وَرَوَى أَبُو الْقَرَجِ بَسْتَهَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ قَالَ : سَمِعْتُ يَزِيدَ يَحْكُمُ عَنْ أُمِّ جَعْفَرَانَةَ بَلَنَهَا أَنَّ الرِّشِيدَ جَالِسٌ وَحْدَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّسَلَةِ وَلَا الْمَسَامِرِينَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لَمْ أَرَكَ مِثْلَ ثَلَاثِ وَهَذَا الْيَوْمِ الرَّابِعِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : عِنْدِي أَبُو جَامِعٍ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : أَنْتَ تَعْلَمِينَ لَا أَتَيْتُكَ بِشَرْبٍ وَلَا سَمَاجٍ وَلَا غَيْرِهَا إِلَّا أَنْ تُشَرِّفَنِي فِيهِ ، مَا كَانَ عِنْدَكَ ، تُشَرِّفَنِي فِي هَذَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنِّي صَائِرٌ إِلَيْكَ السَّاعَةَ . ثُمَّ قَامَ . . .  
أَبْنُ جَامِعٍ وَقَالَ لِلْخَادِمِ : امْضُ إِلَيْهَا وَأَعْلِمْهَا أَنَّي قَدْ جِئْتُ . وَأَقْبَلَ الرِّشِيدُ . وَلَهُ عَم

(١) فِي الْأَعْيَانِ : « وَأَرْضُ الرُّومِ » . وَوَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي سَمِّ الْبُلْدَانِ يُرْوَى : « وَرُومٌ » .  
٢٠ « قَنْدَهَارٌ » هَكَذَا :

كَمْ بِالْعُرُوبِ وَأَرْضُ الْهَدَمِ قَدَّمَ \* وَمِنْ مَرَايِلِ قَتْلِ لَيْتِهِمْ فِيهِ  
(٢) حَادٍ فِي سَمِّ الْبُلْدَانِ : أَنَّهَا مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ لَسْتَنْ وَاحِدَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي عَتَمَةِ

إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله؛ فوجه إليها : إن  
معي ابن جامع، فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض  
المواضع التي يُسمع منه فيها، ثم أمر ابن جامع فأنشع يفتي :

مَا رَمَلْتُ رَمَلَةً وَلَا بَرَقْتُ \* لَكِنَّا أَنْشَيْتُ لَنَا خَلْقَهُ<sup>(١)</sup>

أَلَمَاءُ يَجْرِي وَلَا يَظَامُ لَهُ \* لَوْ يَمِدُّ الْمَاءُ مَحْرَقًا نَرَقَهُ

يَنْتَا وَبَاتَ عَلَى تَمَارِقِهَا . حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ حَيْثُهَا أَرَقَهُ

أَنْ قِيلَ إِنَّ الرِّجُلَ بَعْدَ غَدٍ \* وَالْأَبَارُ بَعْدَ الْجَمِيعِ مُتَقَرِّقَهُ

فقال أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما أشتيت ولله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت  
لمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع بكل بيت مائة ألف درهم . فقال الرشيد :  
قلبتنا بآبئة أبي الفضل وسبقيتنا إلى بر ضيفنا وجليستنا . فلما خرج حمل الرشيد إليها  
مكان كل درهم ديناراً .

### ذكر أخبار عمرو بن أبي الككات<sup>(٢)</sup>

(١٢٥)

قال أبو العرج الأصفهاني : هو أبو عثمان، وقيل : أبو معاذ عمرو بن  
أبي الككات، مولى بني جُمع . وهو مكِّي مُغَنٍّ حَسَنُ الصَّوْتِ، من طبقة ابن جامع  
وأصحابه . وفيه يقول الشاعر :

أَحْسَنُ النَّاسِ فَأَعْلَمُوهُ غَنَاءً \* رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَكَاتِ

(١) يقال : شأت مع صحابة خلة وحليقة أي مها ترائفوا .

(٢) في حصر أصول الأغانى : « مل صام له » .

(٣) في الأصول : « الككات » بدل جون وهكذا ورد في هذا الفصل كـ . والمثلث ها

مرد . ورد في الأصل في (ح ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق وما يندرج إلى آخر الترجمة) .

قال محمد بن عبد الله بن قزوة : قلت لإسماعيل بن جامع يوماً : هل ظَلَبَ أحدٌ من المفتين قط ؟ قال : نعم ، كنتُ ليلةً يبيدُ إذا جاءني رسولُ أمير المؤمنين هارون الرشيد فأصرني بالركوب ، فركبتُ حتى صرْتُ إلى الدار ، فإذا أنا بالفضل بن الربيع ومعه زَلْزَلُ العَواد وبرصوما ، فسَلَمْتُ وجلستُ يسيراً . فطلع خادمٌ فقال للفضل : هل جاء ؟ قال لا . قال : فابستُ إليه . ولم يزل المفتون يدخلون واحداً واحداً حتى تكاثرتُ أو سبعة . ثم طَلَعَ الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال لا ؛ فقال : قم فابستُ في طلبه ؛ فقام فتاب غير طویل فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكَثات . فسَلِمَ وجلس إلى جنبِي ، فقال لي : مَنْ هؤلاء ؟ قلتُ : مُقْتَنُونَ ، هذا « زَلْزَلٌ » وهذا « برصوما » . فقال : لأُعْذِبَنَّكَ غَداً يَحْرِقُ هذا السقف ويحجيه الحيطان . ثم طلع الخَصِيّ فعدنا بكرامِي ، ونخرج الجَواري . فلما جلسنا قال الخادم : شُدُّوا عِصَدَانَهُمْ ؛ ثم قال : يغني ابنُ جامع ، فنَتَيْتُ سبعة أو ثمانية أصوات ؛ قال : أَسَكْتَ ، ولينَّ إبراهيم الموصليّ ؛ فنَتَيْتُ مثل ذلك أو دونه ثم سَكْتُ ، ونَتَيْتُ القوم كلَّهم واحداً بعد واحد حتى قَرَعُوا . ثم قال لابن أبي الكَثات : عَنَ ؛ فقال لَزَلْزَلْ : شُدَّ طَبَقَتَكَ فَشَدَّ ؛ ثم قال له : شُدَّ فَشَدَّ ، ثم أخذ العودَ من يده فجَنَّهُ حتى وقف على الموضع الذي يريده ، ثم قال : على هذا . وأبَدا الصوت الذي أوَّلُهُ « أَلَا لا » ؛ فواقه لقد خُيِّلَ لي أن الحيطان تجاوبه ؛ ثم رَجَعَ النَغْمَةُ فيه ؛ فطلع الخَصِيّ فقال : أَسَكْتَ لا تُنِمْ الصوتَ فسكت . ثم قال : يجلس عمرو بن أبي الكَثات وينصرف سائرُ المفتين ؛ فقمنا بأسوأ حال وأكفٍ بال ، ولا والله ما زال كلُّ واحد منا يسأل صاحبه عن كلِّ ما يرويه من الغناء الذي أوَّلُهُ « أَلَا لا » طمَعاً في أن يعرفه وأن يوافق غنائه ما عَرَفَهُ منا أحدٌ . وبات عمرو عند الرشيد ليلةً وأنصرف من عنده بجوارِثٍ وِصَالٍ وطَرَفٍ سِنَةٍ .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال موسى بن أبي المهاجر: خرج ابن جامع وابن أبي الككات حين دَفَع الإمام<sup>(١)</sup> من عرفة ، حتى إذا كانوا بين المأزمتين جلس عمرو على طرف الجبل ثم أندفع ففنى ، فركب الناس معهم بعضاً حتى صاحوا به وأمتنوا : يا هذا ، الله الله ! أسكت عنا يَجْرِ الناس ؛ ففسط ابن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُزْدَلِفَة .

- قال علي بن الحليم : حدثني من أتى به قال : واقفتُ ابن أبي الككات على جسر بغداد أيام الرشيد فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه وقف في الموسم في أيام هشام ، فز به بعض أصحابه فقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس فلم يذهب منهم أحدٌ ولم يحيى . فقلت له : من هذا الرجل ؟ قال : أنا . ثم أندفع ففنى لحبس الناس ، فأضطربت الحامل وماتت الإبلُ أصحابها . فقال ابن أبي الككات وكان مُحباً بنفسه : أنا أفضل كما فعل وقد رقي على القلوب أكثر من قدرته . ثم أندفع ففنى الصوت الذي غنى فيه ابن عائشة ، وهو :

جَرَّتْ سُنْمًا ففَلَّتْ لَهَا أُعْيِزِي • نَوَى مَشْمُولَةً مَتَى الْقَهَاءُ  
بَنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ • أَطْلَحَهُ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

- قال : ففناه ، وكنا إذ ذاك على جسر بغداد ، وكان على دجلة ثلاثة جسور ، فَنَقَطَعَتِ الطُّرُقُ وأَمْلَأَتِ الجسورُ بالناس فأزدحموا عليها وأضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لتقل من عليها من الناس . فَأَخَذَ قَائِي به الرشيد ؛ فقال له : يا حلق الله ، أردت أن تغتبن الناس ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ولكنه يفتنى أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام ، فأحببتُ أن يكون في أيامك مثله . فاعجبه ذلك ،

(١) في الأمان (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « حين دعاه من مرة حتى إذا كاثا » .

(٢) كذا في الأصلين راجعاً . وكان مقتضى سياق أن يكون : « قال له » : اذ مرجع ٢٠

صحيح . ص ١٠٠ . ص ١٠١ .

وأمر له بال وأمره أن يفتي فتى؛ فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فأحبهه عنده شهراً يستريده، وكل يوم يُستأذن له في الانصراف فلا يأذن له حتى تَمَّ شهراً، وأنصرف بأموال جسيمة .

وقال عثمان بن موسى : تكأ على شراب يوما ومعا عمرو بن أبي الككات إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَنْ تحبون أن يحبكم ؟ قلنا : منصور الحنفي . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي يتحدر فيه إلى سوق البقر . فكننا ساعة ثم أندفع يفتي :

أحسنُ الناسِ فأعلموه فضلاً \* رجلٌ من بني أبي الككاتِ  
صَفَتِ الدَّارُ فالحضابُ اللواتي \* بين نورٍ فلتقى مرقّاتِ<sup>(١)</sup>

١٠ فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل يركض دابته نحونا . فلما جلس إلينا قلت له : من أين طليت بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو وأنا في سوق البقر، فخرجت أركض دابتي حتى صرتُ إليكم . قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

وقال يحيى بن يعلى بن سعيد : بينا أنا ليلة في متقى في الرَّمْضَةِ بأسفل مكة، إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الككات كأنه معي ، فأمرتُ النّلامَ فأسرج لي دابتي وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوتَ حتى وجدته جالساً على الكتيب العارض بطن مرفقة يفتي :

خُذِي الْغَفَوْنِي تَسْتَدِينِي مَوْدَقِي \* وَلَا تَطْلُقِي فِي سَوْدِي حِينَ اغْضَبُ

(١) في الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : \* بسوار فلتقى مرقّات \*  
٢٠ ونور : جبل مكة فيه الخارقاتى اعصى فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وأما سوار فن قرى البحرين .  
(انظر ياقوت ج ١ ص ٩٣٨ وج ٣ ص ١٨٠) .



ولا تتقربني قسرة القف مرة • فإنك لا تدري كيف المقيب  
فإن رأيت الحب في الصدر والأنى • إذا أجمعا لم يلبث الحب يذهب

### ذكر أخبار أبي المهنا مخارق

- هو أبو المهنا مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد . وقيل : بل ناووس لقب أبيه يحيى ، وإنما لقب بناووس لأنه باع رجلا أنه يمضى إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرا بالليل حتى تنضج ، فطرح رهنه بذلك ، فذس الرجل الذى رآه رجلا فأتى نفسه فى الناووس بين الموتى . فلما فرغ ناووس من الطبخ مذ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطمعنى ؛ فزفر بالمغرفة من المرق وصبها فى يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له : أصبر حتى تُطعم الأحياء أولا ثم تنفزع الموتى ؛ فلقب ناووسا لذلك .

- قال : وكان مخارق لما تكلم بنت شهدة ، وهى من المغنيات المحضات المتقدمات فى الضرب . نشأ مخارق بالمدينة ؛ وقيل : كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزارا مملوكا ، وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب صوته عاتبته مولاه طرقا من النساء . ثم أرادت بيعه ، فأشتراه إبراهيم الموصلى منها وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذته الرشيد منه ثم اعتقه . وقيل : اشتراه إبراهيم من مولاه بتلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم . قال : ولما اشتراه قال له الفضل بن يحيى : ما خبر غلام يلغنى أنك أشتريته ؟ فقال : هو ما بلك . قال : فأريه . فأحضره ، فتنى بين يديه ؛ فقال له : ما أرى فيه الذى رأيت . قال : تريد أن يكون فى النساء مثلى فى ساعة واحدة ! فقال : بكم تباعه ؟ قال : أشتريته بتلاثين ألف درهم ، وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بتلاثة وثلاثين ألف دينار .

الفضل وقال : إنما أردت ألا تيمه أو تجعله سببا لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار . فقال إبراهيم : أنا أصنع بك خصلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه [وأعلمه<sup>(١)</sup>] ، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال وإلا يمته بعد ، وكان الرجى بيني وبينك . فقال الفضل : إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره ، فلما لم تهدير على ذلك أردت أن تأخذ نصفه ، وغضب . فقال إبراهيم له : فانا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، قال : قد قبلته ، قال : وقد وهبته لك . وفدا إبراهيم على الرشيد . فقال له : يا إبراهيم ، ما غلام بلقي أنك وهبته للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم يملك العرب ولا الحزم مثله ، ولا يكون مثله أبدا . قال : فوجهه إلى الفضل بأمره بإحضاره . فوجه به إليه ، ففتى بين يديه ، فقال له : كم يساوي ؟ قال إبراهيم : يساوي خراج مصر وضياعها . قال : ويحك ! أتدري ما تقول ! مبلغ هذا المال كذا وكذا ! قال : وما مقدار هذا المال في غلام لم يملك أحد مثله قط ! قال : فالتفت الرشيد إلى مسرور الكبير وقال : قد عرفت معنى أني لا أسأل أحدا من البرامكة شيئا . فقال مسرور : فانا أمضى إلى الفضل فأستوجهه منه ، فلذا كان عندي وهو عندك . فقال له : شألك . فمضى مسرور إلى الفضل وأستوجهه منه ، فوجه له . وقيل : بل إبراهيم هو الذي أهدها للرشيد ، فأمره الرشيد بتعليمه فعله حتى بلغ ما بلغه . قال : وكان غارق يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يحلس وينتق وهو واقف . ففتى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد :

كَانَ يَرَأْسًا فِي جَنْبِ قَلْبِهِمْ • مَصْبُغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَّارٍ

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٢) - (٢) في الأغانى (ج ٢١ ص ٢٢٢) .

«نيرانها» - (٣) القصار (كالقصر) : المحور والكتاب .

- هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا • جَوَانِبًا تَرْتَبِي بِالْفُطْطِ وَالنَّارِ  
 فطرب الرشيد وأستعاده مرارًا ؛ وهو شعر مُدِيح به الرشيدُ في فتح هِرَقْلَةَ • فأقبل  
 الرشيد على ابن جامع دون غيره • فغمز غارقُ إبراهيمَ بعينه وقلَّعه إلى الخلاء ، فلما  
 جاء قال له : مالي أراك مُنْكَبِرًا ؟ فقال له : أَمَا تَرَى إِبْرَاهِيمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ابْنِ  
 جامع بسبب هذا الصوت ! فقال غارقُ : قد والله أَخَذْتُهُ . فقال : ويحك ! إنه  
 الرشيد ، وابنُ جامعٍ من تَسْلَمَ ، وَلَا يُمكنُ معارضته إِلَّا بِمَا يَزِيدُ عَلَى غَنَائِهِ وَإِلَّا فَهُوَ  
 الْمَوْتُ ! فقال : دُخِيَ وَخَلَّكَ قَدْ ، وَصَرَفَهُ أَتَى أَضْيَقَ بِهِ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَلَيْكَ يُنْسَبُ ،  
 وَإِنْ أَسَأْتُ فَلَيْ يَسُودُ . فقال إبراهيمُ للرشيد : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْكَ مُتَّعِبًا مِنْ  
 هَذَا الصَّوْتِ بِمِثْرٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَوْجِبُهُ ! فقال : لَقَدْ أَحْسَنَ فِيهِ ابْنُ جَامِعٍ  
 مَا شَاءَ . قال : أَوْ لَا ابْنِ جَامِعٍ هُوَ ؟ قال : نَعَمْ ، كَمَا ذَكَرَ . قال : فَإِنَّ عَجَبَكَ غَارِقًا  
 يَنْتَبِهَ • فنظر إلى غارقٍ ؛ فقال : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ • قال : هَاتِهِ ؛ فَتَنَاهُ وَتَحْفَظُ  
 فِيهِ فَأَتَى بِالْعَجَائِبِ ، وَطَرِبَ الرَّشِيدُ حَتَّى كَادَ يَطِيرُ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ فَقَالَ :  
 وَبَيْك ! مَا هَذَا ؟ فَأَبْتَدَأَ يَحْلِفُ بِالطَّلَاقِ وَكُلِّ مُحَرِّجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ الصَّوْتَ قَطُّ  
 مِنْ غَيْرِهِ وَأَنَّهُ صَنَعَهُ وَأَنَّهُ حِيلَةٌ جَرَتْ عَلَيْهِ • فَأَقْبَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ : أَصْدَقْتَنِي  
 بِحَيَاتِي ؛ فَصَدَّقَهُ عَنْ قِصَّةِ غَارِقٍ • فقال لغارقٍ : اجلس إِذَا مَعَ أَحْصَابِكَ ، فَقَدْ  
 تَجَاوَزْتَ مَرْتَبَةً مِنْ يَقُومٍ . وَأَعْطَاهُ وَوَصَّلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَقْلَعَهُ ضَيْعَةً وَمِثْلًا .  
 وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ عَنْ هَارُونَ بْنِ غَارِقٍ ، قَالَ : كَانَ أَبِي إِذَا  
 غَضِيَ هَذَا الصَّوْتُ :

- يَا رَجُلُ سَلِمَ لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبًا • زِدْتَ الْفَوَادَ عَلَى عِلَالِهِ وَصَبَا  
 رَجْعٌ تَهْدِلُ مِنْ كَلْبٍ يَسْكُنُهُ • عَفَرَ الظُّبَاءَ وَطَلَبَانًا بِهِ عَصَا

بيكي ويقول : أنا مولى هذا الصوت . فقلت له : كيف يا أبت ؟ فقال : غيَّته  
مولاي الرشيد ، فبكي وشرب طيه رطلا ثم قال : أحسنت يا غارق ! فسلني  
حاجتك ؛ فقلت : تُعَيِّنِي يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ؛ فقال : أنت حرٌّ  
لوجه الله تعالى ، فأعيد الصوت فأعدته ؛ فبكي وشرب رطلا ، ثم قال : أحسنت  
يا غارق ! فسلني حاجتك ؛ فقلت : ضِيعَةٌ تُهَيِّمُنِي ظَنُّهَا ؛ فقال : قد أمرتُ لك  
بها ، أعيد الصوت فأعدته ؛ فبكي وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،  
تأمر لي بمثل وفريس وخادم ؛ فقال : ذلك لك ، أعيد الصوت فأعدته ؛ فبكي وقال :  
سل حاجتك ؛ فقبلت الأرض بين يديه وقلت : حاجتي أن يُعْطِلَ اللهُ بقاءك وبُديم  
عزك ويحطني من كل سوء فداك ؛ فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

وَبُرُوْى اِبْضَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنْ غَارِقِ اَنْ الرَّشِيْدَ قَالَ يَوْمَا لَلْنِّتَيْنِ  
وَهُوَ مُصْطَلِحٌ : مَنْ مَتَكُمْ يَنْتَى :

• يَارْبَعٌ سَأَلَنِي لَقَدْ هَبَجْتَ لِي طَرِبَا •

فَقَمْتُ وَقُلْتُ : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : هَاتِيهِ ؛ فَفَتَيْتُهُ فَعَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ :  
عَلَى - بِهَرْمَةٍ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَاذَا يَرِيدُ مِنْهُ ! بَغَاءُ هَرْمَةٍ فَقَالَ لَهُ : غَارِقُ الشَّارِي -  
الَّذِي قَتَلَنَاهُ بَنُو أَحِي الْمَوْصِلِ مَا كَانَتْ كُنْيَتُهُ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْمُهَنَّا ؛ فَقَالَ : أَنْصَرِفْ  
فَانصَرَفَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّشِيدُ عَلَى - فَقَالَ : قَدْ كُنَيْتُكَ أبا الْمُهَنَّا لِإِحْسَانِكَ ؛ وَأَمَرَ لِي  
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَأَنْصَرَفْتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدُونٍ : كَتَبَا عِنْدَ الْوَائِقِ وَأَمَّهُ عَلِيَّةٌ . فَلَمَّا صَلَّى لِلْمَغْرَبِ دَخَلَ  
إِلَيْهَا وَأَمَرَ أَلَا يَبْرَحَ ، بَلْغُسْتَا فِي صَحْنِ الدَّارِ ، وَكَانَتْ لَيْلَةً مَقِيمَةً وَأَبْطَأَ الْوَائِقُ عَلَيْنَا ؛  
فَنَدَفَعُ غَارِقُ يَنْتَى ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْنَا الْعُلَمَاءُ ، وَخَرَجَ الْوَائِقُ فَنَصَّاحَ : يَا غَلَامُ ، فَلَمْ يُجِِبْهُ

- أحد، ومثني في المجلس إلى أن توسَّط الدار؛ فلما رأيته يادرت إليه؛ فقال لي :  
ويك ! هل حدث في داري شيء؟ فقلت : لا يأسدي . قال : فما بالي أصبح فلا  
أجيب ؟ فقلت : غارق يفتي والتَّلمان قد آجتموا إليه فليس فيهم فضَّل لِمِباع  
غير ما يسمونه . فقال : عنذوا لله لم يَأبن حمدون وأى عنذرا ! ثم جلس وجلسنا  
بين يديه إلى السَّحر . وقد رُوي نحو هذه الحكاية في أمر التَّلمان مع غارق عند  
المتعم . وقال محمد بن عبد الملك الزَّيات : قال لي الواثق : ما غثنى غارق قط  
إلا قُدرت أنه من قلبي خُلقي . وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضل غارق صل  
جميع أصحابه ؟ أنظروا إلى هؤلاء التَّلمان الذين يقفون في السَّياط ، فكانوا يتفقدونهم  
وهم وقوفٌ فكلمهم يسمع الفناء من المفتين جميعا وهو واقف مكانه ضابطٌ لنفسه ،  
فاذا فتى غارق خرجوا عن صُورهم فصحرت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب  
الطرب فيهم ، وأزدحموا على الجبل الذي يقفون من ورائه .

- وحكى أنه خرج مرَّة إلى باب الكُتامة بمدينة السلام والناس يرحلون إلى مكة؛  
فنظر إلى كثرتهم وأزدحامهم ، فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء في الخبر أن  
أبن سرج كان يفتي في أيام الحج والناس يمشون فيستوقفهم سَنائه ، وأسأوقف لكم  
هؤلاء الناس وأستلهمهم جميعا لنعلموا أنه لم يكن ليَفْضُلِي إِلَّا بصنعة دون صوته ؛  
ثم اندفع يؤذَن ، فأسأوقف أولئك الخلق واستلهمهم ، حتى جعلت المحامل يفتي  
بعضها بعضا .

- قالوا : وجاء أبو العاتية إلى باب غارق وطرقه فخرج إليه؛ فقال له : يا حُسان  
هذا الإقليم ، يا حُكيم أرض بابل ، أصبب في أذني شيئا يفرح به قلبي وتنتعم به نفسي —  
وكان في جماعة منهم محمد بن سعيد البزدي — فقال : أنزلوا ، فزَلوا ، ففناهم .  
فقال محمد بن سعيد : مكثت أسمى على وجهي طربا . قال : وجعل أبو العاتية

يكي، ثم قال : يادواء المجانين، لقد رقت حتى كدت أن أحسوك، فلو كان الشفاء طعماً لكان غنائك أدماً، ولو كان شرباً لكان ماء الحياة .

وقال أبو الفرج عن عمر بن شبة قال : حدثني بعض آل نوبخت قال : كان أبي وعبد الله بن أبي مهمل وجماعة من آل نوبخت وغيرهم وقونا بكتاسة الدواب في الجانب الغربي ببغداد يتحدثون، وإنهم لكانك إذ أقبل غارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم؛ فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه . فقال : دعونا من وسواسكم هذا، أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغثيت صوتاً فلم يبق أحد بهذه الكتاسة ولا في الطريق من مشت ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني وأتبع صوتي ؟ فقال عبد الله : إني لأحِب أن أرى هذا ، ففعل ماثلت . فقال غارق : فوسك الأشقر الذي طلبته منك فمعتديه . قال : هو لك إن فعلت ماقلت . قال : فرمى بنفسه بين قبرين وتغلى بردائه ، ثم أندفع ينثى بشعر أبي العتاهية :

نَادَتْ بَوْشَكَ رَحِيلَ الْيَوْمِ \* أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْغَامٌ  
ومضى أمامك من رأيت وأنت لـ \* باقٍ حتى يلحقوك أمامٌ  
مالي أراك كأنَّ هَيْتَكَ لَا تَرَى \* عِيباً تَمُرُّ كَأَنَّهُنَّ سِيَاهُ  
تمضي الخطوبُ وَأَنْتَ مُنْتَبِهٌ لَهَا \* فإِذَا مَضَتْ فَكَأَنُّهَا أَحْلَامُ

قال : فرأيت الناس يأتون إلى المقبرة أرسلالين راكب وراجل وصاحب شغل وماز في الطريق حتى لم يبق أحد . ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقي أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الزمن . فقام فركب حماره ، وعاد الناس إلى صلتهم ؛ وقال لعبد الله : أحضِر الفرس ؛ قال : على أن تُقيم عندي ؛ قال نعم ! فسلم الفرس إليه وبره وأحسن رِقْدَه .

وروي عن يحيى المكي قال: خرج غمارق مع بعض إخوانه إلى بعض المُتَزَهَات، فنظر إلى قوس مُتَعَبَةٍ مع بعض من خرج معه، فسأله إياها، وكان المسئول ضَنَّ بها، وسنحت ظبأً بالقرب منه؛ فقال لصاحب القوس: أَرَأَيْتَ إِنْ تَنَتَيْتُ صَوْتَا فَمَطَفْتُ عَلَىَّ بِهِ خَدُودَ هَذِهِ الظبَاءِ أَتَدْفَعُ إِلَى الْقَوْسِ؟ قال نعم! فاندفع يفتي:

مَاذَا تَقُولُ الظبَاءُ • أَفَرَقَّةٌ أَمْ لِقَاءُ

أَمْ عَهْدُهَا بِسُلَيْمَى • وَفِي الْيَسَانِ شِفَاءُ

مَرَّتْ بِنَاسِ نَحَاتٍ • وَقَدْ دَنَا الْإِمَاءُ

لَا أَحَلَّوْتُ جَوَابًا • وَطَالَ فِيهَا الْعَنَاءُ

قال: فَمَطَفَتِ الظبَاءُ رَاجِعَةً إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَتْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ نَظَرَ إِلَيْهِ مُصْنِفَةً إِلَى صَوْتِهِ. فَنَجِبَ مَنْ حَضَرَ مِنْ رَجُوعِهَا وَوَقُوفِهَا؛ وَتَأَوَّلَهُ الرَّجُلُ الْقَوْسَ، فَأَخَذَهَا وَقَطَعَ الْعَاءَ [مَضَوْدَتِ الظبَاءِ نَحَارَهَا وَمَضَتْ رَاجِعَةً عَلَى سَنَتِهَا<sup>(١)</sup>].

وروي عن إسحاق بن إبراهيم قال: دخلت على أبي وهو جالس بين يمينه وهو غمارق بين يديه وهو يفتي:

يَرْجِعُ بَشْرَةً إِنْ أَضْرَبَكَ الْبَلَى • فَتَقْدَرُ رَأْيُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

قال: فَرَأَيْتَ أَبِي وَدَمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَيْهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ وَهُوَ يَشِجُ أَحْرَ نَشِيجَ. فَبَسُّ رَأْيِي قَالَ: يَا إِسْحَاقُ، هَذَا وَاقِعُ صَاحِبِ الْآلِوَاءِ قَدْ آتَى مَاتَ أَبُوكَ. وروى عن غمارق قال: رَأَيْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ كَأَنَّ شَيْخًا جَالِسًا عَلَى سُرِيرَةٍ رَوْضَةٍ حَسَنَةٍ. فَدَعَانِي فَقَالَ لِي: غُثِّي يَا غَمَارِقُ؛ قُلْتُ: أَصَوْتًُا تَهْتَرِحُهُ أَوْ مَا حَضَرَ؟ قَالَ: مَا حَضَرَ. فَغَثِبْتُهُ:

(١) الزيادة من الألفاظ (ح ٢١ ص ٢٣٧) -

دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزِيدُ خَبَا لَأَمِ الْقَدَى \* بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوَى جَوَاهُ الْمَكْمَا

وليس بترويق اللسان وصَوْفُهُ \* وَلِصْكَتِهِ قَدْ خَالَطَ الْقَلَمَ وَالنَّمَا

فقال لى : أَحَسَنْتَ يَا غَارِقُ ! ثم أخذ وترًا من أوتار المود فلقه على المضرب ودفعه إلى ، بفعل المضرب بطول ويُنْظَرُ والوتر ينشر ويَمْرَضُ حتى صار المضرب كالرَّخِ والوتر كالمَدْبَةِ <sup>(١)</sup> عليه [طيه] وصار في يدي علماء ، ثم آنهت غَدَتِ برؤياى إبراهيم الموصلى ، فقال لى : الشيخ بلا شك إِبْرَاهِيمُ ، وقد عَقَدَ لَوَاهُ صِنْتَكَ فَأَنْتَ مَا حَيْثُ رَئِيسُ أَهْلِهَا .

وقال أحمد بن حمدون : غَضِبَ الْمُتَعَصِّمُ عَلَى غَارِقٍ فَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْمُؤَذِّنِينَ وَيُزْمِعَهُمْ فَعُصِّلَ ذَلِكَ ، وَأَمْلَهُ حَتَّى عَلِمَ أَنَّ الْمُتَعَصِّمَ يَشْرِبُ ، فَأَذَّنَتِ الْعَصْرَ ، فَدَخَلَ إِلَى السُّتْرِ حَيْثُ يَقِفُ الْمُؤَذِّنُ لِلسَّلَامِ ، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ جَهْدَهُ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الصَّلَاةُ بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ . فَبَكَى حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ قَالَ : ادْخُلُوهُ عَلَيَّ وَأَقْبِلْ عَلَيْنَا ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُمْ هَكَذَا قَطْ ! هَذَا الشَّيْطَانُ لَا يَتْرَكَ أَحَدًا يَغْضَبُ عَلَيْهِ ! . فَدَخَلَ إِلَيْهِ قَبِيلُ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَدَعَاهُ الْمُتَعَصِّمُ إِلَيْهِ فَأَعْطَاهُ يَدَهُ قَبْلَهَا وَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِ عَوْدِهِ فَأَحْضَرَهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَرْبَتِهِ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ ، وَفِيهَا أَوْرَدْنَاهُ مِنْهَا كِفَايَةً . وَكَانَتْ وَقَاتُهُ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَقِيلَ : بَلْ فِي آخِرِ خِلَافَةِ الْوَائِقِ . وَغَنَى خَمْسَةً مِنَ الْخَلْقَاءِ : الرَّشِيدَ وَالْأَمِينَ وَالْمَأْمُونَ وَالْمُعْتَصِمَ وَالْوَائِقِ . رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الزيادة عن الألفاظ (ج ٢١ ص ٢٣٣) .



## ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكي

(١٢٦)

هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق للمكي، مولى بني أمية، وكان يكتم ذلك لخدمته للطفاء من بني العباس، وكان إذا سُئِلَ عن ولائه أتى إلى قريش، ولم يذكر البطن الذي ولاؤه له، ويستعفى من يسأله عن ذلك .

قال الأصفهاني :

- وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة، وأصاب بالفناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح العقل والسمع والبصر . وكان قديم مع المجازين الذين قديموا على المهدي في أول خلافته فسبى بالعراق . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلي وتُفِيح يغزّون إلى في الفناء القديم فيأخذونه عنه، ويأبى بعضهم بعضا بما يأخذونه منه . فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوها منها وقرروا نصيبه . وله صنعة عجيبَةٌ نادرة ١٠ متقدمة . قال : وله كتاب في الأغاني ونسبها وأجتمعا كير جليل مشهور، إلا أنه كالطروح عند الرواة لكثرة تحليطه في رواياته، والعمل على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحح كثيرا مما أفسده وأزال ما عرفه من تحاليل أبيه، وحقق ما نسب من الأغاني إلى صانعه . قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

قال أحمد بن سعيد :

- كانت صغرة يحيى ثلاثة آلاف صوت، منها زهاء ألف صوت لم يُقَارِبْه فيها أحد . وسُيِسَ ابنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّ عندي منها ألف صوت وثلاثة صوت، منها مائة وسبعون صوتا، غلب فيها على الناس جميعا من هُتِمَ منهم ١٢ [من] تَنَحَّرَ ١٣ ولم يَقُمْ له أحد فيها .

- ٢٠ (١) أحده : أعطاه مما أصاب من عينة وجائزة . (٢) في الأصل : «حطب» ، والتصويب عن الأما (ج ٦ ص ١٧٨) . (٣) الزيادة عن الأغاني .

قال أحمد بن يحيى قال لى إسحاق : يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتاً  
من أخذنا عنه مائة وسبعين ألف درهم فهو الرابع . والله أعلم .

### ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكيّ الملقّب بـ<sup>(١)</sup>بطنين

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكيّ، وكان يُلقّب بطنيناً<sup>(١)</sup> . وهو أحد المحسنين  
المُبَرِّزين الرواة للفناء الحكي الصنعة . كان إسحاق يقرّنه ويؤيّزه ويثبته<sup>(٢)</sup> بذكره  
ويجهر بتفضيله .

قال أبو الفرج : وكتابه المجرّد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعول  
عليها . قال : وكان مع جودة غنائه وحسن صنعه أحد الضراب الموصوفين  
المعتمدين .

قال عليّ بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ - وقد جرى ذكر أحمد  
ابن يحيى المكيّ - : يا أبا محمد لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكاً كم كان يُساوى؟  
قال : أخبرك عن ذلك، انصرفت ليلة من دار الوائقي فأجترتُ بدار الحسن بن وهب  
فدخلتُ إليه فإذا أحدٌ عنده . فلما قاموا لصلاة العشاء الآخرة قال لى الحسن بن  
وهب : كم يُساوى أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال :  
ثم رجع فتنقّى صوتاً؛ فقال لى الحسن : كم يساوى أحمد لو كان مملوكاً؟ قلتُ : يساوى  
ثلاثين ألف دينار . ثم تنقّى صوتاً آخر؛ فقلت لحسن : يا أبا عليّ أضعفها . ثم أردتُ  
الانصراف فقلت لأحمد : غنى

لولا الحياءُ وأنّ السُترَ من خلُقٍ • إذا فعلتُ إليك البهر لم أقم

(١) في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « ظنين » بالنظاء المسجدة .

(٢) الذي في الأغاني : « ويشيد » .

(٣) الذي في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « السمر » .

أليس عندك سكرٌ<sup>(١)</sup> التي جعلت . ما أيقض من قاذمات الرأس كالحميم  
ففتناه فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قُتُّ للأصراف قُتُّ : يا أبا ملي ، أضعف  
الجميع . فقال له أحد : ما هذا الذي أسعماك حولاً به ولست أدري ما معناه ؟ فقال :  
نحن نبيك ونشترك منذ البلية وأنت لا تدري . وقال محمد بن عبد الله بن مالك :  
سألتني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً : من بقي من الضنين ؟ قلت : وجه القردة .  
محمد بن عيسى . قال : صالح كئيس ؟ ومن أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكي .  
قال : ينجح ! فذاك الحسن الخليل الضارب المنفى ، القائم بجلسه لا يخرج أهل  
الجلس إلى غيره . وكانت وفاته في أول خلافة المستعين .

(١٢٠)

### ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بني أمية

يكنى أبا العباس . وكان موسى الهادي يسميه أبا الفريض . قال أبو الفرج :  
وهو حسن الصنة غزيرها ، وفيه يقول الشاعر :

يا وَحْشَتِي بِعَدْلِكَ يَا هَاشِمُ \* غَيْبَتْ فَتَجَوَّى بِكَ لِي لِأَزِمِ<sup>(٢)</sup>  
اللَّهُمَّ وَاللَّهْ يَا هَاشِمُ \* مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرَهُ مَا تَمَّ

وقال الأصمعيّ : بسند رفعه إلى هاشم :

أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعة فقال : يا هاشم غُفِي :  
\* أَبْهَارُ قَدْ هَبَجَتْ لِي أَوْجَاعًا \*

فإن أصبت مرادى فيه فلك حاجة مقضية . قال : ففتيته ، وهو :

أَبْهَارُ قَدْ هَبَجَتْ لِي أَوْجَاعًا \* وَتَرَكْتَنِي عَبْدًا لَكُمْ مَطْوَاعًا

(١) كذا في الأمان . وفي الأصل : « شكر » .

(٢) في الأمان (ح ١٤ ص ٤٤ طبع بولاق) : « داهم » .

بحديثك الحسن الذي لو كُتبت • وحش القلادة به يلحق صراما  
وإذا مررت على البيار مُتَضِّدا • في السوق هيج لي إليك نراما  
والله لو سلم البيار بأنها • اخضت سميت له صار ذواما

فقال : أصبحت وأحسنت ، سَل حاجتك ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر بأن  
يُملأ هذا الكانون دراهم — وكان بين يديه كانون عظيم — فأمر به فملئ فوميع  
ثلاثين ألف درهم . فلما حصَّتها قال لي : يا ناصح الحمة ، والله لو سألت أن أملأه  
لك دنانير لعلت . قلت : ألقني يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيل إلى ذلك  
ولم يُسمعك الجدة به . وقد رُويت هذه الحكاية في موضع آخر ، وذكر أن الذي  
غناه غير هذا الشعر ، وأن الكانون وبيع ست يدر ، فدفعها إليه .

### ذكر أخبار يزيد حوراء

هو رجل من أهل المدينة من موالى بني ليث بن بكر بن عبد مائة بن كنانة ،  
ويكنى أبا خالد . مُنقح حسن كثير الصنعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلي .  
وكان ممن قديم على المهدي في خلافته ففناه . وكان حسن الصوت حلوا الشائل .  
فحسده إبراهيم الموصلي على شمائله وإشاراته في الفناء ، فاشتري صفة جوار وشاركه [فيهن] <sup>(١)</sup> ،  
وقال له : علمهن ، فما رزق الله تعالى من ربح فيهن فهو يفتاء وأمرهن أن يتعلمن  
وكدهن أخذ إشاراته فعملن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وأبنته ويأمرهن  
بتعليم كل من يعرفه ذلك حتى شهرها في الناس ، فأجل طيه ما كان مغفرا به من  
ذلك .

(١) الزيادة عن الأمازي (ج ٣ ص ٢٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) التوكد : المم والقصد .

قال عبد الله بن العباس الرِّبَيعي :

كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسن الوجه شِكْلاً ، لم يقدم علينا من الحجاز  
أنظف منه ولا أشكل ، وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة لا تراها في أحد منهم  
إلا رأيته فيهِ . وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع  
منه ويُسبِّح ذكره بالجمل ويُبَيِّن على مواضع تَهْمُهُ [وإحسانه] ، ويمت بآبته إسحاق  
[إليه] يأخذ عنه .

وحكى أبو الفرج بسند رفعه الى يزيد حوراء قال :

كُنْتُ أبا العتاهية في أن أكلم المهدي في عتبة ، فقلت : إن الكلام لا يمكن ،  
ولكن قل شعراً أغنيه به ، فقال :

نصي بشئ من الدنيا سقَّة \* الله والقائم المهدي يكفيها  
إني لأبأس منها ثم يطمئني \* فيها آحتقارك للدنيا وما فيها

قال : فمِيتُ فيه لحناً وغيثته . فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ،  
فقال : تنظر فيما سأله ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية . ثم مضى شهر بخافئ فقال : هل  
حدث خبر ؟ قلت لا . قال : فأذكرني المهدي . فقلت : إن أحببت ذلك فقل  
شعراً تحركه به وتذكركه وعده حتى أغنيه به ، فقال :

لبت شعري ما عندكم ليت شعري \* فقد أثمر الجواب لأمر  
ما جواب أولى بكل جميل \* من جواب يرد من بعد شهر

قال يزيد : فغيت المهدي ، فقال : علي بنبه فأحضرت ، فقال : إن أبا العتاهية  
كُنْتُ فيكَ ، فما تقولين ولك عدى وله ما تحيان مما [لا] تبغ أمانيكما ؟ فقالت :

قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولاتي، وأريد أن أذكر هذا لما .  
قال : فأقبل . قال : فأعلنت أبا التاهية . ومضت أيام فسألني معاودة المهدى؛  
فقلت : قد عرفت الطريق، قل ما شئت حتى أغنيه به؛ فقال :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رِجَالِكَ مَا لَهُ • عَتَقْتُ يَحْيَى إِلَيْكَ بِي وَرَيْسِي  
وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جُودِكَ فَاطْمَرَى • أَرَدَعِي غَايِلَ بَرْقَهَا وَأَيْسَمِي  
وَلَقَدْ تَشَمَّتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي • فَلَمَّا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ نَسِمِي  
وَلَرَبَّمَا أَسْتَيْسَأْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا • إِنْ أَدْنَى وَعْدَ النَّجَاحِ كَرِيمِي

قال يزيد : فغنته الشعر، فقال : على عتبة بخامت؛ فقال : ما صنعت؟ فقالت :  
ذكرت ذلك لمولاتي ففكرته وأبت أن تفعل، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد . قال :  
ما كنت لأقبل شيئا يكرهه . فأعلنت أبا التاهية بذلك، فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ • وَأَرْحُتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ  
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي • وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَتَلَجْنَ بِيَالِي  
وَلَنْ طَمِعْتُ رَبَّ بَرْقَةٍ خُلِبَ • مَالَتْ بَذَى طَمَعٍ وَلَمْعَةٍ آلِ

وقد حكى أبو العرج أيضا هذه الحكاية وأختصرها، ولم يذكر الأبيات التي منها  
• أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رِجَالِكَ مَا لَهُ •

إلا أنه يفرق قوله : «أشربت قلبي» بقوله : «أعلنت نفسي من رجالك» . وقال :  
فصنع فيه يزيد لحنا وغناء المهدى . فدعا بأبي التاهية وقال له : أما عتبة فلا سبيل  
إليها، لأن مولاتها قد منعت منها، ولكن هذه خمسون ألف درهم فأشترى ببعضها خيرا  
من عتبة فحملت إليه، فأخذها وأنصرف .

وحكى عن حماد بن إسحاق قال :

قال يزيد حوراء : كنتُ أجلس بالمدينة على أبواب فريش ، وكانت تمر بي  
جاريةٌ تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الفناء . فقلت لها يوما : أفهمى قولى وردى  
جوابى وكونى عند ظنى ، فقالت : هات ما عندك . فقلت : بالله ما أسمك ؟ فقالت :  
مُمنمة . فاطرقتُ طيرةً من أسمها مع طمعى فيها ، ثم قلت : بل باذلةٌ ومبدولةٌ .  
إن شاء الله فأسمى منى . فقالت وهى تتبسم : إن كان عندك شئ فقل . فقلت :  
ليبيك منى أتى لستُ مُفشيًا \* هوالك إلى غيبي ولو مت من كربى  
ولا ما نحاً خلقاً سواك محبةً \* ولا قاتلاً ما عشتُ من حبكم حسبي  
فنظرت إلى طويلاً ثم قالت : أئشدك الله ، أمن فرط محبة أم أحتاج غلبة  
[تكلمت] ؟ فقلت : لا والله إلا من فرط محبة . فقالت :

١٠

فوالله رب الناس لا تحبك الموى \* ولا زلت غصوص المحبة من قلبي  
نقيقى بى فإنى قد وثقت ولا تكن \* على غير ما أظهرت لى يا أبا الحب  
قال : فوالله لكأنما أضربت فى قلبي ناراً . فكانت تلحانى فى الطريق الذى كانت  
تسلكه فتعذبنى فأخرج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، وكانت تكاتبنى  
وتلاطفنى دهرها طويلاً .

١٥

### ذكر أخبار قليح بن أبي العوراء

هو رجل من أهل مكة مولى لبنى غزوم ، وهو أحد مُفتى الدولة العباسية ؛ له  
علمٌ كبير من صناعته ، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد التى  
رُفِرت الفرج الأصفها فى كتابه المترجم بالأغاني طبعها . قال إسحاق بن إبراهيم  
بن سلى : ما سمعت أحسن من غناء قليح وأبن جامع . وكان المهدي لا يُغنيه مُغنٍ  
٢٠ .

(١) نسخة عن الأغاني .

إلا من وراء الستارة إلا فليح فإن السلوة كانت تُرفع بينه وبين المهدى . وهو أول مَنْ نظر وجه المهدى .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدى قال : كتب إلى جعفر بن يحيى وأنا عامل الرشيد على [جند] دمشق : قد قدم علينا قُليح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخيفه كل غناء سمعناه قبله . وأنا محال لك في تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعنا . فلم ألبث أن ورد على قُليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار ، فورد على من رجلاً أذ كرى فقاؤه الناس وأخبرني أنه قد فاهز المائة . فأقام عندي ثلاث سنين ، وأخذ جوارى عنه كل ما كان معه من الغناء ، وأنتشر بعض غنائه بدمشق .

وروى أيضاً بسنده إلى أحمد بن يحيى المكي عن قُليح بن أبي العوراء قال : كان بالمدينة قتي يشق أبنة عم له ، فوعده أنها تزوره ، وشكا إلى أنها غائبة ولا شيء عنده ، فأعطيته ديناراً للثقة . فلما زارته قالت له : من يُهيئنا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ، وكان أول ما غنيتُه :

من الحفريات لم تخضع أخاها \* ولم ترقع لوالها شئارا  
فقامت إلى ثوبها فليسته لتصرف . فمالت بها وجهه كل الجهد في أن تُقيم فلم تفعل وأنصرفت . فأقبل يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيء أعتمدت به مساءتك ولكته شيء أتخق . قال : فلم نَبَج حتى عاد رسولها ومعه صُرة فيها ألف دينار ، فدفعها إلى الفتى وقال : تمول لك أبنة عمك : هذا مهرى ، فادفعه إلى أبي وأخطئني ، ففعل وتروجها .

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٤ ص ٣٦٥ طبع دار الكتب المصرية) . والجند : المدينة ونحوه .  
٢٠ به أبو عبيدة مدني الشام . وأجناد الشام خمس كور : دمشق وحمص وفسرين والأردن وقلسين .



## ذكر أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه

هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون، وأصله من فارس، ومولده في سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، ووفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة. قالوا: ومات ماهان وترك إبراهيم صغيراً، فكفله آل خرعة بن خازم، فكان ولاؤه لبني تميم. وكان السبب في نفيه إلى الموصل أنه لما كبر واشتد وأدرك محب الفتيان وأستهى الفناء وطلبه، فاشتد أخواله بنو عبد الله بن دارم طيه في ذلك وبلغوا منه، فهرب منهم إلى الموصل فأقام بها سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتي الموصلي، فطلب طيه<sup>(١)</sup> ثم ارتحل إلى الري في طلب الفناء، فطال مقامه هناك، وأخذ الفناء الفارسي والعربي.

١٠ قال إسحاق: حدثني أبي قال:

أول شيء أعطيته بالفناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً ولا أفيق إلا من بقية مال كان معي. فترينا خادم أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعتي عند رجل من أهل الري فشيف بي وخلع عليّ دواج<sup>(٢)</sup> سمور له قيمة، ومضى بالرسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه، فأقام عندي ثلاثة أيام وذهب لي نصف الكسوة [التي معه]<sup>(٣)</sup> وأتني درهم. وكان ذلك أول مال كسبته من الفناء. فقلت: والله لأنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتها. ووُصف لي رجل بالابلّة<sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل: (ح ٥ ص ١٥٦ طبع دار الكتب المصرية): «فطلب به».

(٢) ضرب من الثياب - والسور: دابة معروضة تسرى من جلدها فراء عالية الأمان.

(٣) الزيادة من الأصل.

(٤) الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة الحصى في زاوية الخليج التي يدخل إلى مدينة البصرة.

اسمه : «جَوَاتُوبِيَّة» وكان حاذقا، فخرجت إليه، وصحبت فتيانها وأخذت عنهم وغشيتهم فُشِخُوا بِى .

قال إبراهيم : ولما أتيت «جَوَاتُوبِيَّة» لم أصادفه في منزله فالتفت حتى جاءه . فلما رآني أحترمتني وكان عجوسيا ، فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها ، فرتحب بي وأفرد لي جناحا في داره ووكل بي جارية<sup>(١)</sup> ، فقلمت لي ما أحتاج إليه . فلما كان العشاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من القروس من يفتي ؛ فتركت إليه بفسلنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغشوا ؛ فلم أجد في غناء أحد منهم فائدة ؛ وبلغت التوبة إلى فضربت وغشيت ؛ فقاموا جميعا إلى قتلوا رأسي وقالوا : صغرت بنا ، نحن إلى تعليمك إيانا أحوج منك إلينا ، فالتفت على تلك الحال أيا ما حتى بلغ [محمد بن] سليمان بن علي خبري ، فوجه إلى فاحضرني وأمرني بملازمته . فقلت : أيها الأمير ، لست أتكسب بهذه الصناعة وإنما ألتذ بالفتاء فلذلك تعلمته ، وأريد السوء إلى الكوفة ؛ فلم أتنفع بذلك عنده وأخذت بملازمته وسألني : من أين أنا ؟ فأنسبت إلى الموصل ، فليزمني وعرفت بها . ولم أزل عنده مكرما ، حتى قدم عليه خادم المهدي . فلما رآني عنده قال له : أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك ، ففادعه عني . فلما قدم الخادم على المهدي سألته عما رأى في طريقه ومقصده ، فأخبره بما رأى ، حتى انتهى إلى ذكرى فوصفني له . فأمره المهدي بالزجوع وإشخاصي إليه ، بغاء وأشخصني إلى المهدي ، وحظيت عنده وقتلني .

قال : وما سمع المهدي قبلي أحدا من المقتين سوى قتيح . أبي الموراء وسياط ؛ فإن الفضل بن الربيع وصفهما له .

٢٠ . (١) جواتوبية : من عجوس . (٢) في الأغانى « أحمه » . (٣) الزيادة عن الأغانى .

- قال : وكان المهدي لا يشرب ، فأرادني على ملازمته وترك الشرب ، فابيت عليه . وكنت أغيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئته متعشياً ، فغاطه ذلك مني وضررتني ، فحذقت القراءة والكتابة في المجلس . ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمت هذه الصناعة للذي وعشرة إخواني ولو أمكنني تركها تركتها وجميع ما أنا فيه لله تعالى . فغضب غضباً شديداً وقال : لا تدخل على موسى وهارون ، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلن وأصنعن . فقلت نعم . ثم بلغه أني دخلت عليهما وشربت معهما وكانا مشتهرين بالتهيد ، فضررتي ثلاثمائة سوط وستين سوطاً . فقلت له وأنا أضرب : إن جري ليس من الأجرام التي يحل بها سفك دمي ، والله لو كان سر أبنيك تحت قدمي ما رفعتها عنه ولو قطعتا ، ولو فعلت ذلك كنت في حالة إبان العيد الساعي . فلما قلت ذلك ضربني بالسيف في جفنه فتجنى ، فسقطت متعشياً على . وقال لعبد الله ابن مالك : خذ إليك وأجعله في مثل القبر . فلما عبد الله بكبش فدبحه وسلخه وألصق جلدته ليسكن الضرب عني ، ودفعني الى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي ، فغطني في قبر ووثق بي جارية . فتأذيت بتركان في القبر وبقى . فقلت لجارية : أصلي لي بجمرة وكنترا لينهب عني هذا البق ففعلت . فلما دخلت أظلم القبر وكادت نفسي تذهب ، ثم خف ذلك وزال البق ، وإذا حيتان مقيلتان نحوي من شق في القبر تدوران حولي ، فهتممت أن آخذ واحدة بيدي اليمنى
- (١) في الأصل « قلت » . والصواب عن الأعاني ( ج ٥ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية ) .
- (٢) في الأصل « مستهزين » . (٣) هو العبد الذي سعى به وموسى وهارون إلى المهدي وحده به كوا فيه .
- (٤) جسر السيف : عمده .
- (٥) المردية هي ما يلبسه أهل مصر المومس ، وأهل العراق يسمونه ابق ، ويطلقون التاموس على « يسه أهل مصر بالبق » . (٦) الكندر : الخان .

والأخرى بيدي اليسرى، فأما علي وإسماعيل، ثم كفيتهما، فدخلتا في القبر الذي  
خرجتا منه، فكثت في ذلك القبر ما شاء الله، ثم أخرجت منه . وأحلفني المهدي  
بالطلاق والعتاق وكلّ يمين لا فسحة لي فيها ألا أدخل على آية موسى وهارون أبدا  
ولا أختهما، وعلّ سبيل . قال إبراهيم : قلت وأنا في الحبس :

ألا طال لي أراعي النجوم • أطال في الساق كجلا تغيلا  
بداير الموانب وشرّ الديار • أسام بها انلصف صبرا جملا  
كثير الأخلاء عند الرخاء • فلما حُيْتُ أراهم قليلا  
لطول بلائي ملّ الصديق • فلا يأمننّ خليل خليل

قال : فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر إبراهيم منه ولم يظهر له بسبب  
الأيام التي حلف بها للمهدي . فلم يزل يطلبه حتى أتى به فلما عاينه قال : يا سيدي،  
[فارت] أم وادي أمر انطلق عليّ؛ ثم غاه :

يأبن خير الملوكة لا تتركني • غرضا العذوق يري حياتي  
فلقد في هواك فارقت أهل • ثم عرضت مهجتي للزوال  
ولقد عشت في هواك حياتي • وتتربت بين أهل ومالي

قال إسحاق بن إبراهيم : لقوله الهادي وخوله ؛ وبحسبك أنه أخذ منه مائة ألف  
ونعمسين ألف دينار في يوم واحد، ولو عاش لنا لبنتنا حيطان دُورنا بالذهب  
والفضة .

قال حماد بن إسحاق قال لي أبي :

والله ما رأيت أكل مروءة من جثك، وكان له طعام يمدّ أبدا في كل وقت .  
فقلت لأبي : كيف كان يمكنه ذلك ؟ قال : كان له في كل يوم ثلاث شياو ،

- واحدة مقطعة في القدور، وأخرى مستوخة معلقة، وأخرى قائمة في المطبخ؛ فإذا أتاه قوم طعموا بما في القدور، فإذا فرغت القدور قُطعت الشاة المعلقة ووضعت في القدور وذبحت القائمة وأتى بأخرى فأقيمت في المطبخ. وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته. ولقد كان حرةً عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما فيهن واحدة إلا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يجري لأخص جواريه، فإذا ردت الواحدة إلى مولاهما وصلها وكساها. ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعة دنانير قضيت منها.

وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال :

- اشترى الرشيد من أبي جارية ستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع وقال له : إنا أشترينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها على صفة ولست كما ظننا وما قربتها، وقد قلل على الثمن وبينك وبينه ما بينكما، فأذهب إليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار. قال : فأتاه الفضل، فخرج إليه وتلقاه، فقال له : دعني من هذه الكرامة التي لا مئونة فيها، قد جئتكم في أمر، ثم أخبره الخبر. فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يلو قنرك عندى. قال : هو ذلك؟ قال : هال في المساكين صدقة إن لم أضيقه لك، قد حطت لك أثنى عشر ألف دينار. فرجع الفضل إليه بالخبر، فقال : ويحك ! أحمل إليه المال بجمته، فما رأيت سوقاً أنبل منه نفساً. قال إسحاق : وكنت قد أتيت أبي قتل : ما كان لحطية هذا المال معنى ولا هو قليل يتناقل عنه، قل لى : يا أحمق، أنا أعرف الناس به، والله لو أخذت المال منه كلاً ما خذته إلا وهو كاره ولحق ذلك، وكنت أكون

(١) كذا في الأغانى . وفي الأضر . «نشر» .

عنده صغير القدر، وقد مَنَّتْ عليه وعلى الفضل وأنبطتْ نفسه وعَظَّمَ قدرى  
عنده، وإنما اشترتُ الجارية بأربعين ألف درهم وقد أخذت بها أربعة وعشرين  
ألف دينار. فلما حَمِلَ إليه المأل بكمله دعا نى وقال : كيف رأيت يا إصحاق، مَن  
البصيرُ أنا أم أنت؟ فقلت : أنت، جعلني الله فداك . قال : وإبراهيمُ أول من علم  
الجوارى الثمنات الفناء فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من أقداره .

ومن أخباره مع الرشيد ما روى عن إصحاق قال حدثني أبي قال :

لما الرشيد غضب على قتيذنى وحسنى بالرقعة وحلس للشرب يوما في مجلس قد  
زينه وحسنه . فقال لمبى بن جعفر : هل لمجلىسا عيب؟ قال : نعم، غيبة إبراهيم  
الموصل عنه . فأمره بإحضاري، فأحضرتُ في قيودي، ففُتكت عني بين يديه،  
وأمرهم فتأولوني حودا؛ ثم قال : غنَّ يا إبراهيم، فغَنَيْتَ :

تَضَوَّعَ سَكَّا بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ \* بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ حَظْرَاتِ

فاستاده وشرب وطرب وقال : هَتَأَتْنِي وَسَاهَيْتُكَ بِالصَّلَةِ، وقد وهبت لك الحنى،  
والمرئى، فانصرفتُ؛ فلما أصبحتُ حُوضْتُ منهما ما نَحَى ألف درهم .

قال إبراهيم : دخلت على مومى الهادى فقال لى : يا إبراهيم، غنَّ من الفناء  
ما أَلَذُّ وَأَطْرَبُ عليه ولك حِكْمَتُكَ . فقلت : يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلنى رُحْلُ يورده  
رجوتُ ذلك؛ فغَنَيْتَهُ :

وَإِنِّي لَتَمْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَةَ \* كَمَا آتَفَضُ الصُّفُورُ بِاللَّهِ الْقَطَرُ

(١) في الأصل «أر» .

(٢) الحنى والمرئى : نهران بإزاء الرقة والرافقة خرمهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما «واسط  
الرقة» . يريد أنه أطلقه ضمتهما (أنظر صمم الدخان لياقوت ج ٤ ص ٩٩٤ طبع أدونيا) .

فضرب بيده إلى جيب ثُراسته فخطه ذراعا، ثم قال: أحسنت والله! زدني، فَنَتَيْتُ:  
 يَا حُبَّاءَ زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ \* وَيَا سَلَوَةَ الْإِيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ  
 فضرب بيده إلى ثُراسته فخطها ذراعا آخر وقال: زدني ويحك! أحسنت والله  
 ووجب حُكُّكَ، فَنَتَيْتُ:

- هَجْرِيكَ حَتَّى قِيلَ مَا يَعْرِفُ الْمَوَى \* وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ  
 فرفع صوته وقال: أحسنت والله! لله أبوك! هات ما تريد. قلت: يَا سَيِّدِي  
 عَيْنَ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ. فندارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان وقال:  
 يَا بَنَ الْغَنَاءِ! أَرَدْتُ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ يَقُولُ النَّاسُ: أَطْرَبُهُ حُكْمَ عَلَيْهِ تَجْعَلُنِي  
 سَمَرًا وَحَدِيثًا! يَا إِبْرَاهِيمَ الْحَزَنِيَّ، خَذْ بِيَدَ هَذَا الْجَاهِلِ فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ مَالِ الْخَاصَةِ، فَإِنْ  
 أَخَذَ كُلَّ مَا فِيهِ نَخْلَهُ وَإِيَّاهُ. ففعلت فأخذت نَحْمِسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وهذا الشعر ١٠  
 لِأَبِي حَضْرٍ الْمَذَلِيِّ، وَأَوَّلُهُ:

- تَجَبَّيْتُ لِسِمَى الْتَهْرِبِيِّ وَيَنْهَا \* فَلَمَّا أَتَقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ التَّهْمُ  
 يَا حُبَّاءَ زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ \* وَيَا سَلَوَةَ الْإِيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ  
 وَيَا هَجْرَ لَيْلٍ قَدْ بَلَغَتْ بَنَى الْمَدَى \* وَزِدْتَ عَلَى مَا لَيْسَ يَلْفُهُ الْمَجْرُ  
 وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذَكْرَاكِ هِرَّةٌ \* كَمَا أَسْتَفْضِ الْمَصْفُورُ بِلَهِّ الْقَطْرِ  
 هَجْرِيكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْمَوَى \* وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ ١٥

(١) الترواة: بجة مثقوة المقدم ولا تكون إلا من صوف.

(٢) في نسخة من الأصل: «البدائي». وفي أخرى: «الخلقي» والتصريب عن الألف. وهو من نداء المهادي وكان فيما على نزلان الأحوال في أيامه.

(٣) ورد هذا الشعر هكذا في الألف وأمال الناقلي (ج ١ ص ١٥٠ طبع دار الكتب المصرية). ٢٠  
 وفي الأصل: \* وَزِدْتَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ يُلْغِ الْمَجْرُ \*

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَاضْحَكُ وَالَّذِي • أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ  
لَقَدْ تَرَكْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى • الْيَقِينِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا النَّعْرُ

ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى  
كان لإبراهيم الموصلي مع البرامكة أخبار مستحسنة، سُورِدَ منها طرقا . منها  
ما حكى من تخارق قال :

أَئِذْ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ أَنْ تُقِيمَ فِي مَنَازِلِنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ يَشْتَغِلُ  
فِيهَا مَعَ الْحَرَمِ . فَغَضِيَ الْجُلَسَاءُ أَجْمَعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ أَصْحَبَتِ السَّمَاءُ مُتَخَيِّمَةً تَطْلُشُ  
طَيْشَهَا خَفِيفًا . فَقُلْتُ : وَاقِهِ لِأَنْدَبِينَ إِلَى أَسَازِي إِبْرَاهِيمَ فَأَعْرِفَ خَبْرَهُ ثُمَّ أَعُودُ ،  
وَأَمَرْتُ مَنْ عِنْدِي أَنْ يَسُورُوا لَنَا جِلْسًا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي . فَجِئْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ،  
فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي رِوَاقٍ لَهُ وَالسَّارَةُ مَتَّصِبَةٌ بِالْجُوَارِي خَلْفَهَا ؛  
فَدَخَلْتُ أَتَرْتُمُ بَعْضَ الْأَصْوَاتِ وَقُلْتُ لَهُ : مَا يَأْلُ السَّارَةَ لَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ وَرَائِهَا  
صَوْتًا ؟ فَقَالَ : اقْعُدْ وَيْحَكَ ! إِنِّي أَصْبَحْتُ بِخَافِي خَيْرُضِيمَةٍ تُجَاوِرُنِي قَدْ وَاقَهُ طَلِبَتُهَا  
زَمَانًا وَتَمَتَّتْهَا وَلَمْ أَمْلِكْهَا ، وَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا يَمْنُوكَ مِنْهَا ؟  
فَوَاقَهُ لَقَدْ أَطْعَمَكَ اللَّهُ أَضْعَافَ هَذَا الْمَالِ وَأَكْثَرَ . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ لَسْتُ  
أَطِيبُ نَفْسًا بِأَنْ أُخْرِجَ هَذَا الْمَالَ . فَقُلْتُ : فَمَنْ يُعْطِيكَ السَّاعَةَ مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ؟  
قَالَ<sup>(١)</sup> : وَاقِهِ مَا أَطْعَمَ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّشِيدِ ، فَكَيْفَ بَعْنُ دُونِهِ ! ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ ، خُذْ  
هَذَا الصَّوْتِ . ثُمَّ تَرَقَّبْتُ صَيْبَ عَلَى الدَّوَاةِ وَأَلْقَى عَلَى هَذَا الصَّوْتِ :

ثُمَّ الْخَلْقُونَ مِنْهُمْ وَمَنْ سَقِيمٌ • وَبِثُّ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْزَانِ لَمْ أَمِ

(١) كلمة «قال» غير موجودة في الأصل ، ومبني على أن ما بعدها من كلام محارق .

(٢) كما في الأصل - وفي الأصل : «من من ومن من» .



يا طالب الجود والمعروف مجتهداً \* اَعْمِدْ لِحَيِّ حَلِيفِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ  
قال : فأخذت الصوت وأحكته . ثم قال لى : أنصرف الى الوزير يحيى بن خالد  
فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يُفتح البابُ ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ،  
فأستأذن عليه قبل أن يصل اليه أحدٌ ، فإنه يُنكر جيتك ويقول : من أين أتيت  
في هذا الوقت ؟ فحدثه بقصصك إياى وما ألقيتُ إليك من خبر الضيعة وأعلمه أنى  
قد صنعت هذا الصوت وأعجبني ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة ، وأنى ألقيتُ  
عليك [حتى أحكته] لتطرحه عليها ؛ فسيدهوها ويأمر بالستارة فتُصبُ ويوضع  
لها كرمى ويقول لك : أطرحه عليها بحضرتى ؛ فأقبل وأتى بما يكون بعد ذلك من  
الخبر . قال غنارق : فبحث الى باب يحيى بن خالد فوجده كما وصف . وسألتى  
فأعلمت بما أمرنى به ؛ ففعل كل شئ قاله لى إبراهيم وأحضر الجارية فألقيتُ عليها .  
ثم قال لى : تخيم عندنا يا أبا المهنا أو تصرف ؟ فقلت : بل أنصرف ، أطال الله بقاءك ،  
فقد علمت ما أئذنا فيه . فقال يا غلام ، إحمل مع أبى المهنا عشرة آلاف درهم  
واحل الى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة . فحملت عشرة الآلاف معى ،  
وأيتت متزلى وقلت : أسريوى هذا وأسر من عندى . ومضى الرسول بالمال  
الى إبراهيم ؛ فدخلت متزلى وثرث على من عندى دراهم من تلك البثرة وتوسلتها  
وأكلت وشربت وطربت وسررت يومى كله . فلما أصبحت قلت : والله لا آتين  
أستاذى ولا أعرف خبره ؛ فأيتته فوجده كهيمته بالأمس مل مثل ما كان عليه ،  
فترمت وطربت فلم يتأق ذلك بما يجب ؛ فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال  
بالأمس ؟ ! فقال : لى ، فما كان خبرك أمس ؟ فأخبرته بما كان وقلت : ما تتظفر ؟  
فقال : ارفع الجعف ، فرففته فلذا عشرين يدي ؛ فقلت : فأى شئ بقى عليك فى أمر

(١٢)

- الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى تصححت عليها وصارت مثل ما حوت قديما . قلت : سبحان الله ! فاصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقني عليك صوتا صنعته يفوق ذاك . فقامت بطلست بين يديه ، فآلني على :  
وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرِّكَ • بِنَاءُ التَّنْدِي ، وَالسَيْفُ وَالرَّحْمُ وَالنَّصْلُ  
وَتَنِيْسُطُ الْأَمَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ • وَلَا سِوَا إِنْ كَانَ وَاللَّهِ الْفَضْلُ
- قال عمارق : فلما ألقى على الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قط وصغر في صني الأول ، فأحكته . ثم قال : امض الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأن لأحد بعد وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ، فاستأذن عليه وحدهم بحدائقنا وما كان من أبيه إلينا ، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وكان عندي أرفع منزله من الصوت الأول الذي صنعته بالأمس ، وأني ألقته عليك حتى أحكته ووجهت بك قاصدا لثقيته على فلاة جاريته . فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر ، فاستأذنت فوصلت إليه ، وسألني عن الخبر ، فأعلمته بخبري وما وصل إلى وإليه من المال ، فقال : أخرى الله إبراهيم ! ما أبغله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له :  
إِضْرِبِ السَّتَارَةَ ، فَضْرِبْهَا ، فَقَالَ لِي : أَلَيْهِ . فلما ألقته وغتته البخارية لم أئمه حتى أقبل يمز مطرقه ، ثم قصد علي ومادة دون الستارة وقال : أحسن والله أستاذك وأحسنت أنت يا عمارق . ولم أبرح حتى أحكته البخارية ، فسر بذلك سرورا عظيما وقال : أقيم عندي اليوم . قلت : يا سيدي إنما بقي لنا يوم واحد ، ولولا أنني أحب سرورك لم أنرج من منزلي . فقال : يا غلام ، إحمل مع أبي المهنا عشرين ألف درهم وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم . فانصرفت إلى منزلي بالمال ، ودعيت بكرة وتزيت منها على الجوارى وشريت وصيرت أنا ومن عندي يوما .
- ثم أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتمرف خبره وأعرفه خبري ، فوجدته على الحال

- التي كانت عليها أولاً وآخراً؛ فدخلت أترم وأصقق . فقال لي : أدنُ؛ فقلت :  
 ما بقي عليك؟ فقال : اجلس وأرفع تحبف هذا الباب؛ فرصته فإذا عشرون بدرّة  
 مع تلك العشر . فقلت : ما تنتظر الآن؟ فقال : ويحك! ما هو إلا أن حصلت  
 حتى جرت بحري ما تقدم . فقلت : والله ما أظن أحداً نال من هذه الدولة  
 ما نلت! فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيته دهرًا وقد ملكك الله أضماؤه! ثم قال :  
 اجلس نغذ هذا الصوت . فالتفتي على صوت أنساني صوتي الأولين وهو :  
 أن كل يوم أنت صبّ وليله . إلى أم بكر لا تخشى فتصغر  
 أحب على المجران أكلت بيتها . فيالك من بيت يحب ويهجر  
 إلى جعفر سارت بنا كل جصرة . طواها سراها محوّه والهجور  
 إلى واسع للجنتين فتأوه . تروح عطاياه عليهم وتبكر  
 ١٠ — وهو شعر مروان بن أبي حفصة يمدح جعفر [بن يحيى] — قال غزاق : ثم قال  
 لي إبراهيم : هل سمعت مثل هذا قط؟ فقلت : ما سمعت قط مثله! فلم يزل  
 يرقده عليّ حتى أخذه، ثم قال لي : امض إلى جعفر فافصل به كما فعلت بأبيه  
 وأخيه . قال : فضيت ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت؛  
 فسرّبه ودعا خادماً فأمره أن يضرب الستارة، وأحضر الجارية وقعد على كرسي؛  
 ١٥ ثم قال : هايت يا غزاق؛ فالتفت الصوت طليها حتى أخذه، فقال : أحسنت  
 يا غزاق وأحسن أستاذك؛ فهل لك في المقام عندنا اليوم؟ فقلت : يا سيدي، هذا  
 أترأيا منا، وإنا جئنا لموقع الصوت متى حتى ألقينه على الجارية . فقال : يا غلام،  
 إحمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصل ثمانية ألف درهم . فصرّرت إلى متلى  
 ٢٠ بالمال وألقت ومن عندي مسرودين نشرب طول يومنا ونطرب . ثم بكرت إلى إبراهيم

(١٢)

فَقَاتَنِي قَاتِمًا، ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْسَنْتَ يَا غَارِقُ ! قُلْتُ : مَا الْخَيْرُ ؟ قَالَ : اجْلِسْ بِلِسْتُ ،  
 فَقَالَ لِمَنْ خَلْفَ السَّارَةِ : خَذُوا فِيهَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ السَّجْفَ فَلَذَا الْمَالَ . قُلْتُ مَا خَيْرُ  
 الْقَنْبِيعَةِ ؟ فَادْخُلْ يَدَهُ تَحْتَ مِسْوَرَةٍ<sup>(١)</sup> وَهُوَ مَكْنِيٌّ عَلَيْهَا فَقَالَ : هَذَا صَبُّ الْقَنْبِيعَةِ إِشْتَرَاهَا  
 يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَكُتِبَ إِلَيَّ : " قَدْ طَلَبْتُ أَنْكَ لَا تَسْخُو فَسُكُ بِشَرَاءِ هَذِهِ الْقَنْبِيعَةِ مِنْ  
 مَالٍ يَحْصُلُ لَكَ وَلَوْ حَوَيْتَ الدُّنْيَا كُلَّهَا ، وَقَدْ ابْتَنَيْتَهَا مِنْ مَالِي " . وَوَجَّهَ إِلَيَّ بِصَكِّهَا ،  
 وَهَذَا الْمَالَ كَمَا تَرَى ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ : يَا غَارِقُ ، إِذَا عَاشَرْتَ فَعَاشِرَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ،  
 وَإِذَا خَنَرْتَ تَخَنَّرَكَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ ، سَقَاةُ أَلْفٍ ، وَضِيعَةُ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَسِتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ  
 لَكَ ، حَصَلْنَا ذَلِكَ أَجْمَعُ وَأَنَا جَالِسٌ فِي عَجَلِي لَمْ أَرِحْ مِنْهُ ، مَتَى يُدْرِكُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ ! .  
 وَرَوَيْتُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى يَوْمًا فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، جُعِلْتُ  
 فِدَاكَ ! هَبْ لِي دِرْهَامٍ فَإِنَّ السُّلَيْفَةَ قَدْ حَمَسَ رِجْلُهَا . فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ مَا عِنْدِي  
 مَا أَرْضَاهُ لَكَ . ثُمَّ قَالَ : هَاهُ ! إِلَّا أَتَا هَاهُنَا خَصْلَةً ، أَنَا رَسُولُ صَاحِبِ الْيَمَنِ  
 فَتَضَيُّعُ حَوَائِجِهِ ، وَوَجَّهَ [ الْبَيْتَ ]<sup>(٢)</sup> بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَسْتَرِي لَنَا بِهَا عَجَبَتَنَا . فَا فَعَلْتُ  
 ضِيَاءَ جَارِيَتِكَ ؟ قُلْتُ : عِنْدِي جُعِلْتُ فِدَاكَ . قَالَ : فَهَذَا ، أَقُولُ لَمْ يَسْتَوْفُوا<sup>(٣)</sup>  
 مِنْكَ فَلَا تَنْقُصْهُمَا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقَبِلْتُ رَأْسَهُ ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ . فَبَكَرَ عَلَى رَسُولِ  
 صَاحِبِ الْيَمَنِ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لَهُ وَلِي ، فَقَالَ : جَارِيَتُكَ فَلَانَةُ [ عِنْدَكَ ] ؟ قُلْتُ : عِنْدِي .  
 قَالَ : أَعْمِرْ ضَاهَا عَلَى فَرَضَتِهَا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : بَيْكَمْ ؟ قُلْتُ : بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ  
 وَلَا أَقْصَى مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا ، وَقَدْ أَصْطَلَنِي الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَمْسَ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ ،

(١) فِي الْأَعْيَانِ : « نَبَا أَنْتُمْ فِيهِ » . (٢) الْمُسَوْرَةُ : الرِّسَالَةُ مِنَ الْجَدِّ .

(٣) كَذَا فِي الْأَعْيَانِ ( ج ٥ ص ١٨٤ طبع دار الكتب المصرية ) وَصَاحِبُهَا : إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَمَى

فَتَمَّ لِلَّهِ هَؤُلَاءِ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَإِذَا اسْتَحَرْتَ فَاسْتَحِرْ » وَهُوَ مَحْرُوفٌ . (٤) الزِّيَادَةُ

عَنِ الْأَعْيَانِ . (٥) كَذَا فِي الْأَعْيَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَتَّى يَسْتَوْفُوا » . (٦) الزِّيَادَةُ

عَنِ الْأَعْيَانِ .

فقال : هل لك في ثلاثين ألف دينار مُسَلَّمة ؟ وكان مشترى الجارية أربعمائة دينار ، فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين ألف دينار أُتْرِجَ على - ولحقني زعم ، وأشار على - صديق الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أن يتحدثَ بالجارية حَدَثٌ أوبى أو بالفضل بن يحيى ، فسَلَّمْتُهَا وأخذتُ المال . ثم بَكَرْتُ على الفضل ، فإذا هو جالسٌ وحده . فلما نظر إلى - ضَحِكَ وقال لي : يا ضَيْقَ العَطَنِ والحوصلة ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عشرين ألف دينار . فقلت له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، دَعْ ذا عَنكَ ، فوالله لقد دخلني شيءٌ أَعْجَزَ عن وصفه . وخِفْتُ أن يتحدثَ بي حَدَثٌ أو بالجارية أو بالمشتري أوبى أعاذك الله من كل سوء ، فبادرتُ بِقبول الثلاثين ألف دينار . فقال : لا ضَيْرَ ، يا غلام حَيٍّ بِجاريتِهِ ، لِيحْيَ بها ، فقال : خُذْ بيدِها وأَصْرِفْ بَارَكَ اللهُ لك فيها ، ما أردنا إِلَّا مَضْمَعَكَ ولم تُردِ الجارية . فلما نهَضْتُ قال لي : مَكَانَكَ ، إن رسولَ صاحبِ أَرَمِيَّةٍ قد جاءنا ففَضِينَا حوائِجَهُ وَفَدَّنا نُكْبَتَهُ ، وقد ذكر أنه قد جاء بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نُحِبُّ ، فَأَعْرِضْ عليه جاريتَكَ هذه ولا تَقْصُصْها من ثلاثين ألف دينار ؛ فَأَنْصَرَفْتُ بِالْجارية . وبَكَرَ على - رسولُ صاحبِ أَرَمِيَّةٍ ومعه صديقٌ لي أَنَرُ ، فقاوِلِي بِالْجارية ؛ فقلت : لَنْ أَهْضِمَها من ثلاثين ألف دينار . فقال لي : معي عشرون ألف دينار مُسَلَّمة خذها بَارَكَ اللهُ لك فيها . فَدَخَلَنِي والله مِثْلُ الذي دخلني في المرة الأولى . وخِفْتُ مِثْلَ خوفي الأول ، فسَلَّمْتُهَا وأخذتُ المال . وبَكَرْتُ على الفضل ، فإذا هو وحده . فلما رَأَى ضَحِكَ وضربَ برجلِهِ ثم قال : ويحك ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرَةَ آلاف دينار . فقلت : أَصْلَحَكَ اللهُ ، خِفْتُ والله مِثْلَ ما خِفْتُ في المرة الأولى . فقال : لا ضَيْرَ ، [أَتْرِجُ<sup>(٢١)</sup>] يا غلام جَارِيَتِهِ لِيحْيَ بها ، فقال : خُذْها ، ما أردناها وما أردنا إِلَّا

(١) كذا في الأغاني . والزعم : شبه الزمعة تأخذ الإنسان . وفي الأصل : « جزع » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « أن يحدث بالجارية حدث أوفى أمر الفضل » .

(٣) الزيادة من الأغاني .

مشفعتك . فلما ولت الجارية <sup>١</sup>محت بها : إريجي قريبتي ، فقلت : أشهدك جعلت  
فذلك هي حرة لوجه الله تعالى ، وإلى قد تزويجتها على عشرة آلاف درهم ، كسبت  
لي في يومين خمسين ألف دينار فاجزاؤها إلا هذا . فقال : وقتت إن شاء الله تعالى .  
وأخبره مع البرامكة كثيرة وصلاتهم له وافر . وقد ذكرنا منها ما فيه غنية  
عن زيادة . فلنذكر وفاة إبراهيم . كانت وفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة ،  
ومات في يوم وفاته العباس بن الأحنف الشاعر ، وهشيمة الخمار ، فرُفِعَ ذلك  
إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلّي عليهم ، فخرج وصلّي عليهم .

قال إسحاق : لما مريض إبراهيم مرض موته ركب الرشيد حمارا ودخل على  
إبراهيم يموته وهو جالس في الأبرن<sup>(١)</sup> ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا  
واقه يا سيدي كما قال الشاعر :

سقيمٌ ملٌ منه أقربوه • وأسأله المداوى والمحيي

فقال الرشيد : إنا لله ! فخرج ، لما بعد حتى سمع<sup>(٢)</sup> الواعية عليه .

(١) الأبرن مظة الأول : حوض يتسل فيه ، وقد يتخذ من نحاس ، مربوب آب زن .

(٢) الواعية : الصراخ على الميت ونحوه .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في أحد الأصولين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب في فنون الأدب .  
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ؛  
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في الأصل الآخر الفتوغرافي :

كل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد  
مؤلف فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم  
البكرى التيمي القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم .

تم الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ،  
يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس وأوله  
ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي











